المسجد النبوي الشريف

ومزارات أهل البيت

المسجد النبوی الشریف

ومزارات اهل البیت

الاخراج الفنى والغلاف : محمد حاكم

دار الشعب ٩٢ ش قصر العينى ، القاهرة . ت ٣١٨١٠

رئيس مجلس الادارة : أحمد ابراهيم حمروش

بسم الله الرحمن الرحيم

((انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا))

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

لما كانت قلوب المسلمين عامة والمصريين خاصة عامرة بحب أهل بيت النبوة ، اذ لا تكاد تمر ذكرى مولد ولى من أهل البيت ، وبخاصة من لهم مقام تشرفت به أرض مصر ، حتى تلتقى قلوب المحبين لتحيى هذه الذكرى العطرة : باقامة الذكرى وترنيم التواشيح والقصائد التى تمجد نسب أهل البيت وتاريخهم وقصص بطولاتهم ، حتى أصبح ذلك عادة عند المصريين تتمثل فى مشاركتهم فى احياء هذه المناسبات مهما كلفهم ذلك من مشقة السفر وتكبد النفقات — نضيف الى ذلك ما تمثل فى المصريين من رقة العواطف وشدة الوفاء ، ومن هنا كان تقديرهم وتعظيمهم لدور أهل البيت التاريخى ، ولما أصاب بعضهم من اضطهاد .

وقد عمل أهل مصر دائما حكاما وأفرادا على عمارة مزارات أهل البيت ، وحافظوا على آثارهم سواء أكانت مساجد أو أضرحة أو مشاهد أو زوايا ، عملا بقول المولى عز وجل (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) ، بل أكثر من ذلك فقد كانوا يأخذون بالشدة كل من حاول الاعتداء على حرمة أى من تلك المزارات ، مثلما حدث فى سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) حين تسلل الى المشهد النفيسى بعض اللصوص وسرقوا ستة عشر قنديلا من الفضة ، وبعد القبض عليهم اعترف أحدهم بأنه هو السارق ، فشنق أمام المشهد .

ومنذ أن اختارت السيدة زينب رضى الله عنها – أرض مصر مقاما لها ، كانت البداية الطيبة لتشريف مصر بالعديد من أهل البيت الكرام .

والمسجد النبوى الشريف ومزارات أهل البيت ، دراسة نقدمها الى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، قمنا فيها بتحقيق من صح دفنه من أهل البيت بمصر ، فى سرد تاريخى دينى لصاحب الأثر ، يليه وصف معمارى لمزاره . وكتابنا هذا دراسة متخصصة تخاطب المتخصصين ، كما تخاطب أيضا المثقفين . حاولنا بها سد نقص المكتبة الاسلامية فى هذا الفرع من فروع المعرفة الاسلامية .

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لما فيه خير الاسلام والمسلمين ، وأن يبارك قصدنا فى نشر هذه المعرفة بفضل نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام .

المؤلفان

هم العـروة الوثقى لمعتصم بهـــا
منـــاقبهم جاءت بوحى وانزال
مناقب في شورى وسورة هل أتى
وفي ســورة الأحزاب يعرفها التالى
وهم آل بيت المصـــطفى فودادهم
على الناس مفروض بحكم واسجال

مقدمة فى أهل بيت النبى عليه السلام

اوصى النبى عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام بحب آل بيته والاقتداء بهم فى مسالكهم الرشيدة . يقول صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب » ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن ان النبى عليه السلام قال : « أحبوا الله لما يغدوكم من نعمه وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى وقال : « الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة آل البيت » .

جمع أهل بيت الرسول عليه السلام بين فضل الصحبة وفضل القرابة وبين فضل القرابة وفضل التبع روى الترمذى بسنده عن جابر بن عبد الله قال :

«رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب وسمعته يقول : « يأيها الناس انى تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى » . وروى بسنده عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى احدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتى أهل بيتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما » . وعن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال » حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن فان حملة القرآن فى ظل يوم لا ظل الا ظله مع أنبيائه وأصفيائه .

وقد ورد عن الامام على كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخذ يد السبطين الكريمين الحسن والحسين رضى الله عنهما وقال : « من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة » .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات على حب آل محمد مات شهيدا ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ، الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ، الا من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، الا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل قبره مزار ملائكة الرحمة ، الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوما بين عينيه آيس من رحمة الله ، الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة » .

وروى عن كعب ابن شجرة قوله حين نزلت الآية الكريمة (ان الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) قلنا يا رسول الله نعلم كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك ؟ فقال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد .

وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن الصلاة البتراء قال : « لا تصلوا على الصلاة البتراء »

فقالوا وما الصلاة البتراء ؟ قال تقولون اللهم صلى على محمد وتمسكوا بل قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد .

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اجعلوا أهل بيتى منكم مكان الراس من الجسد ومكان العينين من الراس ولا تهتدى الراس الا بالعينين ، وقد التزم السلف الصالح بما أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم من حب آل البيت حتى ان الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال : قال عبد الله بن الحسن بن الحسين

ابن علي بن ابى طالب وقد جاءه فى حاجة له : ان كانت لك حاجة فارسل أو اكتب بها فانى أستحى من الله ان يراك على بابى » .

وقد جاء فى الحديث الشريف اربعة أنالهم شفيع يوم القيامة، المكرم للذريتى والقاضى حوائجهم والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا اليه والمحب لهم بقلبه ولسانه .

ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مخاصمة اهل البيت وبغضهم وقد أخرج بن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إستوصوا بأهل بيتى خيرا فانى مخاصمكم فيهم غدا ، ومن اكن خصيمه أخصمه الله ، ومن أخصمه الله أدخله النار » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وعدنى ربى فى أهل بيتى من اقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لا يعذبهم » .

وقال صلى الله عليه وسلم ان فاطمة بنت محمد أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « الزموا مودتنا أهل البيت فانه من لقى الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة لشفاعتنا والذى نفسى بيده لا ينفع عبدا عمله الا بمعرفتنا حقنا » .

ونذكر بمناسبة هذا الحديث الشريف أن الامام العلامة مفتى المسلمين زين الدين عبد الرحمن الخلال البغدادى الذى جاور بمكة المكرمة قال :

« ان بعض امراء تيمور لنك أخبره أنه لما مرض تيمورلنك مرض الموت اضطرب ذات يوم اضطرابا كثيرا واسود وجهه وتغير لونه ثم افاق فذكروا له ذلك فقال ان ملائكة العذاب أتته فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اذهبوا عنه فانه كان يحب ذريتى ويحسن اليهم فذهبوا .

ويقول الامام الشافعي فى أهل بيت النبى : ـ

يا آل بيت رسـول الله حبكم
فرض من الله فى القـرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخـر أنكم
من لم يصل عليكم لا صـلاة له

تفضيل أهل البيت :

فضل أهل البيت على من سواهم فى أمور منها :

تحريم الصدقة عليهم والاصطلاح على اطلاق لقب الأشراف عليهم دون غيرهم . ويختص أهل البيت كذلك بتكريمهم وتوقيرهم وايثارهم واعتقاد أن فاسدهم سيهديه الله . ويختصون أيضـا بأنهم أمان لأهل الأرض قال صلى الله عليه وسلم : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأمتى .

وأهل البيت أول من يدخل الجنة . كذلك فمحبة أهل البيت تبيض الوجه يوم القيامة وتطول العمر وضد ذلك بغضهم .

ويختص أهل البيت من أولاد فاطمة دون غيرهم من أولاد بنات الرسول بأنهم ينتسبون اليه صلى الله عليه وسلم نسبة صحيحة حيث يقول صلى الله عليه وسلم كل بنى أنثى عصبتهم لأبيهم ما خلى ولد فاطمة فانى أبوهم وعصبتهم .

كذلك فان مهدى آخر الزمان من نسل أهل البيت ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما .

أهل البيت فى القرآن : من هم ؟

نزلت الآية الكريمة من سورة الأحزاب (١) (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . اختلف أهل العلم فى أهل البيت من هم ؟ فقال عكرمة وعطاء وابن عباس هم زوجات النبى خاصة لا رجل معهن واستدلوا على ذلك بقوله تعالى فى الآية التى تلى الآية السابقة (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن)، فهذه الألفاظ تعطى ان أهل البيت نساؤه عليه الصلاة والسلام .

وقال فريق من العلماء ومنهم الكلبى أن أهل البيت هم على وفاطمة والحسن والحسين خاصة واستشهدوا بقول أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزلت هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فى خمسة فى وعلى وفاطمة والحسن والحسين .

ويستدل فريق آخر من العلماء على أن نساء النبى لسن من أهل البيت ، يستدلون بحديث أم سلمة حيث قالت أنه صلى الله عليه وسلم أرسل خلف على وفاطمة وولديهما رضى الله عنهم فجاءوا فادخلهم تحت كسائه ثم جعل يقول : « اللهم هؤلاء أهل بيتى اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » ، قالت أم سلمة يا رسول الله الست من أهل بيتك قال انت الى خير ، فقوله صلى الله عليه وسلم : « أنت لى خير ولم يقل بلى أنت منهم » يعنى أن نساءه لسن من أهل البيت وان أهل البيت هم أولاد على وفاطمة .

ولكن الثعلبى يرى أن أهل البيت هم بنو هاشم والمراد بالبيت بيت النسب فيكون العباس وأعمامه وبنى أعمامه من أهل البيت وأن الآية عامة فى جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم وروى

---

(١) الآية (٣٣) .

مسلم فى صحيحه عن زيد بن أرقم قال : قام رسـول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال :

« أما بعد يأيها الناس ، انما أنا بشر يوشك أن يأتى رسـول ربى فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، وحث على كتـاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتى أذكركم الله فى اهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، فقال له حصين : ومن اهل بيته يا يزيد : أليس نساؤه من أهل بيته . قال : قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصـدقة بعـده فقـال ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وال عباس . قال كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال نعم .

تشريف أرض مصر بمزارات أهل البيت :

ذكرت مصر فى القرآن الكريم فى أكثر من ثلاثين موضعا بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية وقد وردت فى مصر عدة أخبار منها ما روى عن كعب بن مالك عن أبيه قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما .

وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض فقال أبو بكر ولم يا رسول الله قال : لأنهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة .

فالمدينة المنورة تتشرف بقبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ومصر تتشرف كذلك باحتوائها أضرحة ومزارات أهل بيت الرسول الذى قال فيهم مثل أهل البيت مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق .

زيارة اضرحة أهل البيت :

أخذ الطواف حول قبور الصالحين قياسا على الطواف حول الكعبة الشريفة . ولئن كان الطواف حول الكعبة عبادة فانه حول الضريح عادة ، قال تعالى : (وليطوفوا بالبيت العتيق) ، وطواف المسلمين حول البيت العتيق للتبرك ، وامتثالا لأمر الله عز وجل . كذلك فان الطواف حول أضرحة الصالحين يكون طلبا للبركة فهذه الأماكن الطاهرة لا تبرحها الملائكة ، والدعاء فيها مستجاب بنص الحديث الشريف (أحب البقاع الى الله مساجدها) . لهذا كانت رغبة الصالحين أن يدفنوا بالمساجد . ويذهب الشيخ عبد ربه بن سليمان الى أنه ليس هناك ولى لله تعالى يجرى الله على يديه خرق العادات والنعم واظهار الكرامات الا ويكون من أهل البيت (١) .

جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة بضرورة الحرص على زيارة الأضرحة للموعظة وتذكر يوم الحساب وهى عامة كل أيام الاسبوع عند الحنابلة ، ومن عصر يوم الخميس الى طلوع شمس يوم السبت عند الشافعية ، وأيام الخميس والجمعة والسبت عند الحنفية والمالكية . ولا يقتصر ذلك الحرص من أئمة المذاهب الاسلامية على زيارة الغريب من مزارات الصالحين فحسب بل حثوا على قصد البعيد منها ، مع اعتبار قصد الروضة الشريفة أعظم المقاصد وطلبا لتحقيق المآرب من الولى .

وتمييزا لمقام الصالحين شيدت القباب على الأضرحة والقبور استنادا الى قول الرسول عليه السلام : « ضعوا على قبر صاحبكم علامة » ، والمقصود هنا سيدنا سعد بن عبادة الذى ارتضاه يهود خيبر حكما بينهم وبين الرسول الكريم ، قال فيه صلى الله عليه

---

(١) فيض الوهاب فى بيان اهل الحق ومن ضل من الصواب جـ ٢ ص ١٢٩ .

وسلم « اهتز العرش لموت سعد » .. وصار الأمر من بعد ذلك وضع علامة على قبور الصحابة والصالحين لتمييزهم عن سواهم فى البقيع ، ودأب المسلمون على تمييز القبور ، وتدرجوا رقيا بأن احتوت العلامة على اسم صاحب القبر وسنة وفاته ثم شيئا عن صفاته الدنيوية ، واستخدموا بعد ذلك شواهد القبور التى اشتملت على آيات من القرآن الكريم وعبارات دعائية للمتوفى بعد البسملة والتعريف بصاحب القبر . وكانت فى أقصى تطورها نزينها بعض الزخارف الاسلامية البديعة .

ومن آداب الزيارة أن يتضرع الزائر بتلاوة القرآن والأدعية بما ينفع الميت ، ومن هذه الأقوال « اللهم رب الارواح الباقية ، والأجسام البالية والشعور المتزقة ، والجلود المقطعة والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة ، انزل عليها روحا منك وسلاما منى » .

يقول الشعرانى (١) فى الأنوار فى صدد آداب الزيارة : « هى التشوق الى المزور والجزم بفضله وطهارته من المعاصى المصوية

(١) هو الامام الفقيه العابد المحدث الصوفى عبد الوهاب بن احمد بن على بن احمد بن محمد الشعراوى الشافعى ، ولد سنة ٨٩٨ هـ فى ناحية قلقشندة وبعد اربعين يوما من ولادته انتقلت به والدته الى قرية ابيه وتعرف بساقية أبى شعر ،

وفى سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) قدم مصر ودرس الحديث ثم اتجه الى التصوف وكان يفتح الذكر بعد العشاء ولا يختمه الا بعد طلوع الفجر وزاد عدد مريديه خلف لنا الشعرانى سبعين مؤلفا اهمها مختصر الفتوحات والطبقات الثلاث ومشارق الأنوار القدسية فى العهود المحمدية ويقع مسجده بشارع الشعرانى البرانى بباب الشعرية بالقاهرة .

والحسية والتماس بركة دعائه وخلوص النية بأن يكون الباعث على الزيارة امتثال أمر الشارع وحفظ اللسان من الوقوع فى أعراض الناس وان كان هذا عمدا ، وان خلت الزيارة من هذه الآداب والتوسل الى ربك فلا نفع بها ولا ثواب ؛ بل هى تكلف ونفاق ، واذا زرت بحسن القصد وحسن الأدب والتوسل الى ربك ان كان من الموتى وكان من أهل الله فانه لا بد لك من المدد الأوفر فان الله سبحانه وتعالى قيد وكل بقبور الاكابر ملائكة يقضون حوائج الزائرين لأن اهل الله محل الكرم والسخاء احياء وامواتا ، ومن دخل بيت كريم لا يرجع من غير مدد ولا سيما ان كانوا من اهل البيت رضى الله تعالى عنهم » .

وقال أيضا فى مننه فى شأن زيارة اهل البيت : « ومما من الله تبارك وتعالى به على زيارتى لأهل البيت الذين دفنوا فى مصر كلهم أو رؤوسهم فقط ، ازورهم فى السنة ثلاث مرات بقصد صلة رحم رسول الله عليه الصلاة والسلام ولم ار أحدا من أقرانى يعنى بذلك اما الجهله بمقامهم واما لدعوة عدم ثبوت كونهم دفنوا فى مصر وهذا جحود فان الظن يكفينا فى ذلك » .

وينبغى على الزائر اذا دخل ضريحا من أضرحة أولياء الله الصالحين وخاصة أضرحة من كان من آل البيت منهم ان يقول « بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد . اللهم انك قد ندبتنى لأمر قد فهمته وقلته وسمعته وجعلته أجرا لنبيك محمد عليه الصلاة والسلام ، اذ هديتنا به اليك ودللتنا به عليك وكان كما قلت بالمؤمنين رحيما ، وتلك

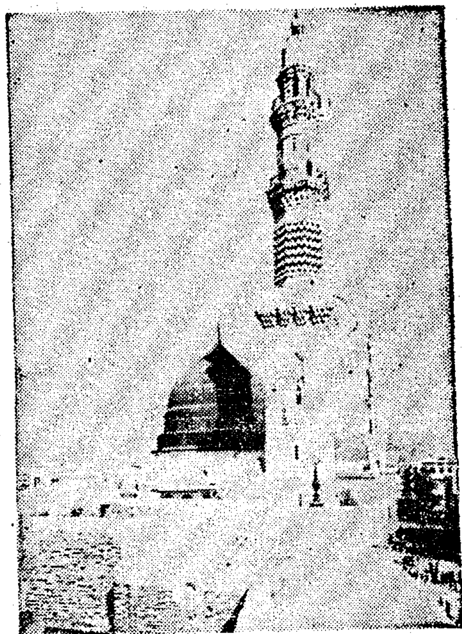
الفريضة التى سألتها له وهى المودة فى القربى اللهم انى مؤديهــا مريدا النفع فى دينى ودنياى متوسلا بها اليك يوم انقطاع الأسباب اللهم زدهم شرفا وتعظيما ، وهب لى بزيارتهم ثوابا ومغفرة واجرا عظيما . السلام عليكم يابنى المصطفى يا بنى فاطمة الزهراء اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد ، اللهم بلغنى ما أملت وما رجوت وأعد على المسلمين من بركاتهم يا رب العالمين .

ودعاء اهل البيت مستجاب فى برزخهم كما فى حياتهم فهدايتهم متصلة من أجل مرضاة الله ، فهم النور والنبراس المضىء .

بسم الله الرحمن الرحيم

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »

صدق الله العظيم



شكل (١) القبة الخضراء للحرم النبوى الشريف

المسجد النبوى الشـــــــريف

بالمدينة المنورة

مدخل لدراسة مسجد الرسول الكريم

اول جامعة اسلامية :

كان العرف السائد بين القبائل العربية قبل تشييد مسجد الرسول عليه السلام بالمدينة أن لكل قبيلة ناديها الذى تجتمع فيه للسمر وتبادل الآراء فيما بينهم من أمورهم العامة والخاصة ــ ثم أصبح المسجد الذى شيده الرسول عليه السلام هو المكان الذى يباشر فيه المسلمون الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والعيدين ، كما أصبح المسجد المكان الذى يتعلم فيه المسلمون شئون دينهم ، ويتلو عليهم الرسول ما يوحى اليه ، وينظر فيما شجر بينهم من خصومات ويحكم فيها وفق ما أنزله الله عز وجل ، كما كانت تعقد ايضا بالمسجد الألوية للجيوش ويستقبل فيه الرسول الوفود ، بالاضافة الى ما كان يتم فيه من صفقات البيع والشراء ، واقامة الحفلات الدينية .

ومن هنا يعتبر المسجد النبوى عاملا هاما فى التوحيد بين المسلمين ودعامة أساسية فى ترابط المجتمع الاسلامى الجديد فى قصر الرسول عليه الصلاة والسلام .

وأصبح مسجد الرسول فى المدينة المنورة يمثل القلب النابض للمدينة وما حولها بكل ما يمثله التعبير من معانى روحية تذكر المسلمين بأيام الجهاد فى الدور الأول للاسلام والهجرة النبوية الشريفة والمثل الصادق فى شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ولقد شيد المسجد النبوى الشريف فى المدينة المنورة التى لاسمها فى القلوب والأرواح أعظم الأصدقاء وأوقع الاثر عند المسلمين منذ ان اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون مهجر رسوله الامين عليه

الصلاة والسلام ، رغم أنها لم تكن الهجرة الأولى فى تاريخ المسلمين فقد سبقتها هجرتان الى الحبشة وهجرة ثالثة الى الطائف ولكن شاء المولى عز وجل أن تكون الهجرة الى المدينة المقدسة لبداية النصر المؤزر .

وتقع المدينة (١) على ارتفاع يتراوح ما بين ٦٠٠ ، ٦٥٠ مترا عن سطح البحر فى سهل منبسط خصيب تحيطه الجبال والمسالك الوعرة عدا الجهة الشمالية والشمالية الغربية منها ، والمدينة تقع أيضا على ملتقى طرق القوافل المسافرة للتجارة الى الشام منذ زمن بعيد ، وهى مدينة قديمة يرجح أن سكنها العمالقة عام ٢٢٢٢ قبل الهجرة ، وأصبحت بعد الاسلام دار الهجرة ساهم حسن موقعها فى أداء دورها فى نشر الاسلام ، ولذلك استقبلت الرسالة المحمدية بجدارة ودافعت بكل ما تملك فى سبيل حمايتها ونشرها وتشرفت بان تظل عاصمة الاسلام خلال أربعين عاما ومنطلقا لجيوشهم نحو الأمصار الجديدة .

مسجد الرسول عليه السلام بالمدينة :

استأذن سيدنا أبو بكر الرسول عليه السلام فى الهجرة واللحاق بالمسلمين الذين سبقوه مهاجرين الى المدينة ، فأمره الرسول الا يعجل عسى أن يجعل الله له صاحبا فطمع الصديق فى صحبة رسول الله ، وأخذ يعد العدة ويشوق نفسه الى الهجرة واشترى من أجل ذلك بعيرين وأطعمهما استعدادا ليوم الرحيل ، فلما أذن الله عز وجل بالهجرة أخبر الرسول الصديق بذلك حيث طلب من الرسول عليه الصلاة والسلام الصحبة فى الهجرة . وكان رجال القبائل اللذين وكل اليهم أمر القضاء على الرسول ينتظرونه خارج داره ،

(١) وصفها ياقوت الحموى فى معجمه بأنها : « طيبه الريح ، وللعطر فيها فضل رائحة لا توجد فى غيرها ، وليس ذلك بكثير عليها فهى المدينة التى قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم عندما خرج من مكة مهاجرا » : « اللهم انك إخرجتنى من أحب ارضك الى فأنزلنى أحب ارض الله اليك » .

ولما علم الرسول بأمرهم امر عليـــا بن ابى طالب ان ينسجى برده الاخضر وان ينام فى فراشه ليوهم من ينظر الى فراش الرسول منهم من ثقب فى جدار داره انه عليه الصلاة والسلام ما زال نائما لم يبرح فراشه . وكان المتآمرون كلما ابصروا هذا المدثرظنوه محمدا فيقولون لبعضهم انا لمنتظرون ، لكن الرسول لم يكن لينام الى هذا الوقت اذ أمره ربه بالهجرة ، فقد سارع عليه الصلاة والسلام الى باب داره يفتحه والى المشركين يغبر بالتراب رؤسهم فتغشى أبصارهم ــ فمر من بينهم متجها الى حيث شاء الله ، ولم يفق الكافرون الا على صوت رجل يسألهم عمن ينتظرون فيجيبوه : ننتظر محمدا فيقول لهم: «خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ ! » فاذا بهم يضعون أيديهم على رؤسهم فاذا بالتراب عليها كما أخبرهم محدثهم فسارعوا الى فراش الرسول يرفعون الغطاء ليروا هذا النائم فى الفراش فاذا بهـم أمام على بن أبى طالب لا محمد بن عبد الله ، فذهلوا وكادت تذهب عقولهم لا يصدقون ما سمعوه ورأوه وأخذوا يتلاومون .

توجه الرسول عليه السلام الى بيت الصـــديق بعد أن ترك عليا يؤدى عنه هذا الدور البطولى وليوزع ما أودعه اياه الرســول من أمانات الى أصحابها . وخرج الصاحبان قاصدين المدينة تحت ستار الليل حتى بلغــا غار ثور بأسفل مكة فدخلاه ليختبآ فيــه من قريش ، وكان عبد الله بن ابى بكر ينقل اليهما حين يلقاهما فى المساء ما تتآمر به قريش عليهما ، اذ حاولت يائسة أن تتعرف على مكانهما وقد نما الى علمها هذا الغار الذى فيه محمد وصاحبه ، ولكن شاء الله أن يكونوا على بضع خطوات من رسوله المصطفى ثم هم لا يستطيعون له قتلا ولا أسرا ، وما كل ذلك الا ليضرب الله له ولصاحبه أروع المثل فى نصره لعباده الصالحين المخلصين .

وكانت قريش قد جعلت لمن تأتيها برسول الله قتلا او أسيرا مائة ناقة فضاعف الكافرون جهد البحث ، وتمكن احدهم من أن يتعرف على الرسول وصحبه وهما فى الطريق الى يثرب فسارع الى دار الندوة يبشر بالخبر كبراء قريش ، غير أن سراقة بن مالك أسكته القول وكذبه امام القوم وقال : ان هؤلاء الذين فى الطريق الى يثرب قوم آخرون وليسوا بمحمد وصحبه ، ولم يكن كذب ما أدعى سراقة الا ليظفر لنفسه بالنوق وكذب من اجل نغبنه الرجل ، وضلل القوم حتى يقذفوا بقول الأعرابى ولا يستطيع بعد ذلك أن يقاسمه فى طلب الرسول أحد ، وامتطى سراقة جواده ، وشهر سيفه ، وانطلق يسابق الريح حتى بلغ الرسول عليه السلام وحاول الظفر به لكن غاصت قدما فرسه فى الرمال ، وانتفض قائما يريد أن يستهين بالصعاب مجددا العزم على نيل الشرف لكن فرسه هذه المرة كبا به وقذفه على رمال الصحراء واحجارها تذيقه شيئا من الألم ، وكان سراقة كلما أعاد الكرة قذف به جواده ليرتطم بالأرض فخاف على نفسه من الهلاك مؤثرا الحياة على الموت ، وقرر الرجوع خاسرا دون أن يظفر بنوق أو يهنأ بشرف .

ويمضى الرسول وصاحبه وقد زادهم الله ايمانا فوق ايمانهم وبلغ قرية قباء لاثنتى عشرة ليلة خلت (١) من ربيع الأول وأقاما بها اربعة أيام فى ضيافة بنى عمرو بن عوف .

وفى قباء ، أمر الرسول أن يبنى أول مسجد فى الاسلام ، ولهذا المسجد اهميته فى تاريخ المسلمين فلقد كان أول مسجد اسس على التقوى ، ولقد أنزل فيه الله سبحانه وتعالى قوله : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون

---

(١) درج العرب فى كتابة التواريخ انه اذا كانت فى اول الشهر ، او مضى منه عدة أيام يستخدم لفظ « خلون » أو « خلت » بمعنى انقضت . أما فى نهاية الشهر فيستخدم لفظ « بقين » .

أن يتطهروا والله يحب المطهرين » . ولقد نقل الرسول عليه السلام بنفسه فى بناء هذا المسجد الحجر والتراب والصخر . وفيه قال الرسول : « من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان كأجر عمرة » . كما ورد فى الصحيح أن الرسول عليه السلام كان يأتى هذا المسجد كل سبت راكبا وماشيا . وعلى بعد ٤٢ مترا غرب هذا المسجد تقع بئر الخاتم أو بئر أريس أو بئر النبى عليه الصلاة والسلام .

ويجمع المؤرخون على أن مسجد قباء هو أول مسجد بنى فى الاسلام والذى يقال له مسجد التقوى استنادا الى قوله تعالى «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم» . ويروى أبو سعيد الخدرى أن النبى عليه السلام حين سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى قال : هو مسجدى أى مسجد المدينة . أما السهيلى فيرى فى قوله تعالى . (من أول يوم) أنه مسجد قباء نظرا لأن تأسيسه كان من أول يوم حل فيه الرسول الكريم دار هجرته ويذكر ابن ابى خيثمة ان الرسول عليه الصلاة والسلام حين اسسه كان هو أول من وضع حجرا فى قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضع الى جانب حجر أبى بكر ، بعدها أخذ المسلمون فى البنيان . ويرى البعض أن المتقدمين فى الهجرة من المسلمين هم الذين اقاموا هذا المسجد فى قباء ، وكانوا يتوجهون فى صلاتهم الى بيت المقدس اولى القبلتين .

وكان أهل المدينة فى تلك الأيام يرجون مقدم رسول الله ، فيخرجون بعد صلاة الصبح من كل يوم الى ظاهر مدينتهم لايبرحون أماكنهم فتقذفهم حرارة الشمس الى الظلال ، ثم لا يبرحون مكان الظل حتى يذهب فيدخلون منازلهم ولم ينعموا بعد بشرف لقاء رسول الله ، وتمضى بهم الأيام وهم على هذا الحال حتى اذا ما كان يوما شديد الحر طال انتظارهم حتى كادت الشمس تغيب وبينما هم فى طريق عودتهم الى بيوتهم اذا بصوت يناديهم هذا

جدكم (١) قد جاء فسارع القوم فى حرقة الشوق وفرحة اللقاء فأنشدوا مرحبين به « طلع البدر علينا من ثنيات الوداع .... » كما تسابقوا الى شرف استضافة الرسول وكلهم يود أن يحظى بهذا الشرف .

وكان الرسول عليه السلام اذا ما مر بقبيلة استوقفت راحلته ودعته للنزول عليها حيث العدد والعدة والمنعة ، ولكنه كان يقول لهم : « خلو سبيلها فانها مأمورة » (اى الناقة) فكانوا يطلقونها حتى بركت فى مربد لتجفيف التمر لغلامين يتيمين من بنى النجار فى حجر أسعد بن درارة الانصارى ، فنزل الرسول وسأل عن المربد فقيل له « يا رسول الله انه لسهل وسهيل ابنى عمرو وهما يتيمان » فابتاع ارضه الرسول صلى الله عليه وسلم بعشرة دنانير لبناء هذا المسجد المبارك .

وشرع الرسول وصحابته الكرام فى اقامة بناء المسجد ويرغبون بقية المسلمين فى العمل وأقيمت المساكن من حول المسجد لايواء هؤلاء وقداستغرق اقامتها سبعة شهور قضاها الرسول عليه الصلاة والسلام فى ضيافة ابى أيوب خالد بن الأنصارى . وخط الرسول الخطط لأصحابه من المهاجرين فى الأرض التى وهبتها لهم الانصار ، وقد أذن الرسول لفقراء المسلمين الذين ليس لهم عشائر أن يناموا فى المسجد ، وكان الرسول يدعو طائفة منهم لتناول الطعام معه ويقوم أصحابه باطعام الآخرين .. وقد عرف هذا الفريق من المسلمين بأهل الصفة . وكان الرسول قد أقام لهم فى الركن الشمالى الغربى من فناء المسجد ظلة يحتمى بها الفقراء من أصحاب الرسول والذين عكفوا على تعلم الدين والرواية عن الرسول عليه السلام .

يقع المسجد النبوى الشريف فى وسط المدينة المنورة تقريبا ، وأصبح كل موقع فى المدينة يستمد أهميته من قربه أو بعده منه

---

(١) حظكم وصاحب سعدكم

بنى الرسول وصحابته جدرانه من اللبن ، وسقف جزء منه بسعف النخيل والطمى ، وكانت هذه الجدران لا تعلو على قامة رجل . وبلغت مساحة المسجد فى المرحلة الأولى ٣١٫٥ × ٢٧٫٥ مترا مربعا .

وبعد أن تلقى الرسول الكريم الأمر من ربه فى النصف من شعبان للسنة الثانية من الهجرة باتخاذ الكعبة قبلة يتجه اليها فى صلواته حيث كان يتجه الى بيت المقدس ، فقد حدث تطور معمارى بالمسجد حين اضاف الرسول ظلة ثانية فى الجهة الجنوبية وجعل وسط جدارها الجنوبى علامة تعين موضع القبلة .

وبعد عودة الرسول عليه السلام من فتح خيبر فى السنة السابعة للهجرة وسع المسجد ليصبح مساحته ٤٥ × ٤٥ مترا مربعا لازدياد عدد المسلمين وحاجة المسجد الى التوسعة . .

وقبل السنة السابعة للهجرة لم يكن للمسجد النبوى الشريف منبرا ، فأشار الصحابة على الرسول أن يتخذ له منبرا فوافق ، واتخذ منبرا صنع من خشب الاثل يتكون من ثلاث درجات ، كان عليه الصلاة والسلام يجلس على الدرجة الثالثة حين كان يخطب للجمعة ، وبعده كان خليفته أبو بكر الصديق يجلس على الدرجة الثانية ، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب يجلس على الدرجة الأولى وقدماه على الأرض . ولقد أصاب المنبر تطور بعد ذلك فى عهد بنى امية ، وعن الرسول الكريم قوله : «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» وفى رواية اخرى « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

ولم يكن للمسجد محراب مجوف ، وكان الرسول فى صلاته قبل الهجرة الى المدينة يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فكان يستقبل وسط جدار القبلة الى الموضع الذى فيه الحجر الاسود ، ولهذا لم يكن يظهر توجه الرسول فى صلواته الى بيت المقدس الا بعد هجرته

الى المدينة ، وظل الرسول يتجه في صلاته جهة بيت المقدس ستة عشر شهرا ، وكان يود لو يتجه جهة الكعبة ، فكان اذا ما صلى عليه الصلاة والسلام يرفع رأسه الى السماء داعيا الله عز وجل أن تكون قبلته جهة البيت الحرام فنزلت عليه هذه الآية الكريمة « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

وحين زارة الرسول عليه الصلاة والسلام أم بشر في بنى سلمة صنعت له طعاما ثم حانت صلاة الظهر فصلى بأصحابه ركعتين ثم أمره الله عز وجل أن يتوجه الى الكعبة ، فاستدار عليه السلام الى الكعبة يتخذها قبلته واستقبل الميزاب الذى لا يزال موجودا فى هذا المسجد الذى سمى بمسجد القبلتين . ويقع هذا المسجد على احدى الهضاب المرتفعة فى بداية الحرة الغربية الشمالية وهو الذى شهد تحول القبلة من الاتجاه الى بيت المقدس شمال المدينة المنورة الى مكة المكرمة جنوبا كما أشرنا ، وكان ذلك فى الخامس عشر من شعبان من السنة الثانية للهجرة وبعدها اشتد استياء اليهود من الرسول وقالوا له : « يا محمد ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم انك على ملة ابراهيم ، ارجع الى قبلتك التى كنت عليها نصدقك ونتبعك » ، فأنزل الله فيهم هذه الآية الكريمة (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) .

وكان عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين أول من استحدث المحراب المجوف فى مسجد الرسول وفى العالم الاسلامى كله كما ذكر السمهودى فى وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، وأن اقباط مصر بنوا مقدم المسجد النبوى وان الروم بنوا جوانبه ومؤخره فكان المحراب اذن فى الجزء الذى بناه اقباط مصر .

ولم يكن للمسجد النبوى الشريف فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام مئذنة لان المآذن لم تكن قد عرفت بعد، فكان الرسول يامر سيدنا بلال كى يؤذن للصلاة من فوق اسطح المنازل العالية المجاورة للمسجد كما كان للمسجد فى عهد الرسول ثلاثة ابواب لاتزال تعرف بأسمائها حتى اليوم وهى باب جبريل وباب النساء وباب الرحمة . والى الجنوب الشرقى من المسجد النبوى الشريف تقع الحجرات المطهرة التى تضم بيوت امهات المؤمنين رضوان الله عنهن ، وفى مقدمتهن الصديقة بنت الصديق حيث دفن رسول الله عليه الصلاة والسلام ورفيقاه الصديق والفاروق رضى الله عنهما فى بيتها .

ومنذ السنة التاسعة للهجرة علقت قناديل الزيت بسقف المسجد لاضاءته ليلا حيث كانت صلاة المغرب والعشاء قبل ذلك تقام على ضوء نار توقد من جذوع النخيل .

وقد حرف فيما بعد ركنا قبر الرسول الشماليان وبنيت حوله حيطان مرتفعة مستديرة حتى لا يتمكن من استقبال قبر الرسول احد فى الصلاة ، بالاضافة لما يوجد فى المسجد من محراب للرسول ومنبره الشريف فانه هناك بلا شك العديد من الذكريات الخالدة التى توحى بأروع الأحاسيس وتؤثر فى وجدان المسلمين وتذكرهم بالسنوات الأولى فى حياة رسولهم الكريم وهجرته الشريفة ، كما تعيد الى الاذهان ما تحلى به سيد الخلق من محبة سابغة ، وخلق رفيع ومودة سامية ، وعطف كريم ، ونصح صادق وجهاد قوى فى سبيل الله فيوحى بيت رسول الله ومصلاته ومنبره بالشوق لمغداه ورواحه ومحرابه وشتى البقاع العطرة التى لمسها او وطئتها اقدامه الطاهرة ، فهو للناس جميعا نور وحى السماء ، وراية الحق المرفوعة التى زلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة .

واذا ما صلى الانسان فى الروضة المطهرة تتابعت مشاعر روحية عجيبة وهو يرى آلاف المسلمين فى خشوع ووقار تدنو من بيت رسولهم الحبيب تلبى ما امر به الوحى والتنزيل ، والرسول عليه

الصلاة والسلام يغدو ويروح بنوره المندفق ومهابته تحفه مواكب الخير والحب والرضوان .

وإذا اتجهنا الى الجنوب الشرقى للمسجد النبوى الشريف الى اليمين من شارع الملك عبد العزيز آل سعود نجد الساحة الفسيحة العريقة المسماة ببقيع الفرقد ، حيث رفات ما يقرب من عشرة آلاف من صحابة الرسول الكريم وفق رواية القاضى عياض عن مالك رضي الله عنه ، كما توجد قبور العديد من آل بيت النبى عليه السلام وزوجاته الطاهرات رضوان الله عليهن .

التجديدات والتوسيعات للمسجد النبوى الشريف :

عني الخلفاء الراشدون ، والأمراء المسلمون والسلاطين والمماليك تعمارة وتوسعة المسجد النبوى الشريف منذ أن شارك الرسول الكريم فى وضع اللبنة الأولى فيه ، فقد تعاقب على عمارته الخليفتان الراشدان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، ثم الوليد بن عبد الملك، والخليفة العباسى المهدى ، وسلطان المماليك بمصر الاشرف قايتباى ثم السلطان العثمانى عبد المجيد خان ، فالعمارتان الكبيرتان فى عهد الدولة السعودية والتى لا يزال العمل جاريا فى التوسعة الأخيرة منهما للحرم النبوى الشريف .

وبدات عمارة المسجد فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فقد قام بتجديد بنايته واتخذ له عمدا من الخشب ، وأنشأ به ستة أبوابه وزاد فى عمق ظلة القبلة كما زاد فى جوانب صحن المسجد الثلاثة ثلاث ظلات أخرى . وزاد عثمان بن عفان أمير المؤمنين فى مساحة المسجد فجعلها ١٦٠ × ١٥٠ ذراعا ، وبنى جدرانه من الحجارة المستوية ، كما اتخذ للمسجد عمدا من الحجارة وأقام له سقفا من خشب الساج ، وظلت أبوابه ستة كما كانت فى عهد سلفه عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وفى خلافة الوليد بن عبد الملك بعث الى عمر بن عبد العزيز واليه على المدينة يأمره بتجديد المسجد النبوى وادخال مساكن امهات المؤمنين فيه بعد أن كانت حوله ، كما طلب اليه أن يشترى الدور التى كانت حوله ليتسع المسجد ويصبح مساحته ٢٠٠ x ٢٠٠ ذراعا وقد امده بمهرة العمال والبنائين من مصر والشام لاتمام ذلك . وكان الوليد بن عبد الملك قد طلب من امبراطور الروم أن يساعده فى تجديد مسجد الرسول فبعث اليه الامبراطور بمائة عامل وألف مثقال من الذهب ، ومقادير كثيرة من الفسيفساء نقلت على أربعين جملا ، وجعل عمر بن عبد العزيز فى الضلع الشمالى اربعة أروقة فى كل منها صف من سبعة عشر عمودا ، وأحاط الصحن بسقفة شرقية وأخرى غربية (١) ، وأقام فوق هذه البوائك شرفات تحيط بصحن المسجد من جوانبه الأربعة وبينها فرج تشبه طاقات الشباك .

وقيل أن عمر بن عبد العزيز جعل للمسجد أربعة مآذن فى كل زاوية منه مئذنة ، كما جعل فى بيت الصلاة مقصورة من خشب الساج بدلا من تلك التى جعلها عثمان بن عفان والتى صنعت من الحجارة .

وقد عمل صالح بن كيسان أساس المسجد من الحجارة ، وكذا جدرانه من الحجارة والحصى ، أما عمد المسجد فقد عملت من الحجارة ايضا محشوة بعمد الحديد والرصاص وليس عليها عقود كما مدت فوقها سقف خشبية ، وأصبح لبيت الصلاة خمسة أروقة بكل منها صف يتكون من سبعة عشر عمودا .

ولم يزل المسجد على حاله فى العصر العباسى الى أن هم الخليفة ابو جعفر المنصور بزيادة فيه ثم توفى (٢) . وفى عهد الخليفة المهدى العباسى عهد بتوسعة المسجد الى ابى عبد الله بن عاصم وعبد الملك ابن شبيب الغسانى ، وبوفاة ابن عاصم عين الخليفة المهدى مكانه

---

(١) د/احمد فكرى : المدخل الى مساجد القاهرة .

(٢) بدائع الزهور فى وقائع الدهور .

عبد الله بن موسى الحمصي وذلك سنة ١٦٠ هـ وبلغت هذه التوسعة مائة ذراع بالاضافة لزخرفة مؤخر المسجد بالفسيفساء .

وزاد الخليفة المأمون العباسي في المسجد ، وأمر بزخرفته ، وترميم بنيانه سنة ٢٠٢ هـ . كما أمر الخليفة المتوكل بعمل مرمة للمسجد سنة ٢٢٧ هـ . وبعده امر الخليفة المعتضد بالله بتجديد عمارة المسجد سنة ٢٨٣ هـ حيث ظلت مساحته على حالها الى ان احترق سنة ٦٥٤ هـ زمن السلطان المملوكى أيبك التركمانى .

وطوال عصر المماليك كان المسجد النبوى الشريف موضع رعاية واهتمام سلاطينهم فقد جدد المسجد فى السنوات التى تلت احتراقه ٦٥٥ هـ ، ٧٠٥ هـ وتم خلالها زيادة أروقة القبلة رواقين .

وتعد عمارة السلطان الأشرف قايتباى من اهم التجديدات التى حدثت للمسجد النبوى الشريف ، فقد ذكر ابن أياس فى وصفه لحوادث سنة ٨٨٦ هـ النص التالى : « وفيه جاءت الأخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بأنه فى ليلة الثالث عشر من رمضان سقطت صاعقة عظيمة فى أواخر الليل على المسجد النبوى الشريف فاحترقت منه المنارة التى تقع تجاه الحجرة النبوية واحترقت سقوف المسجد جميعها والمنبر والحيطان والأعمدة والأبواب وما سلم من ذلك الا القبة الشريفة وبعض حيطان المقصورة كما ذكر ابن أياس أن المؤذن الذى تصادف ان كان على المئذنة وقت حدوث الصاعقة قد قتل ، كما حدث ما يماثل ذلك لجماعة كانت فى الحرم الشريف وقد سجلت هذه الواقعة وحين بلغت تفاصيلها الى السلطان قايتباى بكى هو ومن فى مجلسه ، ودهش الجميع لما أصاب هذا الموضع الشريف واصدر السلطان قايتباى أوامره بعمل التجديدات اللازمة للمسجد ، وعين لذلك الأمر الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن وجمع له مهرة البنائين والنجارين والمرخمين ، كما أمر باعادة بناء القبة الشريفة بعد ازالتها على أن تعمل من الحديد المخرم بدلا من الخشب كما شملت تجديداته أيضا المآذن

والمنبر وقد انتهت هذه العمارة الكبيرة للمسجد سنة ٨٠٧ هـ وبلغت تكاليفها حوالى مائة الف دينار » . وبالاضافة للتجديدات السابق ذكرها التى تمت على يد السلطان قايتباى ، فانه تجدر الاشارة الى ما قام به من تشييد مدرسة تطل على الحرم النبوى الشريف .

وفى شهر شعبان المبارك من سنة ٨٨٨ هـ نصبت المقصـــورة الجديدة فى حوش المسجد وكانت تزن أربعمائة قنطارا من الحديد ، وقد نقلت الى المسجد الشريف على سبعين جملا ، كما ارســل السلطان مع المقصورة مصحفا كبيرا حمل بمفرده على جمل وقد كتب هذا المصحف الشريف أشهر خطاطى عصره شاهين النووى ولكنه توفى قبل ان ينتهى من كتابته وأكمله من بعده الشيخ خطاب بأمر السلطان ، وقد ظل هذا المصحف مودعا الحجرة النبوية الشريفة حتى أواخر القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) .

كانت مصر وقت أن كانت دار خلافة المسلمين تساهم بالجزء الأكبر من عمـارة المسجد ، وحين آلت الخلافة الاســلامية الى العثمانيين قام السلطان سليم الثانى بعمارة المسجد النبوى الشريف وشيد له محرابا جميلا لا يزال قائما حتى اليوم ويقع غرب المنبر النبوى (١) . وفى القرن الثالث عشر الهجرى بنى السلطان محمود القبة الخضراء .

وقام السلطان العثمانى عبد المجيد خان باعادة عمارة المسجد، فزيد فى الجدار الشمالى ما يكفى لبناء مخازن واحواض للوضوء ، واقيمت المئذنة المجيدية على الطراز العثمانى وتعد هذه العمارة اكبر التجديدات والتوسعات التى حدثت فى المسجد النبوى ، وقد اكتملت عام ١٢٧٧ هـ وتكلفت حوالى ثلاثة ارباع المليون من الجنيهات المجيدية .

وتمت ثانى اضخم توسعة للمسجد بعد عمارة السلطان عبــد

(١) د/سعاد ماهر . مساجد مصر وأولياؤها الصالحون

المجيد خان فى عصر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وبدات اعمال هذه التوسعة فى الخامس من شوال سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠) م واستمرت خمسة أعوام وقد شملت العمليات الفنية للانشاءات فى تلك التوسعة مساحة ١٢٢٧١ مترا مربعا ، وقد استدعى ذلك تعويض أصحاب الملكيات المنزوعة للدور المحيطة بالمسجد وشق الشوارع الجديدة - واصبحت مساحة المسجد بعد هذه التوسعة ١٦٣٢٧ مترا مربعا فى حين كانت مساحة المسجد وقت أن بناه الرسول عليه الصلاة والسلام ٨٦٠ مترا مربعا ، وقد بلغت تكاليف هذه التوسعة نحو سبعين مليونا من الريالات السعودية .

وتقوم حكومة جلالة الملك فيصل ابتداء من شهر المحرم سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) بالأعمال الانشائية لتوسعة أخرى حديثة وضخمة (١) تتطلب ازالة المبانى الواقعة غرب المسجد الشريف والتى تبلغ مساحتها ٣٠ الف متر مربع وتبدأ من شارع العينية جنوبا الى شارع الساحة شمالا ، وتعد هذه الأعمال الانشائية المرحلة الأولى فى التوسعة رصد للانفاق عليها خمسين مليونا من الريالات السعودية . وبعد انتهاء هذه المرحلة ستبدأ المرحلة الثانية للتوسعة وسيتم فيها ازالة ثلاثين مترا من المبانى الموجودة غرب الميدان بعرض المنطقة التى تمت ازالتها . وبعد اتمام هذه التوسعة الفيصلية ستزيد مساحة المسجد باضافة مساحة توازى ثلث مساحته الحالية ، ويشمل هذا المشروع الضخم مراحل أخرى تستهدف تغيير المعالم القديمة للمدينة المنورة لتعطى للمسجد النبوى ومدينة الرسول عليه الصلاة والسلام الطابع العمرانى الجدير بهما وبمكانتهما الدينية والتاريخية عملا بقول الرسول الكريم « كل ما أضيف الى مسجدى فهو مسجدى » . ذلك انه صلوات الله وسلامه عليه علم بأسرار الوحي أنه سيضاف الى مسجده حتى صار كما هو الآن .

(١) عدد خاص للأهرام عن المملكة العربية السعودية بمناسبة اليوم الوطنى للمملكة (سبتمبر ١٩٧٣)

آداب زيارة حضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام والدعاء المستحب :

عليك صلى الله يا علم الهدى	ما حن مشتاق الى مثواك
ياسيد السادات جئتك قاصدا	ارجو رضاك واحتمى بحماك
انت الذى من نورك البدر اكتسى	والشمس مشرقة بنور بهاك

ليكثر الزائر للنبى عليه الصلاة والسلام من الصلاة عليه فهو القائل : « من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ، ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ، ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ، ومن صلى على ألفا حرم الله شعره وجسده على النار » .

وكان الامام مالك رضى الله عنه يكره قول زرنا قبر الرسول عليه السلام ويحث على القول زرنا النبى صلى الله عليه وسلم على آله وجئنا من عند النبى الكريم ، وذلك لأن القبر تراب ، وانما زرنا النبى الذى يسمع دعاءنا ويرد السلام فلا فرق بين من زاره بعد الانتقال وقبله لأن فى الاولى لا يرى النبى عليه السلام ولكن النبى يراه ويسمعه ويعرفه .

ومن الاحاديث الصحيحة الاجماع عن سيد الخلق عليه السلام قوله : « من حج الى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتب له حجتان مبرورتان » (أخرجه الديلمى) .

وقال الجعفرى ان حضرة المصطفى عليه السلام أفضل من العرش واللوح والكرس والقلم ومن الكعبة ومقام ابراهيم والصفا والمروة وعرفات ، فمن وقف بعرفة كتب له حجة ، ومن زار الحبيب بعد ذلك حبا وشوقا واحتراما كتب له ثوابا بقدر ثواب حجتين ، وهذا الثواب باعتبار افضليته عليه السلام عند ربه غير أن زيارته لا تسقط الفرض الواجب .

والدعاء فى حضرة المصطفى كما ذكر الامام الجعفرى افضل من

استقبال الكعبة بيت الله لأن المصطفى حبيب الله ، وحبيب الله أفضل من بيت الله وقد قال عز وجل (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ، وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) .

ويحظى زائر الرسول فى المدينة بعشر كرامات هى اعتلاء أرفع المراتب وبلوغ أثنى المطالب ، وقضاء المآرب وبذل المواهب ، والأمن من المعاطب ، والتطهر من المعايب ، وتسهيل المصائب ، وكفاية النوائب ، وحسن العواقب ، ورحمة رب المشارق والمغـارب . ووجود مقام النبى فى الأرض له سبع فوائد هى :

● رفع العذاب عن اهل الأرض . قال تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) .

● ليكون فى روضته التى أعدها الله سبحانه وتعالى ، قال المصطفى : (ما بين قبرى وبيت عائشة روضة من رياض الجنة) .

● لتزوره أمته وتسلم عليه ويفرح بذلك ويرد عليهم . قال عليه السلام : (من صلى على قريبا سمعته ومن صلى على نائيا أبلغته) .

● لتزداد أمته ايمانا وحبا عند رؤية الروضة .

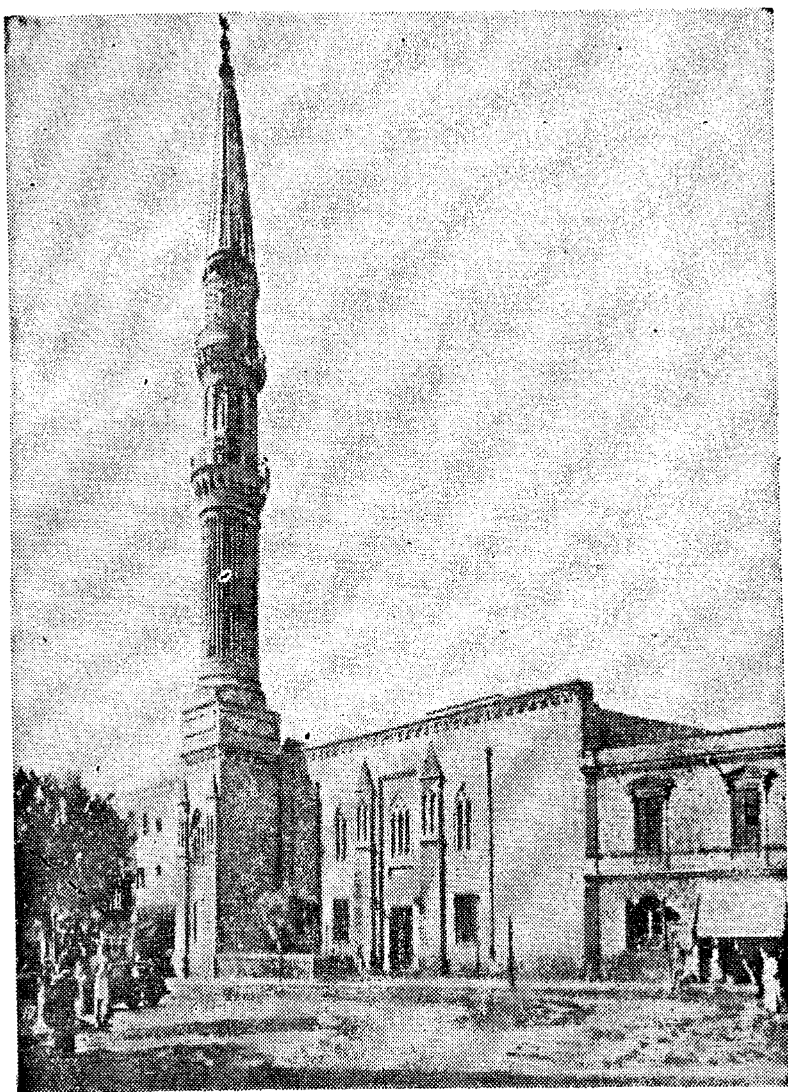
● ليشفع للزائرين له ، قال عليه السلام : (من زارنى وجبت له شفاعتى) .

● ليصلى لربه وتنزل البركة فى الأرض ، قال عليه السلام : (الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون) .

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تعرض على أعمالكم فان وجدت خيرا شكرت الله وان وجدت غير ذلك استغفرت الله لكم) .

● وخير دعاء يختم به الزائر للمصطفى عليه الصلاة والسلام هو السلام على رسول الله (السلام عليك يا سيدى يا رسول الله

يا خير خلق الله وخيرتهم يا حبيب الله ، ياسيد المرسلين ، يا امام المتقين ، أشهد انك بلغت الرسالة واديت الأمانة وجاهدت فى الله حق جهاده اللهم انى اسألك واتوجه اليك بنبينا رسول الرحمة والهدى يا محمد انى اتوجه بك الى ربك فى حاجتى لتقضى . اللهم ارزقنى رزقا طيبا ولا تجعل آخر العهد بنبيك الكريم . السلام عليك ياصفوة الله . انت الذى أنزل الله عليك « ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » وقد ظلمت نفسى وها انا قد أتيتك استغفر من ذنبى فاشفع لى عند ربى) .



شكل (٢) الواجهة الرئيسية للمشهد الحسينى بالقاهرة

مشهد الامــــام الحسينى بالقاهــرة

ان الذى كان نورا يستضاء به   بكربلاء قتيــل غيــر مدفون
سبط النبى جزاك الله صالحه   عنــا وجنبت خسران الموازين
فقــد كنت لى جبلا الوذ به   وكنت تصحبنا بالرحم والدين

(الرباب زوجة الحسين)

● الامام الحسين سيد شباب أهل الجنة ، هــو الحســين بن على بن ابى طالب بن المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته ، وشبيهه ، أبو الشهداء وامام القدائيين شهيد الكرامة . ولد رضوان الله عليه لخمس ليال خلون من شهر شعبان المبارك للسنة الرابعة الهجرية بعد عامين من ولادة أخيه الحسن وبين افراح المسلمين بجلاء يهود بنى النضير عن المدينة فكانت خير بشرى . أمه سيدة النساء فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلاة والسلام .

وفى ليلة ولادته لم يبارح الرسول عليه الصلاة والسلام منزل ابنته الزهراء حتى اطمأن عليها وعلى المولود وسماه حسينا وكان ابوه على كرم الله وجهه قد سماه حربا .

ولقد احب المصطفى عليه الصلاة والســلام حفيده الحسين وخصه بعطفه وكان يتألم لبكائه ويطالب من الزهراء حسن رعايته كما اكثر القول فيه فدعاه هو والحسن بسيدا شباب أهل الجنة وروى عنه صلوات الله عليه قوله « الحسن والحسين ريحانتى من الدنيا » « حسين منى وانا من حسين » أحب الله من أحب حسينا ، « حسين سبط من الأسباط » .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : « طرقت الرسول عليه السلام ليلة فى بعض الحاجة فخرج صلوات الله عليه وهو مشتمل على شيء لا ادرى ما هو فلما فرغت من حاجتى قلت : « ما هـذا الذى انت مشتمل عليه ؟ فكشفه فاذا الحسن والحسين على وركيه فقال : « هـذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما وأحب من يحبهما (١) » .

وروى بالاسناد عن بريدة رضوان الله عليه قوله : « كان الرسول عليه السلام يخطبنا اذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان لونهما أحمر ويتعثران ، فنزل الرسول عليه السلام من على المنبر فحملهما بين يديه وقال : صدق الله « انما أموالكم وأولادكم فتنة » ، فنظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويتعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما « الا أن الأولاد مجبنة مبخلة » . كما كان صلوات الله عليه يخطب بمسجده وهو يحمل الحسين رضوان الله عليه .

كما روى عن عمر بن أبى سلمة ربيب الرسول عليه الصـلاة والسلام قوله : « نزلت الآية الكريمة « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » فى بيت أم سلمة فدعى الرسول عليه السلام فاطمة والحسن والحسين فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره ثم قال هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» قالت أم سلمة وانا معهم يا رسول الله قال أنت على مكانك أنت الى خير .

وكم احب المصطفى عليه السلام الحسين واخيه وكان يقضى فراغه من الليل بجوارهم يداعبهم ضاربا أصدق المثل فى مداعبة الأطفال فيحملهما على ظهره ويقولان لحدهما « الى هنا يا مركبنا الى هنا يا مركبنا فيجيبهما المصطفى قائلا : « نعم الجمل جملكما ونعم

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ٣٩

الحمل انتما » ومن هنا يؤخذ أن مداعبة الأطفال سنة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وعن ثقاة رواة السنة انه حين نزل قول الله تعالى « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » « نشر الرسول كساءه عليهم (على على وفاطمة والحسن والحسين) قائلا هؤلاء أهل بيتى من أحبهم فقد أحبنى ومن عاداهم فقد عادانى » .

وما تقدم بعض من كثير من المواقف التى تدل على حب المصطفى عليه السلام واهل بيته بالاضافة لعترات الأحاديث فى هذا الشأن واكثر من ذلك نجد من الدلالات والاشارات على أن الله عز وجل ينبه بما سيواجهه سبطه الحسين من محن ، فذلك زهير بن القين يقابل الحسين وهو فى طريقه الى الميدان الذى لقى فيه مصرعه ، وكان قد دخل عليه الحسين طالبا مؤازرته ونصرته وهنا تذكر بن القين حديثا للرسول عليه السلام قال فيه « اذا لقيتم سيد شباب اهل الجنة فانصروه » ، كما روى أن عليا كرم الله وجهه وقف طويلا بكربلاء اثناء مروره بها وقال هناك مصارع ذريتى ومن المؤكد أن هذا القول قد سمع من رسول الله عليه الصلاة والسلام .

صفاته وشخصيته :

اجمع المؤرخون على ان الامام الحسين رضى الله عنه أشبه الناس جسما بجده المصطفى فكان متوسط الجسم أسود الشعر واللحية قوى البنية مقداما منذ طفولته على عكس شقيقه الحسن الذى كان دائم الوحدة والاعتكاف فى خلوته يأتيها بالنهار والليل . وكان الحسين ناسكا فلم يتزوج كثيرا كما لم ينجب كثيرا ، وقد كان كثير الصوم والصلاة والحج ... يذكر الرواه انه كان له صلوات يؤديها بالنهار والليل بخلاف الصلوات الخمس المقررة كما حج خمسا وعشرين حجة واتصف رضى الله عنه بالكرم والتصدق وقضاء حوائج الناس دون ما تبذير فهو القائل « لا تتكلف ما لا تطيق ولا تنفق الا بقدر ما تستفيد . ولقد زخرت المراجع بمواقف

جوده وعطائه فروى ابن عساكر عن ابن هشام القناد انه كان يأتى بالمتاع للحسين فى البصرة ليفرقها على جماعته فأتى اعرابى يطلب العطاء ببابه وكان يصلى فخفف من صلواته وارثى لحال السائل حين نظر اليه . وسأل تابعه عما تبقى معه من مال فأجاب انها مائتا درهم بقيت لتنفق على أهل بيت الحسين ، لكنه أمره بأن يعطيها للسائل فهو احق بها منهم .

وقد كان رضوان الله عليه واسع العلم والمعرفة فى أمور دينه ودنياه ومن اقواله : « اعلموا أن حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتعود نقما واعلموا أن المعروف يكسب حمدا ويعقب أجرا فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه رجلا جميلا يسر الناظرين ولو رأيتم اللؤم رجلا لرأيتموه رجلا قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتغفى دونه الابصار » . من جاد ساد من بخل ذل ، ومن تعجل لأخيه خيرا وجده اذا قدم على ربه غدا (١) » . الحلم زينة والوفاء مروءة والصلة نعمة والاستكثار صلف والعجلة سفه ، والسفة ضعف ، والغلو ورطة ، ومجالسة أهل الدناءة شر ، ومجالسة أهل الفسوق ريبة كما كان جم الأخلاق فأورد ابن شهاب الكردى(٢) أن ابصر الحسن والحسين على شط نهر الفرات اعرابيا خفف من وضوئه وصلاته . فلم يحاولا تجريحه بالنقد لكنهما توضآ وصليا كما تعلما من جدهما الرسول الكريم ثم طلبا من الأعرابى أن يحكم على صحة وضوئهم وصلاتهم فهما الشباب وهو الشيخ وقد يكون من العلم أكثر منهما فلما شاهدهما الاعرابى أدرك خطأه ورجع عنه . وقد اشتهر الامام الحسين ايضا بفصاحة اللسان وقوة التأثير فى خطبه على مستمعيه كما كان يقرض الشعر فى أغراض الموعظة الحسنة .

استشهاد الحسين :

اشترك الامام الحسين رضى الله عنه مع أبيه فى قتاله بموقعتى

(١) طبقات الشعرانى ج١ ص ٣٠

(٢) مناقب الى حنيفه ج١

الجمل وصفين ومحاربة الخوارج وظل ملازما اياه حتى استشهاده فقرر القوم مبايعة الحسن لكنه أصر على حسم الفتنة حقنا لدماء المسلمين على حساب ولايته وسلطانه اذ اعلن تنازله عن الخلافة لمعاوية بن ابى سفيان فى اطار من وحدة المسلمين دون ما تشيع أو حزبية وهذا الموقف فى ذاته كان سببا فى ابراز الدور الأول فى معارضة الحسين لفعلة أخيه الحسن فاعتبر هذا الموقف مخالفة للطريق الذى سار عليه والدهما الامام على كرم الله وجهه وما استشهد فى سبيله وامام هذا الموقف من الحسين ما كان من أخيه الحسن الا أن انكر بشدة معارضته ووصل به الامر الى حد التفكير فى حبسه بمنزله الى ان تتم بيعة معاوية وذلك حين سأل أخاه المشورة فى ما اعتزم عليه من التوجه للمدينة ليخلى ما بينه وبين معاوية حسما للفتنة فكان رد الحسين عليه : اعيذك بالله ان تكذب عليا فى قبره وتصدق معاوية « فقال الحسن والله ما أردت أمرا الا خالفتنى الى غيره والله لقد هممت ان اقذفك الى بيت فاطينه عليك حتى اقضى أمرى ، فما كان من الحسين الا أن قال :

« انت أكبر ولد على ، وانت خليفته وأمرنا لأمرك تبع فافعل ما بدالك » .

وظل الحسين على رأى وطريق أخيه ، فبايع معاوية قبل رحيله مع أسرته الى المدينة ، وهذا الصلح لم يرتضه اغلب بنو هاشم اذ اعتبروه تخاذلا واستسلاما ، حتى أن بعضهم اتهم الحسن بذل المسلمين ، لكن هذه المعارضة القوية لم تجد لها آذانا صاغية أو رد فعل عند الحسن الا كان مقتنعا بما هو أقدم عليه .

ومن هنا اتجه هؤلاء المعارضون الى الحسين يحفزونه ويشدون ازره ، مؤكدين له أنهم مناصروه وسيقفون معه فى الشدة ، أما الحسين فاخبرهم أنه غير ناكث لعهده ومبايعته لمعاوية ، فما كان منهم الا التريث ترقبا لفرص ملائمة وهم على مضض .

وقد كانت علاقة الحسن والحسين مع معاوية طيبة للغاية ، فكان معاوية يجزل لهما العطاء ، ويحسن لقاؤهما حتى بعد وفاة الحسن كان الحسين يتردد عليه ، رغم أن معاوية وصحابته شددوا الرقابة عليه حين أشيع انه يدبر للفتنة ، وكتب اليه معاوية محذرا ، ورد عليه الحسين يخبره أن ما بلغه ليس سوى الوشاية والوقيعة فهو ممن لا ينكثون عهدهم ، وبعد هذه الوقفة بينهما عادت العلاقات طيبة الى أن ظهرت فى الأفق بوادر الحوادث التى أدت المأساة الرهيبة فى كربلاء وتمثلت أولى هذه الأحداث فى وفاة الحسن رضى الله عنه وكان معاوية قد عهد اليه بأمر المسلمين من بعده ، ولكن بوفاة الحسن جاءته الفرصة التى طالما تاقت نفسه اليها فى توطيد حكم بنيه من بعده ، وقد ساعده فى ذلك وشد أزره المغيره بن شعيب اذ تعهد لمعاوية بأخذ بيعة المسلمين لولده يزيد ، وهذا التأييد شجع معاوية على أن يعلن فى صراحة نواياه معللا ذلك برغبته تجنب حدوث الفتنة بين المسلمين وقد كبرت سنه ، لهذا فقد طلب البيعة من عماله على الأمصار ، ثم بلغه رفض الحسين هذه البيعة وعلم أن من يؤازره فى موقفه كثيرون على رأسهم عبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبى بكر . فما كان من معاوية الا أن قصد السيدة عائشة رضى الله عنها فى الشام وأبلغها رفض الحسين بيعة ولده يزيد ، ثم توعد الحسين بسوء المصير ، فما كان من السيدة عائشة الا أن نصحته بالصبر . وكتب معاوية الحسين بوجهة نظره فى تولية ولده ، وانها لن تعدو أن تكون خلافة اسمية فقط . ولكن الحسين ورفاقه رفضوا ذلك وطالبوا معاوية الا يجعل الخلافة فى أهل بيته وأن يتبع نظام الشورى الذى أوجبه الاسلام .

وما أن علم معاوية بذلك حتى ثار وأعلن تحكيم السيف فى مواجهة من يعارض رأيه ، واقتاد الحسين ورفقائه الى المسجد ، وصعد المنبر وأعلن تولية ولده يزيد ، كما اعلن ان الحسين وأصحابه الثلاثة بايعوه أيضا ، وحين نظر المجتمعون اليهم وجدوهم سكوتا ، وكان

معاوية. قد رتب لذلك بأن وضع عليهم حراسا مدججين بالسلاح لضرب اعناقهم اذا ما فكروا فى معارضة معاوية . وبذلك تمت البيعة ليزيد .

وتوفى معاوية سنة ٦٠ هـ (٦٨٠ م) وخلف وصيته لولده يزيد (١) ، وكان وقتئذ فى احدى غزواته فعاد الى الشام وتولى الخلافة ، وامر الوليد بن عتبة بن ابى سفيان واليه على المدينة ان ياخذ له البيعة من الحسين وصحبته . ثم استشار مروان بن الحكم وكان عدو للحسين فى الأمر ، فما كان منه الا أن أشار على بن عتبة باحضار المعارضين لاخذ البيعة منهم ليزيد بحد السيف .

واستدعى والى المدينة الحسين وكان بالمسجد النبوى ، فذهب فى مواليه للقياه حيث أخبره عتبة بمضمون كتاب يزيد . فأجابه الحسين بعد أن ترحم على وفاة معاوية بأن مثلى لا يبايع سرا ، ولكن اذا اجتمع الناس حضرت وكنت أحدهم . وهنا صاح فيه مروان بن الحكم قائلا : « لتبايعن أيها الرجل أو ليضربن عنقك » فرد عليه الحسين بقوله : « أنت يا ابن الزرقاء تضرب عنقى ؟ لن تستطيع ذلك » .

فطلب عتبة من الحسين أن ينصرف وقتئذ . وحين عاتب مروان عتبة على ما قدم أجابه « ويحك كنت أقتل ابن بنت رسول الله ! والله الذى يسفك دمه لخفيف فى الميزان عند الله يوم القيامة .

وكان الحسين رضى الله عنه كثيرا ما كان يترك المدينة الى مكة فخرج يعد رواحله اليها مع أهل بيته ، وكان ذلك لليلتين بقيتا من

(١) ورد فى وصيته هذه انه ـ اى معاوية ـ مهد لولاية ابنه ، لكنه حذره من معارضيه ، وشرح رأيه فيهم قائلا : ان فى ابن عمر ورع لا يخالف الناس ، وابن ابى بكر لا يبغى من الدنيا سوى الطيب والنساء ، أما الحسين بن على فرجل خفيف وشك فى مؤازرة اهل الكوفة له ، فهم قتلة ابيه ، وامر ولده بالعفو عنه اذا ما ظفر به احتراما لمقامه ونسبه ، ولكنه حذره بشدة من ابن الزبير .

شهر رجب فأقام بها من شعبان الى ذى القعدة آمنا فى بيت الله الحرام ، وكان قد سبقه اليها بليلتين ابن الزبير . وفى مكة لم يطالبه عاملها يحيى بن حكم بن صفوان بن أمية ببيعة يزيد . وقد قيل أن الحسين كان وقت رحيله قاصدا مكة خائفا مرددا قول الله تعالى : « رب نجنى من القوم الظالمين » .

وكان للامام الحسين اتباعه ومريدوه ، كما تعددت أسباب وأساليب دعوته لنفسه عقب استشهاد أبيه كرم الله وجهه ، فقال الحسن لمعاوية ، وقد تلقى أهل الكوفة من الشيعة نبأ موت معاوية وتولية يزيد ، وامتناع الحسين عن بيعته وخروجه الى مكة حتى كاتبوه للقدوم عليهم ، واطنبوا فى عبارات نصرته وابلغوا فى قولهم ، وتعددت كتبهم يحملها رسلهم ، كما وردت اليه رسائل مماثلة من المدائن والبصرة وسائر مدن العراق حتى ملأت هذه الرسائل خرجين . وكان مما قالوه فى كتبهم اليه : « لقد اخضر الجناب ، وطاب الثمر ، وقد هلك معاوية ، وليس علينا أمير ، فأقبل الينا فأنت أحق خلق الله بالامرة وأولاهم ، بالخلافة والامامة » . وقال أحدهم : « انا حبسنا انفسنا على بيعتك ، ونحن نموت دونك » وقال آخرون « انه ليس علينا امام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق » .

وظل الحسين بمكة اربعة شهور يتلقى رسائل اهل الشيعة يقراها ويسأل القادمون من العراق عن صدق نصرتهم له . وليطمئن قلبه أرسل الى اهل الكوفة كتابا جاء فيه : « أما بعد فقد أتتنى كتبكم وفهمت ما ذكرت من محبتكم بقدومى عليكم ، وقد بعثت اليكم اخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل ، وامرته ان يكتب الى بما لكم وامركم ورأيكم ، فان كتب الى انه قد اجمع رأى ملئكم وذوى الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت على به رسلكم وقرأت فيه كتبكم ، أقدم عليكم وشيكا ان شاء الله ، فلعمرى

ما الامام الا العامل بالكتاب والاخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام » .

وكان رضوان رضى الله عليه قد ارسل ابن عمه مسلم بن أبى طالب الى أهل الكوفة ليزداد يقينا من عهودهم ، ويستوثق من صدق مؤازرتهم ، وأمره ان انس منهم ذلك أن يرسل اليه لقدومه على عجل ، وتوجه مسلم الى الكوفة رغم تخوفه وتشاؤمه وعدم ثقته فى نوايا اهلها ، وبوصوله بدأ نشاطه فى الدعوة لنصرة الحسين بحيث تجمع حوله الكثيرون لمبايعة الحسين حتى وصلوا ثلاثين ألفا على حد ذكر ابن قتيبة ، وكان والى الكوفة وقتئذ النعمان بن بشير الانصارى ، وهو رجل مسالم يكره الفرقة وينبذ الاقتتال مما حدا بيزيد أن يقصيه حين علم بوصول مسلم الى الكوفة ويولى مكانه عبد الله بن زياد وكان وقتئذ عامله على البصرة ، وقد أمره بالقضاء على مسلم ودعوته ومن تجمع حوله من اهل الشيعة . وغادر بن زياد البصرة ودخل الكوفة ملثما ، فرحب اهلها به حيث خدعوا فيه ؛ حتى النعمان نفسه اذ اعتقدوا أنه الامام الحسين . وتمكن ابن زياد بعدئذ من كشف مقر مسلم فى دار سيد بنى مراد هانىء بن عروة وتمكن من قتله ، فأدرك مسلم سوء المصير الذى ينتظره ، فقام بجمع أعوانه لطرد ابن زياد من الكوفة ، لكن الأخير بحسن حيلته ودهائه تمكن من صرف جموع الشيعة من حول مسلم الذى انصرف بعد ذلك ، وفى الصباح وشى بمكانه لابن زياد ، وتقابلا وتقاتلا الى أن استسلم مسلم رغم أسره فى مقر الامارة حيث قتل ثم صلب بجوار هانىء بن عروة على مرآى من أهل الكوفة الذين لاذوا بالصمت وكان ذلك لتسع خلون من ذى الحجة بعد مغادرة الحسين مكة بيوم واحد ، وبعثت برأسه ورؤوس من قتلوا معه الى يزيد . ونسب إليه قبل مصرعه قوله : « اللهم انتقم لنا من قوم خذلونا وقتلونا بعد أن وعدونا بالنصرة » . كما طلب مسلم من ابن الأشعث أن يكتب للحسين بما حدث ويحذره من الحضور الى الكوفة لكى لا يواجه مثل ما واجهه من سوء المصير .

المأساة الرهيبة فى كربلاء :

فى الثامن من ذى الحجة قرر الامام الحسين أن يقصد متوجهاً العراق . وقضى فترة وجوده بمكة يتشاور فيما سيقدم عليه وذلك مع المقربين اليه أمثال عبد الله بن الزبير ، وأصحاب الرأى من أهل بيته وهم فى أمان بيت الله الحرام . ولكن عبد الله بن العباس جاهد فى أن يثنيه عن عزمه ، وعدد له مواقف الخذلان من أهل الكوفة ، فهم قتلة أبيه وطاعنوا أخيه فلن يجد منهم سوى خذلانه والانصراف عن نصرته والدفاع عنه . ولكن الحسين أصر على رأيه وبرر ذلك بأنه قضاء الله عز وجل ويجب الاذعان لمشيئته . وذكر بعض الرواة فى اصرار الحسين على موقفه أن نسبوا اليه أن قرار رحيله الى العراق بناء على أوامر جده المصطفى عليه الصلاة والسلام حين زاره فى منامه . وكان قراره كما صمم عليه رغم أنه أومن على نفسه من أمير مكة فى ظلال بيت الله الحرام . وقد كان سنده ما وصله من كتب أهل العراق وكتاب مسلم بتجمعهم حوله وأمام ذلك الاصرار لم يكن من العباس الا أن ينصحه بقوله « ان كنت لا بد فاعلا فلا تخرج أحدا من ولدك ولا حرمك ولا نسائك » .

وبدأ الحسين ومن معه مسيرته بصدام صغير بين قافلة وحراس امارة مكة ، ثم أفسح له الطريق ، كما صادرت القافلة مؤنا كانت مرسلة الى الخليفة واقتسمها الحسين مع صحابته . وكانت القافلة على طريق رحلتها تسأل من تقابلهم من الأعراب والمسافرين عن أهل العراق ونواياهم ، وكان من بين ما قابلتهم الشاعر الفرزدق بن غالب الذى سأله الحسين عن أهل العراق ولم يكن يعرفه فأجاب بقوله الشهير : **« قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية .. والقضاء ينزل من السماء والله يفعل مايشاء »** . **فقال له الحسين : « صدقت والله يفعل ما يشاء »** .

وفى الطريق بلغ الحسين نبأ مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل .. فكان لبلوغه هذا الخبر وقع الصاعقة عليه وعلى من معه ، واختلفوا

فى الرأى ، فمنهم من ناشد الحسين بالرجوع ثانية الى مكة دون مواصلة المسير ، وآخرون وخاصة بنو عقيل أصروا على اتمام المسير نحو بلوغ غايتهم ومقصدهم ليثأروا لأبيهم أو يموتوا من أجل هذه الغاية ، وهنا ايقن الحسين انها الحرب لا الغنائم وحدث أصحابه فى ذلك تاركا لهم الخيار فى رفقته نحو غايته أو الرجوع ، فرجع معظمهم الا اهل بيته ونفر قليل من أتباعه .

وسار الحسين مع من تبقى فى صحبته حتى وصلوا مشارف الكوفة ففوجئوا بقافلة تضم الف فارس لابن زياد يقودهم الحر بن يزيد خصصوا لملازمة الحسين وأعوانه ومضايقتهم دون قتالهم بأن يبعدوهم عن موارد الماء واحتمائهم بالحصون ، والا يجدوا امامهم منفذا ولا طريقاً سوى الكوفة مقر ابن زياد ، وامام هذا الموقف لم يكن من الحسين الا أن يعظ افراد هذه القافلة فأورى لهم انه لم يفعل ما ينفر منه الناس بل هو يحارب حكما ظالما وفق تعاليم الله عز وجل وجده الرسول عليه السلام وانه أحق بالنصرة والمؤازرة ليرفع الظلم ويقضى على الفساد .

وبعد أيام وصل الحسين الطائف قرب كربلاء وكان ذلك فى المحرم سنة ٦١ هـ وهى قرية مكشوف لا تصلح للحروب ، وفى اليوم التالى لوصوله جاءه من الكوفة عمر بن سعد بن أبى وقاص فى اربعة آلاف فارس انضم اليهم فرسان بن يزيد ، وحين أحس الحسين بتكالبهم وتكاثرهم عليه تعمم بعمامة جده الرسول عليه الصلاة والسلام وامتطى ناقته ، ولما سئل عن بغيته أجاب : « كتب الى أهل مصركم هذا أن اقدم عليهم فاما اذ كرهونى فانى انصرف عنكم الى مكة » .. ثم سأل الجمع عن كتبهم ورسلهم ودعوتهم اليه وتأكيدهم نصرته ، فما كان منهم كسابق عهدهم مع أبيه الا ان انكروا وتخاذلوا فأخرج الحسين كتبهم ملء الخرجين ونشرها على جموعهم وناداهم بأسمائهم ، ثم طلب منهم أن يخلوا سبيله فان أرض الله واسعة فيجاهد ويموت فى سبيل الله ، لكنهم زادوا من بطلانهم ،

فأبلغ الحسين أعوانه بموقفهم هذا وطلب ممن يريد الانصراف ممن معه أن يفعل ويتركوه لقدره ـ فما كان منهم الا أن أبوا بشدة وصمموا على الوقوف الى جانبه حتى آخر قطرة من دمائهم .

وابلغ عمر بن سعد بن أبى وقاص عبيد الله بن زياد برغبة الحسين فى الرجوع الى مكة فوافق بن زياد أول الأمر لكن كان فى حضرة مجلسه وقت رسالة ابن أبى وقاص شمر بن ذى الجوشن الذى أثار بن زياد على الحسين واقترح عليه ألا يتركه وسبيله ، واقتنع ابن زياد برأيه . وأرسل كتابا الى ابن أبى وقاص يخبره فيه أنه اذا استسلم الحسين ورجاله فيبعثهم اليه وأن يقاتلهم ان امتنعوا وأن يمثل بجثثهم ، أما الحسين فان فعل فتجعل الخيل تطأ صدره وظهره جزاء ظلمه .. ووعده فى كتابه بحسن جزائه ان هو أحسن فعل ما اؤتمر به ، وهدده بأن يعزله ان هو أهمل أو تقاعس أو أبى تنفيذ ذلك وفى هذه الحالة أمره ابن زياد بأن يخلى لشمر بن ذى الجوشن وفرسانه .

وقرر الامام الحسين رضوان الله عليه أن يموت على الا يستسلم أو يستكين لأوامر ابن مرجانة (ابن زياد) واكفهر الجو وأشبع بغبار الحرب ، وجهزت الخيول وشرعت الأسنة والرماح والسيوف وأرسل الحسين العباس رسولا الى عمر بن سعد يستمهله ليلتهم ليناجوا ربهم فوافق على أن يتقاتلا فى الصباح اذا لم يراجع الحسين موقفه ويستسلم لشروط ابن زياد .

وتحكى الروايات أن جلس الحسين على باب خيمته يغالبه النعاس ثم يفيق على حديث لأخته زينب معه ، فاذا هو يخبرها أنه رأى فى غفوته فارسا يقول له انت تقبل الينا ، وأن تفسيره لتلك الرؤيا أن هذه أنفسنا قد نعيت الينا ، فما كان من السيدة زينب رضى الله عنها أن ولولت وصاحت : يا ملجأنا اليوم مات أبى وأخى ، وأغمى عليها فحملها الحسين وادخلها خيمة أهله وهو يوصيها بالصبر .

وفى الصباح دارت رحى المعركة والى استشهد فيها أنصار الحسين واحدا تلو الآخر وبلغ عددهم اثنان وسبعون رجلا بينهم اثنان وثلاثون فارسا كم أحكموا الرمى وضرب السيوف وحملوا على عدوهم فكانت لهم الغلبة فى المعارك الى أن استشهدوا جميعا، وكان كل منهم يقول السلام عليك يا ابن بنت رسول الله ويوصى بقية رفاقه بافتداء الحسين حتى كانت صيحة عمر بن الحجاج فى فرسانه بأن يعدلوا عن المبارزة محذرا اياهم من مغبتها وسوء عاقبتها لأنهم يقاتلون فرسانا يحاربون باستماتة رغم قلتهم . ثم قال لهم لو لم ترموهم الا بالحجارة لقتلتموهم (١) فرشقوا فرسان الحسين بالنبال حتى جرحوهم وعقروا فرسانهم . ثم بدأ أهل بيت الحسين فى القتال واحدا وراء الآخر حتى الأطفال الى أن استشهدوا جميعا والحسين يحتسبهم عند ربهم ولم ينج من هذه المأساة الا على بن الحسين فلم يبرح خيمته لمرض أقعده عن الاشتراك فى القتال ، وكأنها كانت مشيئة الله ليظل النسل الطاهر من أهل بيت رسول الله من الرجال . وأصبح الحسين وحيدا أمام الجموع المحتشدة من فرسان ابن زياد الذين كانوا يخشون بأسه ، فكان يكر عليهم فيتفرقوا خشية أن تلصق بأحدهم تهمة قتله فلم يشأ أحدهم أن يتحمل جرم هذه الفعلة الى أن صاح فيهم قائدهم عمر بن سعد أن يضيقوا على الحسين الخناق ، وحين تقدم رضوان الله عليه ليشرب رماه فرسانه بسهم فى فمه حالت بينه وبين شربة الماء ، ثم انهالت عليه السهام الى أن خارت قواه . وتقدم شمر بن الجوشن يريد استباحة خيمته وأخذ السبايا فرآه الحسين وقال له : اذا لم تكن لكم أخلاق ترد عليكم ولا أنساب تمنعكم ولا دين ينهاكم ، فليكن لكم صبر فما هى الا ساعة حتى يكون كل ذلك نهبا مباحا لكم ، فابتعد شمر عن خيمته وصاح فى فرسانه قائلا : « ويحكم ماذا تنتظرون بالرجال اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم » . فأجهز

(١) أبو الشهداء للاستاذ عباس محمود العقاد ص ١٣٨

وجاله على الحسين فهذا زرعة التيميمى يقطع يده اليسرى بضربة سيفه حتى لاحقته سيوف وطعنات الرماح من بقية الفرسان ـ أما رضوان الله عليه فكان يقوم ويكبو حتى اسلمت روحه لله عز وجل وبعد أن لاحقته ثلاث وثلاثون طعنه واربع وثلاثون ضربة .

اوردت بعض الروايات ان ابن ذى الجوشن هو الذى أجتز رأسه الشريفة وسلمها الى سنان بن انس النخعى الذى حملها بدوره على رمحه وبشر بها قائده عمر بن سعد . وتعرضت رحل ومتاع الحسين وأهل بيته للنهب والسلب حتى قيل أن النساء كن يتشبثن بقميصهن حتى يجذب منهن فيصبحن عاريات دون خمار عليهن .

اما عن مصير متاع الحسين الشخصى فنهب قميصه اسحق الحضرمى ، واخذ قيس بن الأشعث قطيفته وهذا سر تسميته بقيس قطيفة ، واخذ بحر بن كعب سرواله ، أما عمامته فنهبها اخنس بن مرثد الحضرمى واستولى الأسود الأودى على نعليه وهكذا تركه جند ابن زياد عاريا .

بعد ذلك أمر عمر بن سعد عددا من فرسانه بأن يطأوا بخيولهم صدر وظهر الحسين ممتثلا لأوامر ابن زياد له ففعلوا ، كما أمر عددا آخر من جنده بتقييد النسوة بالحبال وهن عاريات الرؤوس ثم يمرون على جثث أقاربهن من الشهداء حتى صاحت السيدة زينب قائلة : « يا محمدا صلت عليك ملائكة السماء هؤلاء بنوك فى العراء تسفى عليهم الرياح ، فهذه وجوههم معفرة ولحومهم ممزقة» ثم ظلت طويلا تنعى القوم بعبارات تدمى لها القلوب وتتمزق لها الأفئدة .

وانتهت بذلك مأساة كربلاء الرهيبة ، تلك اقبح الجرائم التى ارتكبت تحت راية الاسلام ، لا يمكن أن يقدم عليها اى من البشر يوصف بالآدمية حتى مهما تجرد من آدميته أو مهما زادت درجات حقده وخسته . وما زالت قصة استشهاد سبط رسول الله عالقة

فى الأذهان لفظاعتها فهى وصمة عار فى جبين اسلامنا . ليس ادق وصف لها الا فيما رواه العلامة بن طباطا المعروف بالطقطقى (١) حين يقول : « هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظاما واستفظاعا لها ، فانها قضية لم يجر فى الاسلام أعظم فحشا منها ، ولعمرى ان قتل أمير المؤمنين عليه السلام هو الطامة الكبرى ، ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبى أو التمثيل ما تقشعر له الجلود ، واكتفيت أيضا عن بسط القول فيها بشهرتها فانها شر الطامات ، فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضى بشىء منهـا ، ولا تقبل الله منه عرفا ولا عدلا ، وجعله من الأخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

ولقد وقع أمر استشهاد الامام الحسين رضى الله عنه أثر وقع الصاعقة وكأن السماء تمطر دما . فهذا معاوية بن يزيد يبكى وحين سئل عن سبب ذلك أجاب : « والله لا أبكى حسرة على ما فات ، وانما أبكي كمدا على من سيأتى من بنى أمية » وأعلن صحابة الرسول عليه السلام انهم رأوه قائما أشعث أغبر بيده قارورة بها دم ، وحين سألوه عنها أجابهم عليه السلام بأنه شهد مقتل الحسين ، وانه يجمع فى القارورة دمه لأنه سيطالب سافكيه به يوم يعرضون على الله عز وجل .

ولقد أصبح الحسين عقب مأساة استشهاده سيد الشهداء ورمز التضحية ومثلا يحتذى . رحم الله سبط رسول الله وريحانته وأنزله جنته مع الصديقين والشهداء .

---

(١) الفخرى فى الاداب والسلطانية ص ١٠٤

الروايات فى شأن مقر رأس الحسين :

يكاد يجمع كتاب السيرة على أن جسد الحسين الشريف قد دفن حيث قتل فى كربلاء بالعراق وذلك بعد أن اجتزت رأسه لترسل الى يزيد بن معاوية فى دمشق عاصمة الخلافة الاسلامية . وقد صلى على الجثة مع بقية جثث شهداء المعركة نفر من بنى أسد . وحين ولى المتوكل العباس الخلافة حرم على الشيعة ارتياد المنطقة لزيارة الحسين ولم يكتف بهذا التحريم بل أمر بهدم قبر الحسين ولكنه لم يعثر للجثة على أى أثر . أما عصر المنتصر فقد شهد تسامحا مع آل طالب فى زيارة مقابر شهدائهم . وقد أكدت روايات الرحالة ممن وصفوا المدن التى مروا أو حلوا بها ومنها كربلاء والتى أوردتها بعض المراجع باسم الحائر — ذكروا هؤلاء ومنهم ابن بطوطة بوجود مشهد للامام الحسين بهذه المدينة .

وليست القضية البحث فى شأن مقر جثة الحسين ولكنها فى مقر رأسه الشريف ونقول بالقضية لما تعلق بهذا الموضوع من العديد من الروايات والأقاويل كل منها يعين موضعا لرأس الحسين ويسوق لتدليل رأيه البراهين والشواهد المتنوعة .. وأمام هذه الآراء المؤيدة والمعارضة لبعضها البعض حاولنا أن نساهم بجهد متواضع فى توضيح هذه القضية بتصنيف وعرض للآراء الرئيسية فى هذا الموضوع .

ومن المتفق عليه بين جمهور المؤرخين أن حملت الرأس الشريفة بعد أن اجتزت الى ابن زياد فى الكوفة فقام بدوره بتجهيزها ليبشر بها يزيد فى دمشق مع من تبقى من أهل بيت الحسين دون استشهاد بعد موقعة كربلاء . يومها استنكر يزيد جرم ما أقدم عليه ابن زياد فى حين اجتاحت جموع المسلمين شعور باستنفار ما حدث ، لهذا سارع يزيد باعلان سخطه حين مثلت الرأس الشريف بين يديه وقال : « ويحكم كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، رحم الله أبا عبد الله » وقال أيضا لعن الله ابن مرجانة ، والله ما أمرته بقتل الحسين ، ولكنه حملنى فاحتملت والله لوددت انى تنازلت عن

كل شيء وان حسينا لم يقتل . وبكى بشدة كمدا على ما حدث وما سيحدث من آثار لتلك الجريمة البشعة ثم أمر يزيد بتوفير الراحة لمن تبقى من اهل بيت الحسين رضوان الله عليهم ، وأرسلهم الى المدينة فى حراسة ثلاثين فارسا .

وفى تحديد مقر الرأس الشريف تعددت أسماء مدن قيل بوجود الراس بها وهذه المدن هى المدينة وكربلاء وحلب وعسقلان ومرو والرقة ودمشق والقاهرة ، وأمام هذا التضارب تعددت المشاهد التى تنسب للامام الحسين فى تلك البلاد من العالم الاسلامى وسنناقش الآراء المؤيدة والمعارضة فى احتمال وجود الرأس فى أي من هذه البلدان .

١ ـ المدينة :

اورد بعض المؤرخين ان امتثلت الرأس بين يدى يزيد حيث تألم لما حدث وادخل السيدات من اهل بيت الحسين دار نسائه وأمر بتجهيزهن فى قافلة تتوجه الى المدينة فى حراسة ثلاثين من الفرسان ومعهم الراس حيث أمر عامله على المدينة عمرو بن سعيد بتكفينها ودفنها بالبقيع فى قبر أمه وأخيه (١) . ورغم اتفاق الآراء بدفن الراس فى المدينة الا أنها اختلفت فى موضع دفنها . وفى نفس الوقت نجد عدة روايات تؤكد ضعف روايات المؤرخين فى شأن دفن الرأس بالمدينة وأن تلك الأقاويل ينقصها الدليل على صحتها ، ومن هذه الآراء المعارضة ما رواه المسعودى (٢) تعليقا على القول بدفن راس الحسين ببقيع الفرقد فى المدينة مع امه الزهراء أنه وجدت (حتى تاريخ تأليف كتابه ٣٤٥ هـ) رخامة نقش عليها « الحمد لله مبيد الأمم ومحيى الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول

---

(١) اكد هذه الرواية الكثيرون امثال العلامة عمر بن ابى المعالى اسعد بن عمار فى كتابه عن تحقيق مقر راس الحسن ومحمد بن سعد فى الطبقات الكبرى ج ٥ ص ١٧٦ . والسمهودى فى وفاء الوفا بأخبار المصطفى جـ ٢ ص ٩٦ . والمؤيد صاحب حماة فى تاريخه ج ١ ص ١٩١ ، والامام البخارى فى تاريخه .

(٢) الاشراف والتنبيه ص ٣٠١

الله عليه السلام سيدة نساء العالمين ، والحسن بن على بن أبى طالب وعلى بن الحسين بن على ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم اجمعين » واستنادا الى النص الذى أورده المسعودى يذهب المرحوم حسن عبد الوهاب الى أنه لو كان الحسين مدفونا معهم لذكر اسمه (١) .

٢ - كربلاء :

ذكر البعض أن راس الحسين اعيدت الى جسده الشريف بعد أربعين يوما ، ودفنت بكربلاء . ولقد نسبت معظم تلك الأقوال الى طائفة الشيعة الامامية الاثنى عشرية وبعض المؤرخين (٢) وقد ذكر ابن كثير نقلا عما تردد من اقوال عن وجود مشهد بنى على قبر الحسين فى الطف بالقرب من كربلاء مكان المعركة . كما ذهب البعض الى أن موضع قبره قد تاهت معالمه بعد أن سيرت عليه المياه لمحو أثره ولكن هذه المياه نضبت بعد أربعين يوما حتى جاء اعرابى وتعرفه على موضع القبر عن طريق شم ترابه .

ولعل الحكم على ما تقدم من الآراء المتطرفة لأهل الشيعة هو صعوبة تصديق القول باعادة الرأس الى الجسد حتى لا تزداد نيران الفتنة اشتعالا خاصة أنه اذا علمنا أن كربلاء تعد من أعتى مراكز التشيع فى العالم الاسلامى . بالاضافة الى أنه وفق أوامر الخليفة المتوكل هدم قبر الحسين من أعلاه حتى موضع اللحد فلم يعثر للجثة على أى أثر ، حدث ذلك عام ٢٣٦ هـ . وتعلق الدكتورة سعاد ماهر على ما تقدم من رأى بأنه من البعيد أن نتصور أن الرأس قد بلى فى ذلك الوقت المبكر وخاصة اذا علمنا ان أرض كربلاء رملية تحتفظ بالعظام لآلاف السنين (٣) .

(١) تابع المساجد الاثرية .

(٢) ابن طاوس فى المسلمون على نقل الطفوف ص ١٤٠ وسبط بن الجوزى فى قسواحى الامة ص ١٥٠

(٣) مساجد مصر واولياؤها الصالحون ص ٣٧٢ .

٣ ـ حلب :

قال البعض (١) بوجود الراس الشريف وسط جبل جوشن فى حلب . وانه بنى فى عهد الملك العادل نور الدين ، والراجح انه قول مبتور وضعيف فلم يتضمن شرحا لكيفية احضار الراس الى حلب ، وتحديد تاريخ ذلك لامكان مناقشة هذا القول من الناحية التاريخية .

٤ ـ مرو :

اورد المقدسى (٢) فى وصفه لمدينة مرو « على فرسخين من مرو يوجد رباط قالوا ان فيه راس الحسين بن على رضى الله عنه » . وهذا القول كسابقه لا يؤيده ما ساد وقتئذ من أحداث وظروف ولعل ما قاله ابن عمار ليلقى بعض الضوء على التدليل على ذلك حين كتب ان القول بوجود الراس بخزائن بنى أمية حتى قامت خلافة العباسيين ثم نقل أبو مسلم الراس الى خراسان فهذا بعيد لانه وقت فتح الشام كان أبو مسلم بخراسان ، وان الذى فتح دمشق عبد الله ابن عباس ، ويتساءل عن كيفية نقل الراس الى خراسان ويؤكد انه لو ظفر عبد الله بن عباس بالراس من مخازن الأمويين لأظهرها الى الناس ليثيرهم ضد بنى أمية .

كما قد ولى الخلافة التقى الورع عمر بن عبد العزيز ومن غير المصدق ان رجلا مثله فى سمو روحه وحبه لدينه يترك راس ابن بنت الرسول الكريم فى مخازن السلاح ولم يواريه .

٥ ـ الرقة :

القول بوجود الراس الشريف بمدينة الرقة بالعراق أورده سبط الجوزى فى كتابه تذكرة خواص الأمة حين عدد البلدان المحتمل ان تكون الراس قد دفنت بها ، فنقل عن يزيد بن معاوية

(١) ابن شحنه : تاريخ حلب ص ٨٧ .

(٢) احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ٣٣٢ .

بعد أن مثلت الرأس بين يديه قرر أن ترسل الى آل ابى معيط فى الرقة وقد حدث ذلك ودفن هؤلاء القــوم الرأس فى دورهم التى أدخلت فيما بعد فى المسجد الجامع ولعل ما ذكره الجوزى لرأى فريد أضعف موقفه خاصة أمام القول بأن الرقة فتحها عباس بن جهمش سنة ١٨ هـ ، حيث دانت لحكم المسلمين ، وأن طوال حكم الأمويين لم يتأكد أن أيا من خلفائهم قد بنى مسجدا جامعا كما أورد الجوزى ، وأن ما بنى من عمائر للأمويين بالرقة هما قصران لهشام ابن عبد الملك على بعد فرسخ من الرقة كما أورد المقدسى وياقوت الحموى . وقد أسس المنصور العباسى مدينة الرقيقة غرب المدينة القديمة وكان ذلك عام ١٥٥ هـ حيث أصبحت عاصمة البلاد فيما بعد ، وقد شيد فى شمالها المسجد الجامع ــ ولم يؤكد التــــاريخ أو قول الأثريين أن المسجد قد أقيم على أنقاض دار قديمه او انه على مدفن (١) .

٦ ــ دمشق :

نسبت معظم الآراء بوجود رأس الامام الحسين بدمشق الى طائفة الشيعة الاسماعيلية وبعض المؤرخين فقد ذكر ابن فضل الله العمرى (٢) « وله بدمشق مشهد معروف داخل باب الفرادس وفى خارجه مكان الرأس على ما ذكروا » . كما روى الفرضى (٣) : « المزارات المشهورة للصحابة بدمشق ونواحيهـــا ، والمشهور منهـــا بتربة باب الفراديش المسماة بمرج أبى الدحداح الآن مسجد سمى بمسجد الرأس داخل باب الفرادبس فى أصل جدار المحراب لهذا المسجد رأس الشهيد الملك الكامل وغربى المحراب المذكور فى الجدار طاقة على الطريق يقال أن رأس الحسين رضى الله عنه دفن بها ولذا يقال له مشهد الحسين » . قال : مكث الرأس مصلوبا بدمشق

(١) د/ سعاد ماهر محمد ــ المرجع السابق .
(٢) مسالك الانصار جـ ١ ص ٢٢ .
(٣) النبذة اللطيفة فى المزارات الشريفة ص ١٩٧ .

ثلاثه ايام ثم انزل فى خزائن السلاح حتى ولى سليمان بن عبد الملك ، فبعث اليه فجىء به وقد تحلل وبقى عظما أبيض فجعله فى سفط وطيبة وجعل عليه ثوبا ، ودفنه فى مقابر المسلمين فما ولى عمر بن عبد العزيز بعث الى خزانة بيت السلاح ، أن وجه الى برأس الحسين بن على فكتب اليه أن سليمان أخذه وجعله فى سفط وصلى عليه ، ودفنه فلما دخلت المسودة (أى بنو العباس) سألوا عن موضع الرأس الكريم الشريف وأخذوه ونبشوه والله أعلم ما صنع به .

ويؤيد الأقوال السابقة كثيرون أمثال محمد بن قاسم بن يعقوب وابن عساكر وخليل الظاهرى وعثمان مدوخ ، وذلك فيما أوردوه فى شأن وجود رأس الحسين بدمشق .

والراجح فى القول أن الرأس الشريف أودعت أول الأمر خزائن السلاح بدمشق على أساس ما تراه الدكتورة سعاد ماهر من براهين وأحداث وقعت تؤيد بها قولها وأوردتها (١) كالآتى :

١ ــ مقتل الحسين حادث نتائجه خطيرة ولو طيف بالرأس بقصد التشفى قد يؤدى ذلك الى الفتنة وخلع يزيد لكثرة المحبين للحسين واستعظامهم لما أصابه وندمهم على خذلانه حتى أن يزيد نفسه ندم وبكى فلا يمكن أن يأمر بأن يطاف بالرأس فى البلاد كما أوردت بعض المراجع .

٢ ــ ليس من شك فى انه من مصلحة يزيد أن يخمد نيران الفتنة واقتضى حرصه أن يحتفظ برأس الحسين فى مكان أمين ، ولم يتوافر هذا المكان الا فى مخازن السلاح وأن القول بدفن الرأس فى دمشق زمن يزيد رأى تنقصه الحكمة لأنه كان فى مقدور طوائف الشيعة نبش القبر وانتزاع الرأس .

---

(١) مساجد مصر واولياؤها الصالحون ص ٢٧٣

٣ – يرجح أن ظلت الراس بخزائن السلاح حتى ولاية سليمان ابن عبد الملك عام ٩٦ هـ ، كما أوردت بعض المراجع بأنه حمل الراس فى ثوب وعطره ثم صلى عليه ودفنه بمقابر المسلمين بعد أن هدات الفتنة بمرور ما يزيد على ثلاثين عاما من قيامها .

وينتهى الرأى اعتمادا على ما سبق من براهين بأن القول بأن طيف بالراس بالبلاد ودفنها بعسقلان بأمر من يزيد هو قول لا يتفق مع وقائع الحوادث والظروف التى سادت وقتئذ .

٧ – عسقلان (١) :

فى استعراضنا لمجموعة الآراء المؤيدة والأخرى المعارضة بوجود الراس فى عسقلان يسهل البرهنة على انتقال الراس الى القاهرة على اعتبار أن عسقلان مثلت قنطرة العبور الى مصر ودفن الراس بها زمن الفاطميين – وتؤكد بعض الروايات أن يزيد أمر بأن يطاف بالراس فى أهم حواضره وانتهى بها المطاف الى عسقلان حيث دفنت بها الى أن تغلب الفرنج على المدينة فافتدى الراس منهم الوزير الفاطمى الصالح طلائع بن رزيك بثلاثين الف دينار ووضعها بالاشتراك مع جنده فى كيس من حرير أخضر على كرسى من الأبنوس وفرش من تحته المسك والعنبر والطيب حتى آلت الراس الى المشهد الحسينى بمصر .

ورواية وجود الراس بعسقلان ثم نقلها الى القاهرة من الاراء الراجحة التى أجمع عليها جمهور المؤرخين (٢) ولكن أيا منهم لم

---

(١) عسقلان مدينة فلسطينية وردت فى التوراة باسم اشكلون وقد استولى عليها الفرنجيه عام ٥٤٨ هـ وظلوا بها ٣٥ سنة حتى حررها من قبضتهم صلاح الدين الايوبى عام ٥٨٧ هـ وقام بتخريبها لكى لا يمكنهم منها مرة ثانية .

(٢) من هؤلاء الصبان فى اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل اهل بيته الطاهرين ، والشعرانى فى طبقاته ، والقلقشندى فى صبح الاعشى وابن ميسر فى اخبار مصر .

يحدد تاريخ نقل الرأس من دمشق الى عسقلان حين طيف بها .
ولعل الراجح من سياق الحوادث التاريخية يؤكد أن ذلك تم فى القرن الخامس الهجرى . على أنه وجدت آراء قليـــلة تنفى نقل الرأس من دمشق الى اى من مصر أو عسقلان ويؤيدون وجهة نظرهم بحجة أنه لم تكن فى مصر أو الشام شيعة علوية فى مركز السلطان أو التجمع العقائدى بشكل مؤثر . على أنه توجد رواية أخرى تلقى بصيصا من الضوء على أسباب وكيفية نقل الرأس الى عســقلان ولعل الافتراض القائم أساسه أن القبر الذى بناه للرأس سليمان ابن عبد الملك قد نبش ونقل الى عسقلان . ولكن يظل التساؤل الأساسى قائما فى أسباب اختيار عسقلان بالذات مقرا للرأس . وفى رأينا أن ذلك قد يكون مرجعه عاملين أساسيين :

١ ــ ان عســقلان لم تكن فى هــذا الوقت مركزا من مراكز الشيعة ، وان نقل الرأس اليها يخفيها عن نظر الأمويين الذين كانوا يتبعون طوائف الشيعة للقضاء على مراكز تجمعهم وتصفيتهم ، وأن اخفاء الرأس لفترة فى مكان آمن وهو عسقلان ليس سوى خطوة على طريق نقلها الى مراكز دعوتهم القوية .

٢ ــ لعله كان فيه نابشو القبر وهم من المغالين فى الشيعة أن ينقلوا الرأس بطريق البحر الى شمال افريقية ، التى غدت من أهم معاقل الشيعة وأصبحت لدعوتها فى ربوعها شأن كبير ولا شك فى ان موقع مدينة عسقلان الساحلى يسهل ذلك بطريقة لا تثير شكوك الأمويين .

وهناك من الشواهد والنصوص ، ما يشارك اقوال المؤرخين فى شأن وجود الرأس لفترة ما فى عسقلان ، وهذا ما نريد عرضــه وتوضيحه لنصل بعدها الى ما يؤكد نقــل الرأس الى مدينـــة القاهرة . ومن هذه الدلائل ذلك النص التاريخى الذى نقش على المنبر الذى كان بمشهد الرأس فى عسقلان والذى بدأ بناءه أمير

الجيوش بدر الجمالى وأكمله ابنه الأفضل شاهنشاه زمن الخليفة المستنصر وقد نقلت الراس الى مصر أما المنبر فقد نقل بدوره الى المشهد الخليلى فى بيت المقدس وما زال به ، وذلك خشية أن يهدم الفرنجة المشهد ويستولون على الرأس .

وهذا المنبر مصنوع من خشب الجوز التركى وقد دقت اجزاؤه بحشوات خشبية مدقوقة بالأويمة البديعة التى تدل بوضوح على دقة صناعة الحفر الغائر ، حيث تحمل زخارف نباتية وكتابات بالخط الكوفى المزهر (١) ، وقد ورد النص التالى على قوائم المنبر : « الحمد لله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولى الله صلى عليهما وعلى ذريتهما سبحان من أقام لموالينا الأئمة نسبهما مجدا ورفع رأيه وأظهر معجزا كل وقت وآية بين ... وبها فضلا عظيما وعناية وكان من معجزاته تعالى فى اظهاره رأس مولانا الامام الشهيد أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب صلى الله عليه وعلى جده وأبيه وأهل بيتهم بموضع بعسقلان كان الظالمون لعنهم الله ستروه فيه اعفاء لنوره الذى وعد تعالى آية لاظهاره لعنة الله على الظالمين وأراد الله تجاذبه به عن دور المخالفين واظهاره الآن شرفا لأوليائه الميامين وانشراح صدور شيعته المؤمنين (به عن دور المخالفين الميامين وانشراح صدور شيعته المؤمنين) (٢) الذى علم صفاء ضمائرهم فى الولاء والدين وانجاز الحجة على العالمين ورزق الله (على) فتى مولانا وسيدنا معد بن تميم الامام المستنصر بالله تعالى امير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين

---

(١) الخط المزهر يكون حين تنتهى الحروف الكتابية القائمة بأشكال نباتية وهذا لا يوجد الا فى الخط الكوفى فقط ، وقد ساد هذا النوع من الخط فى العصر الفاطمى أما الخط المورق فتوجد على أرضيته زخارف نباتية قد تأتى عليها كتابات أو اشكال نباتية او حيوانية .

(٢) تكررت الجملة بين القوسين على المنبر ايضا .

السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبا النجم بدر المستنصرى اظهـاره فى ايامه فاستخرجه من مكانه وخصه باجلاله وتكريم مقامه وتقـدم بانشاء هذا المنبر برسم المشهد الشريف الذى أنشأه ودفن فيه هذا الرأس فى أشرف محاله قبلة الأمير وصلاة المتقبلين وشفيع المستشفعين والزائرين وبناء من أسه الى علوه وابتاع له الأملاك وحبس منافعها على عمارته وسدنته وجماله لليوم وما بعده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين أنفق على جميع ذلك من فضل ما أتاه الله من حل ماله وخالص ما ملكه ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه واتباع رضوانه واعلاء شرف هذا الامام ونشر أعلامه بقوله تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكون من المهتـدين) وقال النبى صلى الله عليه وسـلم خلفت فيكم الثقلـين كتاب الله وعترتى أهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض كهاتين ويجب على من يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيمه وتشريفه والنظر فى مصالحه وعمارة ما يحتاجه فى أوانه وتطهيره وكان انشاء هذا القبر فى سنة أربع وثمانين وأربع مائة » .

وعلى باب المنبر النص الآخر التالى : « بسم الله الرحمن الرحيم نصر الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليـه وعلى آبائه الطاهرين وأبنـائه البررة الأكرمين صلاة باقية الى يوم الدين مما أمر بعمل هذا المنبر فتاه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسـلام ناصر الامام كافل قضـاة المسـلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته للمشهد الشريف بثغر عسقلان مسجد مولانا أمير المؤمنين أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهما فى شهور سنة أربع وثمانين وأربع مائة » .

ولعل النصوص السابقة تزيد الأمر يقينا عن وجود الرأس فى عسقلان بفتره ما ، خاصة اذا ما أضفنا لتلك النصوص أهم ما قاله المؤرخون الذين يؤيدون رأى وجود الراس فى عسقلان . فهذا الامام الهروى يصف ثغر عسقلان حين زاره ٥٧٠ هـ قائلا : « وبعسقلان مشهد الحسين عليه السلام كان رأسه به فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون الى مدينة القاهرة وذلك سنة ٥٤٨ هـ » ويتفق مع الامام الهروى فى الرأى بن ألطولونى الحفنى وان كان قد ذكر سنة ٥٤٩ هـ تاريخا لنقل الرأس الى القاهرة ــ متفقا فى ذلك التاريخ مع القلقشندى (١) وابراهيم بن وصيف شاه وابن أياس (٢) الذى قرر أن الرأس نقلت الى مراكز ثلاثة قبل أن تستقر فى مقامها الأخير بالقاهرة .

ونحن فى صدر عرض أقوال المؤرخين فى هذا الموضوع نشير الى ما كتبه المقريزى الذى لم يشأ أن يقحم نفسه فى تحديد موضع الرأس فنقل عن ابن عبد الظاهر رواية وجود الراس فى عسقلان وأن بدر الجمالى هو الذى بدأ بناية المشهد وأتمه ابنه ، ثم نقلت الرأس الى القاهرة حين خشى عليها من الفرنجه حين سقطت عسقلان فى أيديهم . ثم نقل عنه أيضا أن الصالح طلائع بنى مسجده خصيصا لتدفن به رأس الحسين ولكن الخليفة الفائز رأى أن تدفن الرأس الشريف بداخل القصور الزاهرة وتم له ذلك وبنى المشهد الحالى . وقد أيد القلقشندى هذا القول فى رواية مماثلة (٣) .

وأورد المقريزى أيضا ان ابن مأمون المؤرخ ذكر فى وصفه لحوادث ٥١٦ هـ أن الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى أهدى قنديلين

---

(١) صبح الاعشى .

(٢) ابن اياس جـ ١ ص ٦٧ .

(٣) صبح الاعشى جـ ٣ ص ٣٥١

احدهما من ذهب والآخر من فضة للمشهد الحسينى بعسقلان كما اهدى له الوزير المأمون قنديلا من ذهب له سلسلة من الفضة .

٨ ـ **القاهـــرة** : تعد نهاية مطاف الراس الشريف على طريق وحلتها المرجحة من دمشــق الى عسقلان ثم الى القــاهرة . حيث نقلت الراس من عسقلان على حد ذكر المقريزى (١) يوم الأحد الثامن من جمــادى الآخــر ســنه ٥٤٨ هـ المــوافق (٣١ اغسطس سنة ١١٥٣ م) وذلك بمعرفة الأمير سيف المملكة تميم وحضر بها قصر الزمرد يوم ١٠ جمادى الآخر ، كما ذكر المقريزى أن الأستاذ مكنون قدم بالرأس فى عشـارى من عشاريات الخدمة وانزل به الى الحديقة ثم حملت الرأس فى سرداب الى قصر الزمرد حيث دفنت عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة .

ويلقى المقريزى اضواءا جديدة على وجود الرأس بالقاهرة حين ذكر أن الصالح طلائع بن رزيك بنى للرأس مسجدا خارج باب زويلة من ناحية الدرب الأحمر المعروف بجامع الصالح طلائع . وانه حين كشفت الحجب من هذه الذخيرة النبوية وجد أن دمائها لم تجف بعد وذات ريح طيب من المسك نقلت مع الواح خشبية بالمسجد .. على ان المبالغة فى رواية المقريزى لا تلغى القول بأن ثمة راس غسلت بالمسجد ومن الراجح انها رأس الحسين .

ولقد القت حفائر عام ١٩٤٥ م مزيدا من الرؤية والوضــوح لتدليل ما أورده المقريزى حين ظهرت فى النهــاية الشرقية للجهة البحرية لجامع الصالح طلائع بقايا أبنية كانت تقع خلف منزل ودكان ظهرت بعــد هدمهما ، وتبين من فحصها انها تماثل ابنية الواجهة البحــرية وتعد امتدادا معماريا لها . وظهــر بها باب كبير الحجم يحتوى على نقوش وكتابات كوفية ، وذلك المدخل يوصل الى خلف

---

(١) المقريزى ج ١ ص ٤٢٧

الجدار الشرقى وأسفله فجوة كبيرة لها عتب كما يوجد فى أبواب الدكاكين ، وبأعلى واجهتهما جدار حجرى تعاوه من بداية الجهة الشرقية للمسجد داخل افريز صغيرة كتابة كوفية نصها « بسم الله الرحمن الرحيم (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه حتى قوله تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) أمر بانشاء هذا المسجد المبارك فتى مولانا وسيدنا عبد الله أبو محمد .. ثم انتهت الكتابة عند فتحة الباب .

وفى الواجهة البحرية كتابة كوفية أيضا داخل افريز أكبر مما سبق تشتمل على اسم الحسن والحسين وقوله تعالى رحمة الله عليكم أهل البيت انه حميد مجيد . وحول العتب كتب قوله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين » .

وتلك الآيات الكريمة لا تكتب عادة الا بداخل المدافن مما يرجح صدق رواية المقريزى فى رأى المرحوم حسن عبد الوهاب وأن هذه الكتابات كانت تخص المشهد الذى بناه طلائع لمثوى رأس الحسين خاصة أن تصميم المساجد الفاطمية لم تكن لتشتمل على مدافن مما يفسر تشييد المشهد بجوار المسجد وان ما وجد فيه فهو بقاياه ، ويدلل على رأيه بأن آية (ادخلوها بسلام آمنين) تكتب على مداخل المدافن وان ما أورده ابن دقماق من ان الصالح طلائع بنى جامع الصالح بظاهر باب زويلة ، وبنى مشهد الحسين عليه السلام سنة ٥٥٣ هـ .. وان هذا القول فى رأى المرحوم حسن عبد الوهاب ينطبق على هذا المشهد وان كانت الصلة بين المسجد والمشهد قد ضاعت معالمها الآن بسبب عمل الخندق الشرقى وتجديد أغلب الجدار الشرقى الذى كان يوصل للمشهد .

ولعل على ضوء ما تقدم ان اصرار الخليفة الفائز على دفن الرأس بداخل القصور وعمل طلائع بهذا الأمر قد يؤكد أن الرأس الشريف دفنت بالمشهد الموجود حاليا عام ٥٤٩ هـ حين بنى لها بعد أن ظلت مدفونة لمدة عام فى قصر الزمرد .

وبعد أن استعرضنا أهم الآراء والروايات فى شأن ومقر الرأس الشريف فان خير خاتمة لذلك العرض ما أورده الأستاذ خالد محمد خالد (١) فى هذا الشأن من قوله « أما رأس البطل فقد راحت البقاع الاسلامية تتنافس ادعاء شرف ايوائه ، فيدعى كل منها أن الرأس عندها يعطر أرضها ويبارك حماها ، ولكن لا يعرف على وجه اليقين أين هو وذلك أمر يتسق مع حياة البطل ومصيره . فرأس الحسين بكل ما مثله من صمود وعظمة وتضحية لم يعــد ملكا للحسين ، ولا ملكا لجسده ، لم يعــد ملكا لأرض دون أرض بل ولا دين دون دين ، لقد صار ملكا للبشرية الراشدة فى كل زمان ومكان ــ صار ملكا للحق ، يرفعه فى أوديته العامرة والثائرة لواء وقدوة ، ويملأ بسناه ارادة الحياة عزما ، وضميرها نورا ، وكذلك صارت رؤوس أهله وصحبه مشاعل فوق طريق الحق والشرف والايمان » .

---

(١) ايتام الرسول فى كربلاء ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

المشهد الحسينى بالقاهرة :

● كانت القاهرة وفق ارجح الروايات السابق عرضها هى نهايه مقر الراس الشريف حيث دفن تحت المشهد الحالى ق عام ٥٤٩ هـ على النحو الذى بيناه — وحين تولى صلاح الدين الأيوبى ولايه مصر عام ٥٦٧ هـ عمل على نشر المذهب السنى الذى يدين به على اساس اضعاف المذهب الشيعى ، وهو فى سبيل ذلك أنشأ المدارس لتدريس علوم المذاهب الفقهيه الأربعه ، وكانت احدى تلك المدارس نفع الى الجوار من المشهد الحسينى وسميت بالمشهد وانتظم فيها تدريس شتى العلوم والمعارف على أيدى مدرسين مقررين لها تحت اشراف الفقيه البهائى الدمشقى ، الذى كان يؤم حلقات التدريس ويجلس عند المحراب الذى خلفه الضريح — كما ذكر المقريزى — ولقد شاهد الرحالة ابن جبير المدرسة والمشهد وهو فى طريق رحلته من الأندلس الى مكة للحج عام ٥٧٨ هـ مارا بالقاهرة ، ولقد احسن الوصف وكان مما قاله (١) « فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذى بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وهو تابوت فضة مدفون تحت الأرض وقد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الادراك به ، مجلل بأنواع الديباج محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا أبيض ومنه ما هو دون ذلك ، وقد وضع أكثرها فى أنوار فضة خالصة ، ومنها مذهبة وعلقت عليها قناديل فضة ، وصف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهبا ، فى وضع شبيه بالروضة ، يقيد الأبصار حسنا وجمالا — فيه من انواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله المتخيلون ، والمدخل الى هذه الروضة على مسجد على

---

(١) رحلة ابن جبير ص/١٤

مثالها فى التأنق والغرابة ، حيطانها كلها رخام على الصفة المذكورة وعن يمين الروضـــه المذكوره وشما لها بنيـــان من كليهما المـــدخل اليها ، وهما أيضا على تلك الصفة ، والأستار البديعية الصنعه من الديباج معلقة على الجميع ، ومن اعجب ما شاهدناه عنـــد دخولنا الى هذا المسجد المبارك حجر مصنوع فى الجـــدار الذى يستقبله الداخل شـــديد السواد والبصيص ، يصف الأشخاص كلها كأنها المرآه الهندية الحديثه الصقل نفعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم . وبالجملة فما اظن فى الوجود كله مصنعا أحفـــل منه ولا مرآى من البنـــاء اعجب ولا أبدع منه ، قدس الله العضـــو الكريم الذى فيه بمنه وكرمه » .

ويرى المرحوم حسن عبد الوهاب (١) أن مسجـــد الحســـين الحالى حل محل المدرسة التى انشأها صـــلاح الدين نظرا لوصف موقع الضريح بأنه يقع خلف جدار المحراب .

وفى عام ٦٣٤ هـ انتهى أبو القاسم بن يحى المعروف بالزرزور من اقامة منارة أعلى باب المشهد استغرق بناؤها عام ـ وتميزت بالعديد من الزخارف الجصية ، وكانت تعلو الباب الأخضر ، ولم يتبقى منها سوى القـــاعدة المربعة التى تحمـــل لوحتان تذكاريتان نص الأولى منها :

« ... الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه . وكان تمامها على يدى ولده محمـــد سنة ثلاثة وثلاثين وست مائة عفـــا الله عنه » .

اما نص الثانية :

« بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بانشـــاء هذه المئـــذنة المبـــاركة على باب مشهد السيد الحسين تقربا الى الله ورفعا لمنار الاسلام الحاج الى بيت الله أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى

---

(١) تاريخ المساجد الاثرية ص ٨٤ .

المعـروف بالزرزور تقبـل الله منه ـ وكان المباشر بعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذى انفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجا عما أوصى به والده المذكور . وكان فراغهـا فى شـهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة » .

وتعهدت أيدى الصالحين العناية بالمشهد وتوسيعه وترميمـه ومنهم العـلامة معين الدين بن شيخ الشيوخ وزير الملك الصـالح نجم الدين أيوب حيث الحق بالمشـهد ايوانا وعدة بيوتا للفقراء ـ ولكن المشهد تعرض لحريق عام ٦٤٦ هـ وصفه المقـريزى (١) بأن سبب حدوثه أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيئا لكن شعلة سقطت منه وأن الأمير جمال الدين نائب الملك الصالح نجم الدين أشرف بنفسه على اطفاء النيران .

وكان هذا الحريق سببا فى عدة اصلاحات وترميمات شملت ما أصاب المشـهد ، فقام القـاضى عبد الرحيم البيسانى بترميم المشهد وعمل اضافات جديدة ، كما أقام به ساقية وميضأة عـدا ما اوقفه من ممتلكاته للانفاق على المشهد . وفى زمن المماليك أمر الظاهر بيبرس بأن تنفق ريع وقف المشهد على ترميمه وتوسيعه وبفضل ذلك حفظت عمارته . وفى عام ٦٨٤ هـ أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون ايوانا وبيوتا للفقراء العاويين وتلك الاصلاحات انعكست فيما كتبه الرحالة فى وصف المشـهد بعـد ذلك ، فهذا ابن بطوطـة يصفـه حين زار مصر سـنة ٧٢٧ هـ قائلا : « ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين ابن على عليهما السلام ـ وعليه رباط (٢) ضخم عجيب البناء على

(١) المقريزى ج ١ ص ٤٢٨

(٢) يعنى الرباط فى العمارة الاسلامية ذلك النوع من البناء ذو الطابع الحربى ويقطنه المجاهدون عن ديار المسلمين بسـيوفهم ورماحهم ، واغلبهـا مبانى مستطيلة توجد فى اركانها ابراج للمراقبة والانذار ، وحين زالت عنها الصفة العسكرية تحولت الى بيوت للعبادة والزهد والتقشف يقيم فيها المتصوفة ـ وقد شاع هذا النوع من العمائر الاسلامية فى شمال افريقية .

خشب ابوابه حلق الفضة وصفائحها وهو موفى الحق من الاجلال والتعظيم » .

وابان حكم العثمانيون حظى المشهد الحسينى بالعناية وتعهدته يد الاصلاح ، فقام الوالى السيد محمد باشا الشريف ـ مكث بحكم مصر عامين من سنة ١٠٠٤ هـ : ١٠٠٦ هـ ـ باصلاح وزخرفة المشهد تلاه الأمير حسن كتخدا عزبان الجلفى المتوفى سنة ١١٢٤ هـ وقام بتوسيع المشهد وأمر بأن يصنع له تابوت من الأبنوس المطعم بالفضة يغطيه ستر من الحرير المزركش ، ونقله الى المشهد فى احتفال كبير ، ووضع التابوت فى قفص من الجريد يحمله اربعة رجال ، وقد وضعت على جوانبه الأربع أربعة فرسان من الفضة المطلية بالذهب ومشى الموكب يتقدمه الطائفة الرفاعية بالطبول والأعلام يحملون مباخرهم الفضية فيها البخور والعنبر ويرشون على الناس ماء الورد وانتهت مسيرتهم الى المشهد حيث وضعوا الستر على المقام (١) .

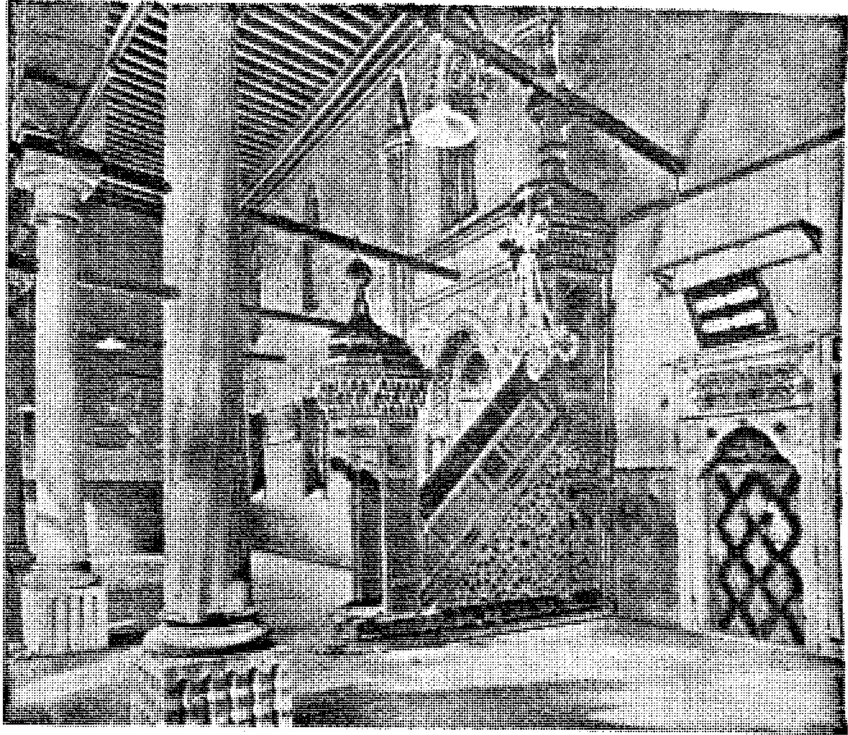
وفى عام ١١٧٥ هـ جدد الأمير عبد الرحمن كتخدا بنيان المشهد وأقام له ايوانين وعمل صهريجا وحنفية للمياه ، وأثبت هذه العمارة على عتب رخامى ، كما قرر الرواتب للقائمين على أمور المسجد فرغم أنه قام بعمل زيادات سنة ١٢٠٤ هـ سجلها على الباب البحرى للقبة ، وهذا الباب كسيت جدرانه بالرخام المنقوش له مصراعان مكسوان بالنحاس ، وحملت تواشيح الباب دوائر كتب فيها (لا اله الا الله محمد رسول الله) ـ الامام على ـ الامام الحسين ـ الامام الحسن) ، الا أنه مع الأسف قد تغلبت المصلحة الشخصية لأبى الأنوار على عنايته بالمسجد ، وقد أورد الجبرتى هذه الأنانية فى قوله « ان أبا الأنوار كان له دار بجوار المسجد ولوجودها قبالة الميضأة والمراحيض كان يتضرر من سكانها فعزم

---

(١) الجبرتى جـ ص ١٠٩ .

على ابطال دورة المياه من تلك الجهة فاشترى دارا قبلى بالمسجد وادخل منها جانبا فيه بمقدار باكية ورفعها درجة ليميز الحديث من العتيق وجعل بها محرابا وانشأ فيما بقى من الدار الميضأة والمراحيض وفتح لها بابا من داخل المسجد ولم تمض أيام قلائل حتى اخذت الروائح الكريهة بمن فى المسجد من المصلين والزائرين وظهرت بالمسجد أقذار البلل من أرجل الأوباش بقربها منه ، فلفظ الناس وشنوا القالة ، ولم يحضر فى أوقات الصلاة من اتراك خان الخليلى والتجار أحد ثم قاموا قومة واحدة وأغلقوا الباب وابطلوا تلك الميضأة والمراحيض الحديثة بالقوة ومنعوا الناس من الدخول وساعدهم المنصفون من اقباسهم . فاضطر أبو الأنوار الى اعادة الميضأة القديمة كما كانت وجعل الحديثة مربطا للحمير يستغل اجرته بعد أن أزالها ومحا أثرها » .

وفى عام ١٢٧٩ هـ قام الخديوى اسماعيل بعمارة المشهد بناءا على اوامر السلطان العثمانى عبد العزيز بعد زيارته لمصر والمشهد ، وبعد ما رآه من اقبال الناس وتعظيمهم له واستمرت اعمال التجديدات والزيادات حتى عام ١٢٩٠ هـ تقريبا تم خلالها فتح شارع السكة الجديدة ولم تشمل اعمال التجديدات القبة ، ولقد استقدم الخديوى اسماعيل الأعمدة الرخامية من استانبول كما نقل الى المشهد منبر خشبى رائع الصنع مطلى بالذهب وذلك من جامع ازبك الذى كان يوجد بميدان الأوبرا الحالى واليه تنسب منطقة الأزبكية وقد تهدم هذا المسجد . وذكر على باشا مبارك أن هذه التجديدات قد تكلفت ٧٩ الف جنيه تحملتها الأوقاف وتبرعات الاغنياء من اجل ذلك الغرض الجليل وتلك الأعمال زادت من صحن الجامع وأصبح يشتمل على ٤٤ عمودا عليها بوائك بعاوها سقف خشبى مزخرف بالرسوم والألوان المتنوعة الدقيقة . وبوسطه مناور مسقوفة وبمؤخرة المسجد وضعت دكة المبلغ . ووجد للمسجد أربعة أبواب كلها من الرخام الأبيض تقع ثلاثة منها بناحية



شكل (٣) منبر المشهد الحسينى بالقاهرة

خان الخليلى اما الرابع فيقع بجوار القبة وهو الباب الأخضر وانشئت بالجدران ثلاثون شباكا ذات الحجم المتسع صنعت من النحاس المطلى بالذهب تعلوها شبابيك اخرى أصغر حجما ذات دوائر رخامية .

وقد صنع للمشهد عام ١٢٩٢ هـ ستر مزركش ثم اقيمت المنارة عام ١٢٩٥ هـ ، ولقد أورد على باشا مبارك (١) فى خططه وصفا لهذه التجديدات جاء فيها : « وفرش بالفرش النفيسة وتنويره بالشموع والزيوت الطيبة فى قناديل البللور ورتبوا له فوق الكفاية من الأئمة والمؤذنين والمبلغين والبوابين والفراشين والكناسين

---

(١) على مبارك ـ الخطط الجديدة ج ١٠ ص ٨٩ .

والوقادين والسقايين ونحو ذلك ووقفوا عليه أوقافا جمة يبلغ ايرادها نحو الألف جنيه فى بيان مدى الاهتمام بالمسجد الشريف » .

والتصميمات الحديثة بالمشهد وصفها على باشا مبارك رغم انتقاده لها ، ويعلق المرحوم حسن عبد الوهاب على هذا النقد أن له كل الحق فيما أبدى (٢) وفى وصف على مبارك للتصميم الذى ارتآه يقول : « ندبنى لعمل رسم للجامع يكون به وافيا بمقصده الحسن فبذلت الهمة فى ذلك وعملت له الرسم اللائق بعظم شأنه بحيث لو وضع عليه لكان مبرأ للعيوب مع الاتساع العظيم داخلا وخارجا اذ جعلته منفصلا من كل جهة من المساكن بشوارع وميادين رحيبة وجعلت شكله قائم الزوايا وجعلت حده الأيمن بحذاء جدار القبة الأيسر بالنسبة للمصلى فيها بحيث يكون الجدار واحدا ، وحده الأيسر نهاية الحد الأيسر للصحن الذى به الحنفية الآن ويصير هذا الصحن من ضمن الجامع وحده الذى به المحراب والمنبر يكون بحذاء جدار القبة الذى به محرابها بحيث يكون الجدار الأيمن أعنى فى محل الايوان القديم بجوار عمارة العنانى وتكون عن يمين ذلك المطهرة والأخلية والساقية بحيث يؤخذ لها بعض من عمارة العنانى فيكون الجامع آمنا من انعكاس روائح الأخلية اليه كما هو الشأن فى وضع الأخلية ، وفى هذا الرسم صار الضريح الشريف خارجا من الجامع فى الزاوية التى عن يمين المحراب داخلا فى الصحن من جهته اليسرى وجعلت للضريح بابا الى الجامع وبابا الى الصحن وبابا الى شارع الباب الأخضر لزيارة النساء . وجعلت سعة الشارع فى غربيه وشرقيه نحو ثلاثين مترا وفى بحريه نحو أربعين » .

وقد علل على باشا مبارك نقده للتصميم العام بعد أن تم التنفيذ

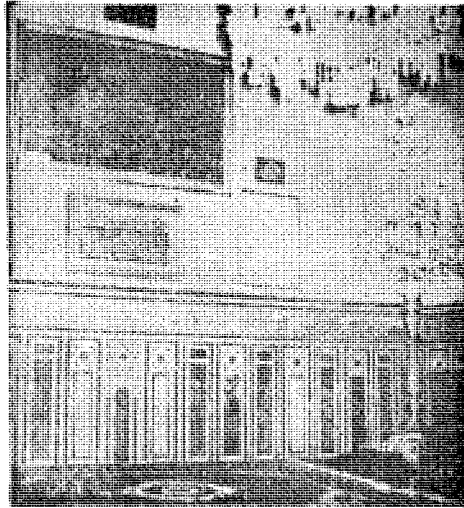
(٢) حسن عبد الوهاب تاريخ المساجد الاثرية ج ١ ص ٨٦ .

على يد راتب باشا وزير الأوقاف فى ذلك الحين الذى اسرع فى اعادة بناء المسجد فى فترة عشرة سنوات دون اعادة بناء القبة والضريح ثم شيد المنارة بعد ذلك على النحو الذى سبق أن بيناه . ولكن راتب باشا لم يلتزم بالتصميمات التى وضعها له على مبارك حيث يقول فى هذا الشأن : « ان راتب باشا بنى الجامع غير قائم الزوايا فان ضلعه الأيمن قصير عن ضلعه الأيسر وكذا الضلعان الآخران غير متساويين بحيث أوجب ذلك وضع الأساطين منحرفة بحيث لو وافقتها صفوف المصلين كما هو العادة لانحرفوا عن القبلة ولو سامتوا القبلة كما هو المطلوب لقطعوا صفوف الأساطين ، وصار الجامع على سعته وارتفاعه غير مستوف لحقه من النور والهواء لسوء رسم الأبواب والشبابيك وعدم أخذها حقها من الارتفاع والاتساع مع قلتها وقلة الملاقف » .

وفى عام ١٢٦٦ هـ أنشئت بمؤخرة المسجد مئذنة عثمانية الطراز (١) تحمل نصين كتبا بخط السلطان عبد المجيد خان الأول للآية ٩٠ من سورة الأنعام (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين) . والنص الآخر (أحب أهل بيتى الى الحسن والحسين) . وأصبح للمسجد بذلك مئذنتان الأولى كما سبق أن أشرنا أنشأها أبو القاسم السكرى الملقب بالزرزور سنة ٦٣٤ هـ وهى قصيرة وقد قامت لجنة الآثار بترميمها وكسى المحراب بالقاشانى على يد عبد الواحد التازى سنة ١٣٠٣ هـ ونقشت عليه نصوص قرآنية ثم هذا النص : « اللهم كن برحمتك خير مجازى لمنشئه عبد الواحد التازى سنة ١٣٠٣ هـ » .

---

(١) انتشر هذا النوع من طراز المآذن فى عهد محمد على وخلفائه ، ويتميز طرازها التركى بصغر قطر بدنها وشكلها الرفيع المرتفع والمدبب فى آخره بما يشبه القلم الرصاص المدبب ، وتتجلى أجمل أمثلتها فى مئذنتى مسجد محمد على بالقلعة بالقاهرة .



شكل (٤) جانب من غرفة المخلفات النبويه بالمشهد الحسينى بالقاهرة

قاعة المخلفات النبوية :

لا يعد المشهد الحسينى أول مطاف هذه المخلفات الشريفة بمصر بل تناقلتها أيدى كثيرة على فترات زمنية حتى مستقرها الأخير هذا .

وأول العهد بها ذكرا ان كانت طرف بنى ابراهيم بينبع ثم بيعت للوزير تاج الدين محمد بن حنا فنقلها الى مصر وشيد لها الرباط الذى ما زال موجودا على النيل فى منطقة أثر النبى بمصر القديمة ، واشتملت هذه الآثار على مرود وملقط وقطعة من الحرير . وفى عام ٩١٠ هـ أمر السلطان الغورى بنقل هذه الآثار الى مدرسته بعد أن أتم تشييد قبته بالغورية ثم نقلت المخلفات من القبة الى المسجد الزينبى عام ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) ثم الى القلعة حتى كان عهد الخديوى توفيق الذى نقلها فى احتفال عظيم الى المشهد الحسينى بعد أن وضعها فى لفائف من الديباج الأخضر المطرز

بالسلوك من الفضـــة المذهبة وكان ذلك يوم الخميس ٢٥ جمادى الثانيه سنه ١٣٠٥ هـ .

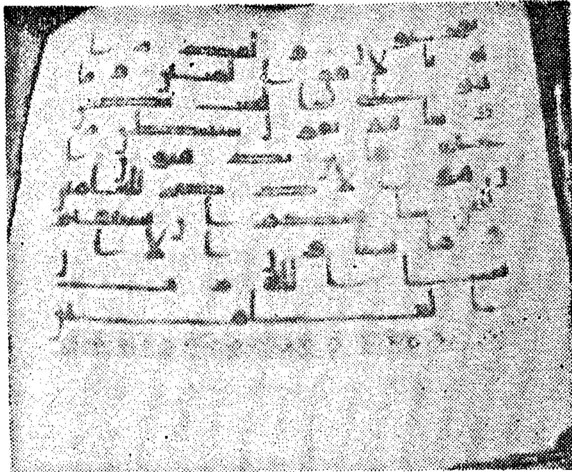
وان كان عباس حلمي الاول حاول اصلاح المقام الحسيني قبل اصلاحات الخديوى اسماعيل ، اذ اشترى الأملاك وهدمها فى سبيل تحقيق ذلك ، الا أن الموت لم يمهله لتحقيق بغيته . فاننا نجد عباس حلمى الثانى قد شيد فى عام ١٣١١ هـ قاعة متسعة (١) لتوضع فيها الآثار النبوية والتى كان متحفظا عليها فى دولاب كان قـد وضع فى الجنوب الشرقى من المسجد ، وتعد هذه القاعة آية فى الزخارف المعمارية ، وقد اقيم فى الجهة الشرقية باب يوصل الى هذه القاعة وقد أحسنت اضاءتها بواسطة المصــابيح والثريات ، كما كسيت جدرانها بالرخام وسقفت بالخشب المزخرف : وقد صنعت نوافذها من الجص المعشق بزجاج متعدد الألوان ، وفرشت أرضية القاعة بأفخم أنواع السجاد .

وتم تركيب دولاب المخلفات فى فجوه صنعت خصيصا لجدار القاعة القبلى ثم غلفت بالجـوخ الأخضر ، وبتلك الفجـوة سطح زجاجى لوضع الأمانات ، كما أن لها بابا من خشب الجوز المطعـم بالعاج والصــدف والأبنوس تعلوه كتابة بأحرف من العــاج هذا نصها : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » ولهذه القاعــة بابان أحدهما يوصل الى المسجد والآخر الى القبة ، وعلى رخام جدار الغرفة من الداخل كتبت البسملة ثم سورة الشرح ثم النص التالى : « ذكر ما هو محفوظ بهــذه الخــزانة المبــاركة من آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وآثار خلفائه رضى الله عنهم أجمعين ـ تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعــة من قميصــه الشريف ومكحلة ومرود وقطعة من القضيب وشعرتين من اللحية الشريفة وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفى أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه والآخر بخط سيدنا الامام على

(١) حسن عبد الوهاب ـ تاريخ المساجد الاثريه ص ٩٢ ، ٩٣ .



شكل (٥) صفحة من المصحف المنسوب لسيدنا عثمان بن عفان والمحفوظ بغرفة المخلفات النبوية بالمشهد الحسينى بالقاهرة



شكل (٦) صفحة من المصحف المنسوب لسيدنا على بن أبى طالب والمحفوظ بغرفة المخلفات النبوية بالمشهد الحسينى بالقاهرة

كرم الله وجهه . ذكر ما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاته ثوبا حبرة وازار عمانى وثوبان صحاريان وقميص صحارى وقميص سحولى وسراويل وجبة يمنية وقيمصه وكساء أبيض وقلانس ، فدك وثلث أرض وادى القرى وسهم وخمس ارض خيبر وحصته من أرض بنى النضير » .

بالاضافة الى هذه القاعة البديعة قام عباس حلمى الثانى أيضا باعادة نقوش القبة واقامة نوافذ جديدة فيها مع محافظته على النقوش والكتابات القديمه .

ويناقش لنا المرحوم حسن عبد الوهاب المخلفات النبوية المذكورة بالمتهد ، ويرى بالنسبة للشعرات الشريفة انه كانت بمصر وغيرها شعرات نسبت للرسول عليه السلام . وبالنسبة للمصحفين يرى ان المصحف المنسوب لسيدنا على كرم الله وجهه لعله أحد مصحفين احدهما ظل بجامع عمرو بن العاص حتى سنة ٥١٦ هـ ، واهتم به الآمر بأحكام الله ، وآخرهما قد يكون برباط الآثار على النيل ويشك فى نسبته اليه لأسباب فنية وتاريخية . أما المصحف الثانى المنسوب لسيدنا عثمان فيؤكد أن مصدره كان المدرسة التى شيدها القاضى الفاضل سنة ٥٨٠ هـ بحارة قصر الشوق قرب المشهد الحسينى حتى استولى عليه السلطان الأشرف قنصوة الغورى وهو مصحف كبير تتعدى أوراقه الألف وكتب بالخط الكوفى البسيط دون اعجام أو تشكيل ، وبكل صفحة منه اثنا عشر سطرا ، وحليت رؤوس السور بأفريز من زخارف بدائية على شكل دوائر تحيطها النقوش واخرى على شكل سلسلة ، ويلاحظ ان ما كتب بعد قوله تعالى (وامرأته حمالة الحطب) قد كتب بخط كوفى احدث مما سبق كتابته .

ويرجح المرحوم حسن عبد الوهاب من بساطة الخط والزخرفة ان المصحف كتب فى أواخر القرن الثانى الهجرى او أول الثالث الهجرى ، وأوله مهلهل وبحوافه دم زعم خطأ انه دم عثمان . وان

زعم نسبته لعثمان ينقصه الأسانيد خاصة اذا علمنا أن قاعدة الخط والزخرفة المستخدمة به لا تتفق والقرن الأول الهجرى ، وأن عديدا من المصاحف بعضها بالشام والحجاز والمغرب العربى قد نسبت أيضا الى عثمان مع أنه من الثابت أنه رضوان الله عليه لم يحرر مصحفا ، وبالتالى لا يمكن نسبه هذا المصحف اليه . ولهذا المصحف صندوق خشبى غلف بالجلد له مفصلات مذهبة باسم السلطان الغورى ونص : « برسم المصحف الشريف العثمانى السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى » ، كما حلى الصندوق بأشكال هندسية مكفتة بالذهب . ويحمل احد أوجه الصندوق هذا النص : « جدد هذا المصحف الشريف المعظم الذى من اذا حلف به صادقا نجا وكان له من كل ضيق مخرجا . ومن حلف به فاجرا كف وهان واصبح فى ذلك فى مقتت وخذلان بخط من رتب وسوره وآياته واجزاءه ومن ختمه فى كل ركعة من صلاته وبه اقتدى من سماه نبينا بالأمين ذى النورين زوج بنتيه ورفيقه فى الدارين من استحيت منه ملائكة الرحمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، أمر وتشرف بتجليده السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى كان الله له وتجديده على يديه بعد ثمان مائة وأربع وسبعون عاما مضت تقبل الله ذلك منة عليه ببركته وحفظه ونصره وثبت قواعد دولته بمحمد وآله » .

ويلاحظ أن الكتابة فى النص السابق من أول السلطان الملك الاشرف كتبت بخط مغاير للسابق عليها ، مما يؤكد أن القائم بعمل الصندوق غير الغورى الذى قام باصلاحه ، وعمل مفصلاته وكتب اسمه بعد تغيير مسار الكتابة . ولعل الذى صنع الصندوق هو السلطان قايتباى .

ومن العمارة الفاطمية للمشهد يتبقى الآن الباب الأخضر يعلوه عقد عاتق تتخله حلية بوسطها دائرة مفرغة مزخرفة كما يعلوه جزء من شرفة بديعة والباب مبنى من الحجر المفرغ المزخرف ويقع هذا الباب جنوب الضريح والى الجنوب الغربى من جدار القبة .

ويبلغ طوله ٤٫٩٢ م وارتفاعه ٥٫٨٥ م بوسطه بوابة عرضها ١٫٨٩ م وارتفاعها ٢٫٣٣ م ويرجع الأستاذ كريسول عمارة هذا الباب الى أواخر عصر الفواطم حيث دفنت الرأس الشريف بالمشهد .

ومن العمارة الأيوبية تعلو الباب الأخضر المنارة القصيرة التى أنشأها ابو القاسم بن يحيى الملقب بالزرزور على النحو الذى سبق ان عرضناه . والمنارة من الآجر وتقوم على قاعدة مثمنة الشكل شيد عليها الطابق التانى للمنارة على شكل مثمن أيضا بارتفاع ٢٫٥٠ م وتتخلل كل واجهة منها فتحة ، ويعلو ذلك الدور الثانى رقبة مثمنة عليها قبة مضلعة ارتفاع كلاهما ٢٫٣٠ م . وطول مربع المناره ٢٫٥ مترا وارتفاعه ١٢٫٧٦ م ويبلغ ارتفاع المنارة كلها ١٧٫٥ م .

ومربع المنارة هذا عليه مستطيلات ملئت بالزخارف الجصية ذات التأثير الأندلسى . وحملت المنارة لوحة تذكارية مؤرخة ٦٣٤ هـ تحمل النص الذى سبق أن اوردناه .

القبـة :

من المرجح ان الضريح الشريف ومثمن المنارة ومصاريعها المكسوة بالفضة والجزء العلوى من القبة يرجع الى عمارة عبد الرحمن كتخدا عام ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) التى اثبتت على العتب الرخامى وان كان بعض المؤرخين والأثريين يرجعون عمارة القبة الى منتصف القرن الماضى ومنهم الأستاذ كريسويل وعلى باشا مبارك .

وبناء القبة مستطيل الشكل الى حد ما يقوم على مقرنصات

شبه دائرية(١) وعقود نصف دائرية زخرفت جوانبهــا بالنقوش الزيتية العثمانية ، وقد أرخت هذه النقوش على الشريط الــذي يحيط بقاعدة القبة ويعلو المحراب بماء الذهب كتبهــا الخطاط البلخى سنة ١١٨٧ هـ أى بعد عمارة كتخدا باثنى عشر عاما .

واسفل مربع القبة من الداخل كســـيتا واجهتها المطلة على المسجد بالرخام المطعم بالصدف كما تم ذلك أيضا فى رسوم هندسية دقيقة لمحيط القبة الداخلى وترجع هذه الزخارف الرخامية الى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، أما النقوش الزيتية للتواشيح بالنسبة للأجزاء العليا من القبة فترجع الى سنة ١١٨٧هـ كما أشرنا ثم أعيد تجديدها كما هو مدون على الباكية الشريفة فى عام ١٣١٦ هـ . وللقبة أربعة أبواب اثنان منها يؤديان للمسجد ويقعان فى الجهة الغربية والثالث يوصل لغرفة المخلفات النبوية .

---

(١) القرنصـــات أو الدلايات من اهم اساليب زخرفة العمائر الاســلامية وهى حليات على شكل خلايا النحل ولها استعمالان رئيسيان :ـ

الاول : ان تكون وســيلة انشائية فى استخدامها لتحويل المربع الى دائرة فى انشاء القباب الدائرية بعد أن استخدمت أولا الطاقة المفردة فى أركان الغرفة المربعة والتى شاعت فى العمائر الساسانية ثم تطورت لتحويل القبة من مربع الى دائرة منذ القرن الخامس . وهذا التطور أساسه مضاعفة عدد حطات الطاقة ، المفردة وعرفت باسم المقرنصـــات والتى انتشرت فى الشرق منذ القرن الحادى عشر وبعض أشكاله تكون أشبه بعقد مدبب بثلاثة فصـــوص وتتكون من منطقة سفلية تجمع به طاقة فى الوسط تكتنفها حليتان تتوجها طاقة علوية . ومن امثلتها ماوجد فى بعض حنايا قبة الضريح بالمسجد الجامع بأصفهان ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م) . واستخدم فى تحويل القبة من المربع الى الدائرة بواســطة الطاقة المفردة أو الاسكونش ومن أمثلته فى قباب مصر الاســلامية لجوامع الحاكم والجيوشى وضريحى الجعفرى وعاتكه حيث كانت المقرنصات فى صــفين السفلى يتكون من حنيات ثلاثة والعلوى من حنية واحـدة . وظهرت الحطات الثلاث من القرنص فى عمائر الايوبيين كما فى قبة الصالح نجم الدين أيوب ١٢٥٠ م ثم شاهدنا الاربعة حطات فى قبة ضريح بيبرس الجاشنكير ١٣٠٦م ،

يحمل اعلاه النص : « قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » أما الرابع فهو سد الآن ويعلوه بالخط الثلث البارز المذهب على ارضيه رخامية النص : « الاجابة تحت قبته والشفاء فى تربتـه والأئمة فى ذريته وعترته » . وفتح باب آخر فى الجهة البحرية للقبة عمارة أبو الأنوار ذو مصراعين من النحاس المخرم المنقوش على النحو الذى سبق أن بيناه ، وقد غطيت كل الأبواب والفتحات بستائر من الحرير الأخضر .

وجدران القبة مكسوة بالرخام الملون بارتفاع ثلاثة أمتار تقريبا، تعلوها الواح خشبية ذات نقوش زيتية ملونة ومذهبـــة تعلوها قصائد الشعر مدحا فى صاحب المقـــام وآل البيت ، وتعلو تلك القصائد على شريط خشبى سورة الفتح .

= والخمس حطات فى قبة ضريح الامير صرغتمش ١٣٦٥ م وتعد قبة الامام الشافعى التى انشـأها الملك الكامل (٦٠٨هـ) من اجمل قباب مصر الاســلامية وتعتبر من احسن الامثلة من القباب المنشاة على المقرنصات وتتكون حطات المقرنص من ثلاثة السفلى تتكون من خمس تجويفات والوسطى من سبعة والعليا من ثلاثة . وقد وصلت حطات المقرنص فى بعض القباب المصرية الى ستة عشر .

والثانى : ان استخدمت المقرنصات كعنصر زخرفى وكانت البداية فى كرانيش شرفه مئذنة جامع الجيوشى بالاضافة الى عدة استخدمات اخرى مثل :ــ

١ ـ استخدامها للتدريج من سطح الى آخر كما فى المقرنصات الموجودة فى تجويفات واجهة جامع الاقمر الفاطمى الطراز .

٢ ـ استخدامها فى العديد من الكوابيل الحجرية بهدف حمل الشرفات وفى الجرمدانات التى تحمل السقوف الخشبية .

٣ ـ استخدامها فى تيجان الاعمدة ، وقد اخذت مصر هذه الطريقة عن ايران .

٤ ـ استعمالها فى طواقى المدخل الرئيسية لبعض العمائر المملوكية والعثمانية بهدف تحويل اركان التجـــاويف المستطيلة الى ســطح دائرى كروى بحيث تعلوه طاقية المدخل ، وقد شاعت فى المداخل الرئيسية للمساجد والوكالات وبعض العمائر الاخرى فى هذين العصرين .

(العمارة الاسلامية فى مصر ـ د/كمال الدين سامح ص ١٧٦ : ١٨٢)

وبالقبة قبلة قديمة غطيت بالفسيفساء الرخامية بكتنفها عمودان تجاورهما قاعدتان رخاميتان كانتا تستخدم فى وضع الشماعة . اما المقصورة فتحيط بها ثلاث وعشرون مشكاة(١) من الزجاج المموه بالمينا تحمل نقوشا وأدعية وكتابات باسم الملك الظاهر أبو سعيد كانت قيمتها فى ذلك الوقت أكثر من الفى دينار .

ونظرا لأن القبة غير مربعة الشكل فان هناك جهدا معماريا قد بذل فى اقامتهـــا بفتح نوافذ بين المثلثات الكروية بثلاث فتحات فى أركان الضلع القصير ، وبضعف عدد هذه الفتحات فى أركان الضلع الطويل . وقد غطيت فتحـــات النوافذ بالجص المخـــرم والمعشـــق بالزجاج الملون ، وقوام زخارفها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالخط النسخى .

ولقد وضعت الرأس الشريف على كرسى من الأبنوس فى حجـــرة التابوت فى الطبقة الثالثة من أرض القبة والتى تشغل جزءا منهـــا طوله ٢٦ر٥ م ، وتضم قسمين خارجيـــا مقاسه ٣٨ر٢ م وداخليـــا

(١) المشكايات من مصنوعات الزجاج المموه بالمينا ، برع المسلمون فيه ، وهى اقطية مصابيح لا يوضع الزيت والفتيل فيها مباشرة لاضاءتها ، بل توضع فى مسرجه مثبتة بحافة المشكاة ، فهى تمثل الغلاف الخارجى . لكل مشكاة مقابض او آذان مشبك فيها ثلاثة سلاسل او اكثر من نحاس اصفر او فضة تتجمع عند كره بيضية او مستديرة لتبدا من عندها السلسلة التى تعلق منها المشكاة فى السقف . ورقبة المشكاة على شكل قمع وبدنها منتفخ مسحوب لاسفل تنتهى بقاعدة تقوم عليها المشكاة اذا لم تعلق . ويلاحظ ان الكرة البيضاوية حلقة اتصال بين المشكاة كبيرة الحجم والسلسة الطويلة الرفيعة ولتوجد التناســق الدوقى بينهما . وزخارف المشكاة تتناسب والوسط الدينى الذى صنعت من اجله ومعظمها آيات قرآنيـــة او عبارات دعائية او نصوص تاريخية ، وبعضها يحمل رنوك (اشارات) اصحابها من السلاطين والامراء . كما زخرفت المشـكايات ايضا بموضوعات هندسية ونباتية وأحيانا اشــكال الطيور كما أن بعضـــها يحمل اسم الصـــانع . ويمتحف الفن الاسلامى العشرات من المشكايات الاسلاميه .

به نتحة من الجدار مقاسها ٢٫٦٠ م . وقد لفت فى برنس اخضر يحوطها نحو نصف أردب من الطيب الذى لا يفقد رائحته على مر السنين . وورد فى التاريخ الحسينى أن بعض عظماء العصور الخالية اراد أن يرفع النقاب عن خبايا اسرار هذه الروضة المباركة، فأنزل رجلين لكشف الخبر فخرجا احدهما أعمى والآخر اخرس فلم يحاول بعدهما احد ذلك .

وتعلو الحجرة طبقة اخرى يتم الوصول اليها من فجوتين على كل منها باب متين ، وسقف الحجرة من الحديد وتشمل مكانا متسعا احدهما الشرقى يصل بالحجرة التى بها التركيبة التى على القبر الشريف يحيط بها التابوت .

اعمال التجديدات للمشهد الحسينى :

اهتمت حكومة الثورة بأحداث التجديدات والتوسيعات للمشهد الحسينى(١) ليتسع للمصلين والزائرين خاصه بعد أن ضاق المسجد القديم فى المواسم ، لذلك أضافت الحكومة ١٨٤٠ م٢ لتصبح المساحة الجديدة ٣٣٤٠م٢ بدلا من ١٥٠٠م٢ . والظاهرة التى تلفت النظر انه روعى بقدر الامكان أن تتشابه التجديدات مع المبانى القديمة من اجل المحافظة على الناحية التراثية فى عمارة المسجد القديمة ، وأعمال التجديدات التى تقوم بها وزارة الأوقاف لن تلغى او تطمس المعالم الأثرية الباقية فى عمارة المشهد والتى سنورد اهم عناصرها الباقية ذكرا من الناحية المعمارية .

فقد تم بناء الجدار من احجار المبانى القديمة سمكها ٨٠ سم وانشئت ادارة للمسجد تقع فى شرقه ، تتكون من طابقين وبنفس الجهة اقيمت مكتبة ومصلى للنساء تبلغ مساحتها ١٤٤م٢ .

---

(١) د ـ سعاد ماهر : مساجد مصر واولياؤها الصالحون ص ٣٤٨ .

(٢) حسن عبد الوهاب ـ المرجع السابق ص ٩١ .

ولتحقيق استقامة الجهة القبلية (الرئيسية) فقد أضيفت في نهايتها الجنوبية الشرقية مثلث مساحته ٣٥ م٢ .

وقد بدات اعمال التجديدات هذه من عام ١٩٥٩ واستمرت اربع سنوات وتكلفت ٨٣ ألف جنيه عدا ثمن السجاد اليدوى الذى بلغ وحده ٤٠ ألف جنيه .

وبعد التوسيعات الحالية فى الميدان تنوى وزارة الأوقاف عمل واجهة جديدة للمسجد بطول ٤٥م وعرض ٨م . وأقصر من القديمة وتتقدمها لتظهر شرفاتها — وتشمل الواجهة المقترحة من حائط تزخرفه سبعة عقود مدببة الشكل ، يحيط بها شريط من زخارف جصية ، يرتكز كل منها على عمودين من رخام على أن تستخدم ثلاثة من تلك العقود كأبواب والباقى تستعمل نوافذ ستصنع من البرونز المخرم ، كالذى سيستخدم فى الأنصاف العليا للأبواب . أما الحوائط التى ستقع بين العقود ستعلوها دوائر من زخارف متماثلة وستعلق فيها المكشايات الرائعة الصنع . وفى الطرف الجنوبى الشرقى ستقام مئذنة على نفس طراز مثيلتها فى الجنوب الغربى . وتقدر تكاليف هذا الجزء من التجديدات بمبلغ ٤٠ الف جنيه أخرى .

وتقرر ايضا عمل منبر من خشب العزيزى والجوز التركى والزان ستكلف ١٥٠٠ جنيه ، كما رصدت الوزارة ٥٠ الف جنيه لانشاء دورة مياه فى الجهة البحرية للمسجد .

وفى عام ١٩٦٥ أهدت طائفة البهرة الهندية للمقام مقصورة من الفضة ترصعها فصوص من الماس .

تابوت المشهد الحسينى :

يعد من أهم مخلفات المشهد القـديم ، بقى محتجبـا تحت المقصورة زهاء ثمانية قرون . وهو مصنوع من خشــب الساج الهندى ، ومزرى بالذهب والفضة . وقد ساعد على اخراجه بعض القائمين على شئون المسجد بمعاونة بعض المهتمين بالآثار فى ذلك الحين ومنهم المرحوم حسن عبـد الوهاب ، الذى انتهـز فرصـة اسـتبدال قاشانى أرضـية المقصورة بالرخام فى سبتمبر ١٩٣٩ ، وآله ما أصاب التابوت من تلف رغم روعة ودقة صنعته ، واهتم فى اصلاح هذه التحفة مع وزارة الأوقاف مما مكنه من وصفها بدقة لنا(١) ، وبعـد ترميمه أودع فى يناير ســنة ١٩٤٥ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة .

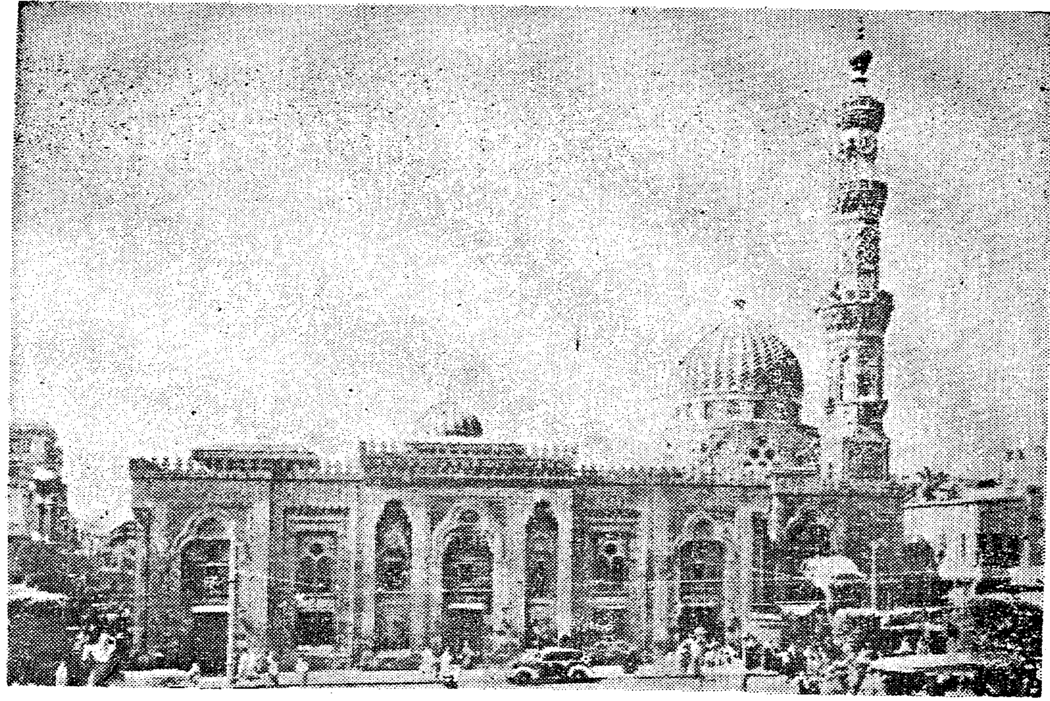
والجزء الداخلى من حجرة التابوت به تركيبة حجرية ملتصقة بالجدار الشرقى مغطاة بلوح رخامى تحيط بها الجوانب الثـلاثة للتابوت الخشبى اذ أنه ليس له جانب رابع ، وهذا يعنى أنه صمم خصيصا ليحل الجدار الشرقى محل جانبـه الرابع . والتـابوت مكون من جنب وراسين ، ومقسم الى مستطيلات أفقية وراسية ، تحتوى على حشوات نجمية ومسدسية محفور عليها زخارف نباتية مورقة متنوعة الأشكال فى كل التابوت ، كما يشاهد فيها عنـاقيد العنب تحيطها وتفصل بينها اطارات مكتوبة بالخطين الكوفى والمزهر البسيط والنسخى الأيوبى الذى شاع فى ذلك العصر ، فالتابوت من التحف التى جمعت بين هـذين الطرازين من الخط ، وذلك أنه ابان العصر الأيوبى لم يبطل استعمال الخط الكوفى دفعـة واحـدة بل استمر استخدامه مع الخط النسخى على العديد من التحف ولفترة طويلة فى العصر الأيوبى . فبعد العصر الفاطمى اقتصر استخدام

---

(١) حسن عبد الوهاب المرجع السابق ص ٩١ .

الخط الكوفى على الآيات القرآنية والعبارات الدعائية بينما كتبت النصوص التاريخية بالنسخى زمن الأيوبيين . وقد أحاطت حشوات التابوت المسدسة قوائم وأفاريز كتب عليها بالكوفى البسيط آيات قرآنية وعبارات دعائية تتناسب ومنزلة تابوت سيد الشهداء .

بينما خلت هذه الآيات والعبارات من النصـــوص التاريخية وتنوع زخارف وحشوات التابوت واشكال خطوطه تنم عن عبقرية صانعه ، ومن دراسة المرحوم حسن عبد الوهاب لخصائصه يستدل على اجتمـاع طرازى الخط فى التـــابوت وهما الكوفى والنسخى يجعلانه من مصنوعات العصر الأيوبى بالاضافة للشبه الكبير بين هذا التابوت وتابوت الامام الشــافعى ، مما يدل على أنه معاصر له بل يرجح صنعهما فى عصر واحد بل أكثر من هذا على يد صانع واحد ، وتاريخ صنع تابوت الشافعى ٥٧٤ هـ زمن حكم صـــلاح الدين الأيوبى ، لذلك يرجح انه الآمر بصنعهما خاصة لعنايته بالمشـــهد وانشائه المدرسة بجواره ، لكنه لم يشـــأ أن يخلد اسمه عليهما ، والمعروف أن صانع تابوت الشافعى هو عبيـــد الله النجار المعروف بابن معالى ، لذا فهو الذى صنع أيضا تابوت الامام الحسين رضى الله عنه .



شكل (٧) الواجهة الرئيسية لمسجد السيدة زينب

مسجد السيدة زينب

فى السنة الخامسة للهجرة وفى عام ٦٢٦ للميلاد وفى شهر شعبان وضعت السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدتنا زينب رضى الله عنها بعد السبطين الحبيبين الحسن والحسين وسلمت السيدة فاطمة الزهراء الوليدة الى ابيها الامام على كرم الله وجهه بعد أن حمدت الله وقالت : سم هذه المولودة فقال الامام على : ما كنت لأسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الرسول فى سفر وحين عاد استقبله سيدنا على وسأله عن اسم المولودة فقال : ما كنت لاسبق ربى سبحانه وتعالى فهبط جبريل يقرأ السلام على النبى وقال له : سم هذه المولودة زينب ثم أخبره بما يجرى عليها من المصائب فبكى النبى وقال : « من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على مصاب أخويها الحسن والحسين » .

نشأتها ونسبها :

نشأة السيدة زينب نشأة كريمة فى بيت النبوة يرعاها الله سبحانه وتعالى برعايته ويحوطها الرسول الكريم وأبواها بعطفهم وحبهم فاذا ما انطلق لسانها أخذ جدها العظيم وأبواها يعلمانها ويهذبانها ويثقفانها فلقنت العلم والحكمة والأخلاق والدين والأدب والشجاعة والاقدام وقوة اليقين فتهيأ لها العقل الراجح والراى الناصح وحسن الخلق وجمعت الى جانب هذه الصفات النسب الطاهر الذى لم يجتمع لغيرها من النساء .

فجدها لأمها سيدنا رسول الله نبى الهدى وسيد الأنبياء والمرسلين وخاتمهم وهو نبى التوبة الموحى اليه وهو الذى أسرى

به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وعرج به الى سدرة المنتهى وهو الذى وصفه الله تعالى فى محكم آياته لقوله جل شأنه « وانك لعلى خلق عظيم » وهو الذى قال : كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث ، وقال سبحانه وتعالى فى شأنه « ان الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » (١) وهو الذى كان خلقه القرآن .

وكانت جدتها لأمها أم المؤمنين وخير نساء العالمين السيدة خديجة بنت خويلد زوج رسول الله والتى عرفت بسيدة نساء قريش وهى التى اعانت مولانا رسول الله بعد زواجها منه على العبادة فى خلوته بغار حراء وكانت عظيمة حين جاءها الرسول واجف الفؤاد مضطرب القلب حين نزل عليه الوحى ببشائر القرآن الكريم فقالت له أبشر يا ابن العم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وكانت أول من استجاب للايمان فى هذه الأمة وصدقت بكلمات ربها . وكانت من القانتين وكانت أولى زوجات الرسول عاشت معه خمسا وعشرين عاما منها خمسة عشر عاما قبل البعثة المباركة وعشرة أعوام بعدها امضتها كلها فى مكة المكرمة ولم يتزوج عليها الرسول ابان حياتها وهى أم ولده الا ابنه ابراهيم فهو من السيدة مارية القبطية وقد قال فيها الرسول : « والله ما أبدلنى الله خيرا منها آمنت حين كفر الناس وصدقتنى حين كذبنى الناس وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء .

أما أمها السيدة البتول فاطمة الزهراء أصغر بنات النبى صلى

---

(١) الاية ٥٦ من سورة الاحزاب .

الله عليه وسلم التى جعل الله تعالى نسلها حفدة اكرمين للرسول الكريم .

كانت الزهراء أحب أولاد النبى اليه وقد عرفت بالصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية والمحدثة والزهراء وقد سماها الرسول فاطمة لأن الله عز وجل قد فطمها وذريتها من النار يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل فطم ابنتى فاطمة وولدها ومن أحبهم من النار يوم القيامة فلذلك سميت فاطمة » .

ولقد لقبت بالبتول تشبيها لها فى المنزلة بالسيدة مريم عند الله لتبتلها وسبقها فى العبادة لنساء زمانها واشتهرت بالزهراء لأنها كانت بيضاء اللون نيرته .

وكان صلوات الله عليه يدعوها بأم أبيها لأنها كانت أشبه به فى خلقه وخلقه ولقد قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة ان الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك » .

وكان النبى اذا رجع من غزوة أو سفر أتى المسجد فصلى فيه ركعتين ثم ثنى بفاطمة ثم يأتى أزواجه .

وعن انس بن مالك رضى الله عنه فى زواجها من الامام على كرم الله وجهه قال : خطب أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة فقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر لم ينزل القضاء بعد » . ثم خطبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع عدة من قريش كلهم يقول له مثل قوله لأبى بكر . فقيل لعلى لو خطبت الى النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة لخليق أن يزوجكها قال وكيف قد خطبها أشراف قريش فلم يزوجها قال فخطبها فقال صلى الله عليه وسلم « قد أمرنى ربى عز وجل بذلك » .

وحين دخل على الى الرسول تبسم فى وجهه ثم قال : « ان الله

أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة ان رضيت بذلك » فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله ثم خر ساجدا وأنجب هذا الزواج الطاهر الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ورقية .

أبوها الامام على بن أبى طالب بن عم رسول الله نشأ فى حجر رسول الله وتأدب بأدبه وتحلى بخلقه وأحبه الرسول حبا شديدا وكان أحد العشرة المبشرين بالجنة .

أسلم على يدى الرسول صبيا قبل أن يمس قلبه عقيدة سابقة ولازمه فتيا يافعا فى غدوه ورواحه وحربه وسلمه وفقه عنه الدين وما نزل به الروح الأمين فكان من افقه أصحابه وأقضاهم .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « لقد أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم » .

اقتبس رضى الله تعالى عنه من نور النبوة وتصدى لنشر العلم وكان يقول أيها الناس سلونى سلونى قبل أن تفقدونى ، فوالله ما من آية فى كتاب الله تعالى نزلت الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل ولقد عرف بأنه سيد العظماء وامام البلغاء حتى قيل فيه « كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق » .

ومن اقواله تسع كلمات ثلاث فى المناجاة وثلاث فى العلم وثلاث فى الأدب .

فأما التى فى المناجاة « كفانى عزا أن تكون لى ربا وكفى بى فخرا أن أكون لك عبدا ، أنت لى كما أحب فوفقنى لما تحب » .

واما التى فى العلم فهى قوله : « المرء مخبوء تحت لسانه » فتكلموا تعارفوا ، ما ضاع امرء عرف قدره » .

وأما التى فى الأدب : انعم على من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واجنح الى من شئت تكن أسيره » .

وأما شقيقاها السبطان الكريمان الحسن والحسين فكانا أحب أهل الأرض الى الرسول العظيم وقد نسبهما اليه بالنبوة وان كانا من صلب على كرم الله وجهه وذلك كما روى الترمذى .

من حديث اسامة بن زيد حين قال : طرقت النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الحاجة فقال « هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى احبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وكان لهما حرقة خاصة عند أبيهما الامام على اذ كان يعلم علم اليقين أن فى هلاكهما انقطاعا لنسل رسول الله ولذلك حدث فى موقعة الجمل أن قدم على كرم الله وجهه ابنه محمد ابن الحنفية عند القتال وكف ابنيه الحسن والحسين فقال بعضهم لمحمد بن الحنفية وابن سيدنا على لم يغرر بك أبوك فى الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين؟ فقال فى رشد وأدب . انهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه .

أما جدتها لأبيها السيدة فاطمة بنت اسد فقد كفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قميصه .

وحموها جعفر بن أبى طالب المعروف بجعفر الطيار ذلك لأنه حين أتى خبر استشهاده فى موقعة مؤتة أثناء قتال الروم فى جمادى الأولى من السنة الثانية للهجرة ظهر الحزن والأسى على وجه رسول الله ودعا له بقوله « اللهم ان جعفرا قدم الى أحسن الثواب فأخلفه فى ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك فى ذريته » وقال صلوات الله وسلامه عليه لزوجة جعفر أسماء بنت عميس الخثعمية اخت ميمونة بنت الحارث زوجة رسول الله « يا أسماء الا ابشرك ان الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة » أما زوجها عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب فكان جوادا كريما سخيا وكان يقال له قطب السخاء وكان من ايسر بنى هاشم وأغناهم يمتلك فى المدينة قرى وضياعا وقال فيه فقراء المدينة بعد موته « ما كنا نعرف السؤال حتى مات

عبد الله بن جعفر » كان أول مولود للمسلمين بعد هجرة الحبشة وكان زواج السيدة زينب فى المدينة المنورة وفى أواخر عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى حضر الزواج المبارك وكانت المدينة وقتئذ تموج بعشرات الألوف من الجنود المسلمين الذين خاضوا معارك الفتوح الاسلامية وكان بينهم مئات من أبناء الفرس والروم الذين دخلوا فى دين الاسلام واشترك الجميع فى هذا القران السعيد كما حضر القران أكابر الصحابة بينهم عثمان بن عفان وأبو هريرة وابو ذر الغفارى وانس بن مالك وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم جميعا وأقيم زفافها فى بيت أبيها على بن أبى طالب وقد أنجب هذا الزواج المبارك ذرية طيبة حيث ولد للسيدة زينب محمد المكنى بجعفر الأكبر وعلى الاكبر وأم كلثوم وأم عبد الله وجميعهم مات دون عقب الا عليا الأكبر وام كلثوم فكان منهما الذرية الصالحة .

فقدت السيدة العقيلة زينت جدها صلوات الله وسلامه عليه وهى بنت خمس ثم فقدت أمها البتول فاطمة الزهراء بعد ذلك بشهور لا تتجاوز الستة وعملت بوصية أمها فصحبت أخويها السبطين الكريمين الحسن والحسين وصارت لهما أما رغم أنها تصغرهما . كذلك صارت أما لشقيقتيها أم كلثوم ورقية وكان لهذه المسئولية أن أصبحت رضى الله تعالى عنها أنضج ادراكا وأرهف حسا وبدت فى بيت أبيها ذات مكانة اكبر من سنها بعد أن صقلتها التجربة وهيأتها الأحداث لتحمل مسئوليات الحياة .

كانت نشأة السيدة الطاهرة زينب نشأة كريمة صادقة أخذت عن أمها العفاف والتقوى والهدى وعن أبيها الشجاعة والاقدام والفصاحة والعلم وقوة الايمان وأخذت عن أخويها التضحية وانكار الذات فى سبيل العقيدة والمبدأ « ذرية بعضها من بعض » كانت هذه الصفات الى جانب ما أخذته من جدها الرسول من العظمة والصدق والأمانة والحب وما لا يحصى من محمود الصفات .

صفاتها وعلمها :

كانت السيدة زينب صوامة قوامة قانتة لله تعالى تائبة اليه تقضى اكثر ليلها متهجدة تالية للقرآن ولم تترك ذلك حتى فى أحلك الساعات فى كربلاء . فكانت مع اخيها الحسين وأهل بيتها يقطعون الليل فى تلاوة القرآن والعبادة ويروى ان الامام الحسين لما ودعها الوداع الأخير قال « يا أختاه لا تنسينى فى نافلة الليل » .

وكثيرا ما كانت تدعو بدعاء أهل البيت الذى توارثوه عن جدهم العظيم صلوات الله وسلامه عليه فتقول « يا من لبس العز وتردى به سبحان من تعطف بالمجد وتكرم ، سبحان من لا ينبغى التسبيح الا له جل جلاله ، سبحان من احصى كل شىء عددا بعلمه وخلقه وقدرته سبحان ذو العزة والمن والنعم ، سبحان ذو القدرة والكرم ، اللهم انى أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك باسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات التى تمت صدقا وعدلا أن تصلى على محمد وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين وان تجمع لى خيرى الدنيا والآخرة بعد عمر طويل اللهم انت الحى القيوم أنت هديتنى وانت تطعمنى وتسقينى وانت تميتنى وتحيينى برحمتك يا ارحم الراحمن .

كانت السيدة الطاهرة عابدة متبتلة ممعنة الفكر فى خلق الله وكانت تدعو الناس الى الايمان بالله والثقة والتشفع بالنبى الكريم بعد اللجوء الى الله سبحانه وتعالى فكان من حولهـا من المسلمين ينهلون من ينابيع علمها وسمو روحها . كان لسانها رطبا دائما بذكر الله فكانت عند أهل الجود والكرم أم هاشم وكانت عند أهل العزم أم العزائم وكثيرا ما كان يرجع اليها ابوها واخوتها فى الراى فسميت صاحبة الشورى كما كانت دارها مأوى لكل ضعيف ومحتاج فلقبت بأم العواجز ولما جاءت الى مصر كان الوالى ورجاله يعقدون جلساتهم بدارها وتحت رئاستها فعرفت برئيسة الديوان وقد روت كثيرا عن

أمها وابيها واخوتها وكذلك روت عن ام سلمة وأم هانىء وغيرهما من النساء الطاهرات وقد روى عنها ابن عباس وعلى بن الحسين وعبد الله ابن جعفر وفاطمة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهم جميعا.

ومما يروى للدلالة على كثرة علمها وتبحرها فى علوم الدين أن أخويها الحسن والحسين كانا يتذاكران مرة ما سمعاه من جدهما رسول الله من دعوة الى عبادة الخالق الاله الأعظم . فدخلت عليهما مستأذنة وملقية عليهما السلام وجلست وقالت : سمعتكما تقولان أن جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الحلال بين والحرام بين وبينهما متشابهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب اسمعا يا حسن ويا حسين ان جدكما عليه السلام مؤدب بادب الاله أدبه فاحسن تأديبه ثم استرسلت فى الكلام موضحة ما فهمته من معنى الحديث الشريف معتذرة عن التقصير اذا قصرت فقالت « الحلال بين والحرام بين وبينهما متشابهات فهناك ثلاث درجات فى الدين حلال وحرام ومشتبه اما الحلال فهو ما أحله الله تعالى بأن جاء القرآن الكريم بحله وبينه الرسول فى بيانه الواضح كحل الشراء والبيع واقامة الصلاة فى أوقاتها والزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا وترك الكذب والنفاق والخيانة وكالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

أما الحرام فهو ما حرمه القرآن الكريم وهو على النقيض من الحلال واما المشتبه فهو الشيء الذى ليس بالحلال ولا بالحرام والمؤمن الذى يريد لنفسه السعادة فى الدنيا والنعيم فى الآخرة ما عليه الا ان يؤدى ما أوجبه عليه رب العالمين ويسير فى طريق القرآن الحكيم ويقتدى بالنبى الكريم ويتأسى به ويبتعد عن طرق الشبهات

ما استطاع فمن انقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وأصبح دينه نقيا صافيا يعبد ربه عبادة خالصة « ألا لله الدين الخالص » .

اما من سار فى طريق الشبهات فلا يأمن أن تزل قدمه فيقع فيما حرمه الله وأن لكل ملك حمى بجوار ملكه . اما حمى ملك الملوك خالق السموات والأرض وما فيهن فانه محارمه ولقد قال صلى الله عليه وسلم « اتق المحارم تكن أعبد الناس » .

وأن الله سبحانه وتعالى أودع الانسان مضغة وجوهرة اذا صلحت فان الجسد كله يكون صالحا نقيا من الأدران والعلل وعصيان الخالق الأعظم رب العالمين ذلك هو القلب فاذا كان القلب سليما فان صاحبه يكون يقظا لأمور دينه ومبادىء شريعته يرى السعادة كلها فى الاستقامة على هدى القرآن والسنة ومن سلك هذا السبيل القويم واتبع تلك التعاليم السماوية فانه يكون يوم القيامة من الفائزين أن حياتنا الدنيا مرحلة من المراحل التى توصل الانسان اما الى الجنة واما الى النار وليس بعد الموت عقاب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار .

وما أن انتهت سيدتنا من الكلام حتى قال لها الامام الحسن « أنعم بك يا طاهرة حقا أنك من شجرة النبوة المباركة ومن معدن الرسالة الكريمة » .

وكانت السيدة زينب فى البلاغة والزهد والشجاعة قرينة ابيها الامام على وأمها الزهراء وقد حملت تدبير أمور أهل البيت بل الهاشميين جميعا بعد استشهاد أخيها الحسين فكانت أكثر أهل البيت جراة وشجاعة وفصاحة وطارت شهرتها فى الآفاق بما أظهرت يوم كربلاء وبعده من حجة وقوة حتى ضرب بها المثل وكانت اذا خطبت هزت القلوب وأسرت الاسماع ففى كربلاء يتصاغر أمامها عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية وخاف منها والى المدينة عمرو بن سعيد على امارته ونفسه فاستنجد بيزيد .

السيدة زينب فى كربلاء :

اذا كانت السيدة زينب قد برزت يوم كربلاء لتحمل لقب بطلة كربلاء فانه يجدر بنا ان نشير الى تلك المأساة التى استشهد فيها أخوها الامام الحسين رضى الله عنه بطلا مغوارا ضاربا أعظم المثل فى التضحية والفداء والعزم والثبات فعلى أثر انتقال الامام على كرم الله وجهه اثر طعنة قاتلة من مارق خارج على الدين وهو خليفة للمسلمين سنة ٤٠ هـ بايع أهل العراق الامام الحسن اكبر ابناء على والزهراء الا أن خلافته لم تدم أكثر من ستة اشهر وفى بعض الأقوال سبعة وقد رأى رضوان الله عليه أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية حقنا للدماء المسلمين بعد أن اعد العدة لقتال معاوية .

ولما تنازل الامام الحسن عن الخلافة لمعاوية أراد معاوية أن يجعله وليا للعهد ولكن الامام الحسن رفض وكان يرى أن يكون أمر الخلافة شورى للمسلمين وبعد وفاة الحسن استغل معاوية سلطانه وخرج على نظام الشورى وأخذ البيعة من أنصاره من بنى امية لابنه يزيد من بعده وأجبر الكثيرين من المسلمين على مبايعة ابنه يزيد فأثار هذا التدبير الكثيرين من المسلمين وثاروا وكان على رأسهم الحسين بن على الذى كان يتمتع بحب المسلمين لرجاحة عقله وحسن خلقه وزاد من ثورة بنى هاشم على هذا التدبير من جانب معاوية ما كان يتصف به يزيد من الرغبة فى اللهو والمجون ومعاقرة الخمر واشتدت المعارضة فى المدينة والأمصار وكبر على الناس أن يحرم من الخلافة اجود الناس بها وأقربهم الى رسول الله نسبا .

وقرر يزيد أن يأخذ البيعة من الحسين بالقوة خرج الحسين الى مكة وترك المدينة رغبة منه فى المحافظة على توحيد صفوف المسلمين فى المدينة وكان خروج الحسين من المدينة الى مكة بمثابة يقظة للشيعة فى العراق بعد أن أضعف حركتهم معاوية وولاته على العراق .

وقرر الحسين بعد ذلك ان يقوم الى العراق برغم نصح خلصائه واقربائه له بعدم التوجه الى العراق مع علمه بأن الناس هنـــاك قلوبهم معه وسيوفهم مع بنى أمية وعلمه بأن القضاء ينزل من السماء ويفعل الله ما يشاء وقد اغتر برسل وكتب أهل الكوفة إليه .

ومنع الحسين من دخول الكوفة وعرض ان يبايع يزيد فرفض فحيل بينه وبين الماء ولما اشتد به العطش هو وصحبه أمر أخاه العباس بن على فسار فى عشرين رجلا يحملون القرب ومعهم ثلاثون فارسا فدنوا من الماء وقاتلوا عليه حتى ملئوا القرب وعادوا بها الى أصحابها ولما زاد تعرض أنصار يزيد للحسين وصحبه جمع اصحابه وخطب فيهم قائلا « الا وانى لا أظن أن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا وانى قد اذنت لكم جميعا فانطلقوا فى حل ليس عليكم منى زمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوا حجلا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتى فجزاكم الله جميعا خيرا ثم تفرقوا فى البلاد فان القـــوم يطلبوننى ولو اصابونى لهوا عن طلب غيرى فقال له اخوته وأبناء اخوته وأبناء عبد الله بن جعفر لن نفعل هذا ؟ النبقى بعدك لا ارانا الله ذلك ابدا وقالت السيدة زينب رضى الله عنها : هذا يا أخى كلام من أيقن بالقتـــل حين سـمعته يردد أبياتا من الشـــعر فقال الحسين نعم يا أختاه » .

فقالت لأهلكن دونك ياعترة النبى وزهرة البيت الكريم .

وقد أجمع المؤرخون عربا ومستشرقون على أن السيدة زينب كانت أول سيدة فى الاسلام قدر لها أن تؤدى اروع أدوار البطولة فى احداث كربلاء حتى ان موقفها بعد المعركة جعل من كربلاء مأساة خالدة حتى الآن .

فقد ظهرت السيدة زينب فى المعركة تأسو المكلوم وتثور للضحايا الشهداء وتحملت حماية السبايا من نساء بنى هاشم وقامت برعاية الغلام المريض على زين العابدين ابن الحسين واستحقت أن تسمى

بطلة كربلاء لشجاعتها وتمسكها بالمبدأ حتى النهاية ودفاعها عن الحق بهمة الأبطال وحماس الشجعان فما عرف الخوف قلبها وكان تفوق جنود يزيد واضحا وعددهم كبيرا ولكن السيدة الطاهرة كانت تدعو الى الحق بثبات وعزيمة فى أحلك اللحظات حتى حين استشهد اخوها الحسين وسيقت مع السبايا والأسرى وجاز ركبها ساحة المعركة حيث الأشلاء والدماء فهالها الأمر وصاحت « يا محمداه » صلى عليك ملائكة السماء هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء . يا محمداه هـذه بناتك سبايا وذريتك مقتلة الى الله المشتكى .

تعرضت السيدة زينب لمحن الدهر القاسية ، ولاختبار الأيام العصيبة فحين أجتثت رقبة اخيها الامام الحسين فى كربلاء ، وقتل الرجال الصناديد من ذوى قرباها ، وحين تفرق عنها أهل الكوفة وهجم أعداؤها على رحلها ومتاعها وسيقت مع بقية أهلها فى كربلاء اسرى وسبايا ، كل ذلك لم يزدها الا ايمانا وصبرا على البلاء ورضاء بتدبير الله ، فنجدها تقف على جسد أخيها الامام سيد الشهداء وهو مقطع الأوصال وتقول « اللهم تقبل منا هذا القليل من القربان »

وحين أقبل ركب السبايا على الكوفة كان على بن الحسين الملقب بعلى زين العابدين على بعير بغير غطاء فى حالة يرثى لها من الحزن على ما أصاب أهل البيت وهو متأثر وحزين وقد رآه أهل الكوفة حين مر ركب الأسرى بهم ــ فأقبل بعضهم يناولون أطفال الركب بعض التمر والخبز والطعام ، فصاحت فيهم السيدة ام كلثوم قائلة :

« يا أهل الكوفة ان الصدقة علينا حرام » ثم أومأت السيدة زينب الى الناس فسكتوا وطارت نفوسهم خشية من جلال الموقف ورهبته ، ثم قالت فيهم « الحمد لله والصلاة والسلام على أبى محمد

وآله الطيبين الأخيار . أما بعد يا أهل الكوفة ، يا أهل الختل (١) والغدر انبكون ، فلا رقأت الدمعة ، ولا هدأت الرنة ، انما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، تتخذون ايمانكم دخلا (٢) بينكم ، الا وهل فيكم الا الصلف والنطف (٣) والكذب والشنف (٤) وملق الدماء وغمز الأعداء أو كمرعى على دمنته (٥) ، أو كفضة ملحودة الا بئس ما قدمت لكم انفسكم أن سخط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون ، أتبكون وتنتحبون ، أى والله فأبكوا كثيرا واضحكوا قليلا فقد ذهبتم بعارها وشنارها ، وانى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدرة صحبتكم ومنار محجتكم وملاذ خيركم ومفزع نازلتكم وسيد شباب أهل الجنة الا ساء ما تزرون ـ فتعسا ونكسا وبعدا لكم وسخطا ، فلقد خاب السعى وتبت الأيدى وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ورسوله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة ـ ويلكم يا أهل الكوفة ، أتدرون اى كبد لرسول الله فريتم أو اى كريمة له أبرزتم وأى دم له سفكتم ، وأى حرمة له انتهكتم ، لقد جئتم شيئا ادا ، تكاد السموات تنفطر منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . ولقد أتيتم بها خرفاء شوهاء كطلاع (٦) الأرض وملء السماء أفعجبتم ان مطرت السماء دما ، ولعذاب الآخرة أخزى وانتم لا تنصرفون ، فلا يستخفنكم المهل فانه لا يحفزه البدار ، ولا يخاف فوت الثار وان ربكم لبالمرصاد .

فكان لكلا مها وقع الصاعقة على من يسمعه ، حتى ان اهل الكوفة أخذوا يتلاومون ولات حين مندم .

---

(١) الغش والخداع .
(٢) مكرا .
(٣) التلطخ بالنقائص .
(٤) التنكر .
(٥) اى ما تدفنه الابل والاغنام بأبوالها وابعارها .
(٦) ملؤها .

وفى مجلس يزيد كانت السيدة زينب تجلس وبجوارها السيدة فاطمة بنت الحسين رضى الله عنها وتجرأ رجل من أهل الشام فى مجلس يزيد ونظر الى السيدة فاطمة وقال :

« يا أمير المؤمنين هب لى هذه الجارية تكون خادمة عندى » فارتعدت فرائص فاطمة وأخذت بثياب عمتها وقالت « يا عمتاه أوتمت واستخدم » ، فقالت السيدة زينب للرجل الشامى فى ثورة وشجاعة : « كذبت ولؤمت ، ما جعل الله ذلك لك ولا لأميرك » .

فغضب يزيد وقال : « كذبت والله ان ذلك لى لو شئت ان أفعل لفعلت فأجابته السيدة زينب « كلا والله ما جعل الله ذلك لك الا أن تخرج عن ملتنا وتدين بغير ديننا » فاستطار يزيد غضبا وقال « اياى تستقبلين هذا الكلام انما خرج من الدين أبوك وأخوك » .

فقالت السيدة زينب « بدين أبى وأخى اهتديت أنت وابوك وجدك ان كنت مسلما » .

فقال لها : كذبت يا عدوة الله .

فقالت له يا يزيد انت أمير تشتم ظالما وتقهر بسلطانك فاستحى واسكت ، فأعاد الشامى كلامه مكررا هب لى هذه الجارية فأجابه يزيد قائلا « أسكت وهب الله لك حتفا قاضيا » وقد اثرت مواقف السيدة زينب فى النفوس بما أوتيت من صفات ورثتها من بيت النبوة حتى أن المؤرخين أجمعوا على موفور علمها ورجاحة عقلها وحسن صبرها وقوة بغيتها ، وكثرة عبادتها وتلاوتها القرآن الكريم فعظمها المسلمون حتى أنه منذ تشريفها أرض مصر اصبح يغلب على اسمها السيدة اجلالا لمقامها واحترامها وحبا وتبركا بخير نساء المسلمين .

ولما ذهبوا بها هى والسبايا الى دار الامارة عند عبد الله بن زياد وهناك أمر بن زياد برءوس القتلى فأحضرت اليه فأخذ ينكث بقضيبه

بين ثنيتي الحسين فلما رآه زيد بن الأرقم قال غاضبا ارفع هـذا القضيب عن هاتين الشفتين اللتين كان الرسول يقبلهما فنهره ابن زياد قائلا والله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك فانطلق الأرقم وهو يصيح أنتم يا معشر العرب لا عبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابا مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعدا لمن رضى بالذل .

دخلت السيدة زينب مجلس ابن زياد وأخذت مجلسها قبل ان يأذن لها دون مبالاة فسأل ابن زياد من تكون ؟ وأعاد السؤال وهى لا تجيب احتقارا له وأجابت احدى امائها : هذه زينب ابنة فاطمة قال ابن زياد وقد غاظه ما كان منها .

الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم فردت عليه : الحمد لله الذى أكرمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وطهرنا من الرجس تطهيرا لا كما تقول أنت انما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله قال : لقد شفى الله نفسى من طاغيتك والعصاة والمردة من أهلك . فردت عليه لعمرى لقد قتلت كهلى وأسرت اهلى وقلعت فرعى فان يشفك هذا فقد استشفيت فقال فى غيظ هذه شجاعة لقد كان أبوها شجاعا شاعرا فردت عليه فى صرامة « فما للمرأة والشجاعة أن لى عن الشجاعة لشـغلا . ثم سيق ركب السبايا والأسرى مرة أخرى الى دمشق حيث ادخلوا على يزيد بن معاوية ويقال انه لمـا رأى رأس الحسين دمعت عيناه وقال : قد كنت أرضى من طاعتكم دون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة » ثم أمر بادخال الأسرى والسبايا ودار بينه وبين السيدة زينب حديث طويل ختمته السيدة زينب بقولها : اظننت يا يزيد أن حين أخذ علينا بأطراف الأرض واكناف السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى ان بنا هوانا على الله وان بك عليه كرامة ؟ ان الله ان أملك فهو قوله (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لأنفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) ثم أمر يزيد

بسفر السيدة زينب هى وأهلها معززة مكرمة الى المدينة فى صحبة حارس أمين معه خيل وأعوان. ولكن السيدة الطاهرة كانت تريد أن تقضى بقية عمرها فى جوار جدها رسـول الله ولكن بنو أمية أبوا عليها حتى ذلك حوفا مما قد يثير المسلمين عليهم حبا فى أهل البيت وطلبا بثأر الحسين فطالب منها والى المدينة أن تخرج من المدينة وتقيم حيث تشاء فرحلت تريد مصر ووصلتها فى شعبان سنة ٦١ هـ واستقبلها مسلمة بن مخلد الانصـاري والى مصر آنذاك كذلك خـرجت لاستقبالها كافة جموع المسلمين على مشارف مصر حتى اذا وصلت الى الفسطاط مضى بها مسلمة الى داره فأقامت بها قرابة عام لم تبرحها حتى انتقلت الى الرفيق الأعلى سنة ٦٢ هـ رحمها الله وأعز الاسلام بمآثرها وجمل أرض مصر بحرمها وطيب ثراها بذكراها .

وصف المسجد :

كان ضريح السيدة زينب رضى الله عنها يقع فى الجهة البحرية من دار مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر من قبـل يزيد بن معاويه حيث كانت تقيم عندما وفدت الى مصر وكانت هذه الدار تشرف على الخليج الذى يخرج من النيل عند فم الخليج وينتهى عند السويس وكان ميدان السيدة زينب الحالى يعرف قبل ذلك باسم قنطرة السباع نسبة الى نقش السباع والسباع رنك (شارة) للظاهر ببرس الذى اقام القنطرة .

وفى عام ١٣١٥ هـ (١٨١٨ م) تم ردم الجزء الأوسط من الخليج وبردمه اختفت القناطر ومع الردم تم توسيع الميدان وعند عملية التوسيع اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب الذى كان الوالى العثمانى على باشا قد جدده (٩٥١ هـ /١٥٤٧ م) ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتخدا ١١٧٠ هـ .

ومنذ اكتشاف واجهة الجامع فى القرن الناسع عشر أصبح يطلق على الميدان بل والحى كله اسم السيده زينب .

اما المسجد الموجود حاليا فقد اقامته وزارة الأوقاف سنة ١٩٤٠ م ويتكون من سبعه أروقه موازيه للقبله يتوسطها صحن مربع مغطى بقبة ويقابل القبلة قبة ضريح السيدة زينب ويتقدم المسجد من الواجهه الشمالية رحبتان يوجد بهما مدخلان رئيسيان يفصل بينهما مستطيل تعلوه شخشيخة وفى الطرف الشمالى الغربى يوجد ضريح سيدى العتريس . وبعد ذلك قامت وزارة الأوقاف باضافة مساحة تبلغ ١٧ × ٣٢ مترا الى المسجد الأصلى .

تم اضافة وزارة الأوقاف مساحة ثانية مماثلة تماما للمسجد الأصلى وبنفس مساحته بحيث اصبحت الاضافة الأولى تفصل بين المسجد الأصلى والتوسعة الأخيرة لذلك عمل فى منتصف التجديد الأول محراب يتوسط المسجد الجديد ـ مع الابقاء على المحراب القديم . ويقابل ضريح السيدة فى التجديد الثانى رحبة مماثلة للصحن مغطاة ايضا . وفى الواجهة الغربية يوجد مدخلان احدهما يتوسط التجديد الأول والثانى فى التجديد الأخير .

وتبلغ مساحة المسجد وملحقاته حاليا حوالى سبعة آلاف من الأمتار المربعة وتشرف واجهته الرئيسية على ميدان السيدة زينب وبهذه الواجهة ثلاثة أبواب تؤدى الى داخل المسجد مباشرة وقد زينت تلك الأبواب من كل جوانبها وفى مستوى قامة الانسان بآيات من القرآن الكريم منقوشة على الحجر وبخط الثلث الجميل كما زينت أعلى الأبواب بأبيات من الشعر فخص جانبا الباب الشرقى للمسجد والمواجهة للميدان واقرب الأبواب الى المحراب بالآيات الشريفة (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة

ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) (١) .

« لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهـــو على كل شيء قدير » (٢) .

وخص جانبا الباب الأوسط المواجه للميدان كذلك بالآية الشريفة لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق أن تقوم فيه ، فيـه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان (٣) .

كذلك كتب لفظ الجلالة على الجزء الأعلى المقعر من هذا الباب بالحجر فظهرت بوضوح تدل على دقة صناعة هذا الباب .

أما الباب الغربى ويعرف بباب الطرقة وهـو أقرب الأبواب المؤدية الى الضريح فقد كتب على جانبى مدخله الآية الشريفـة « رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد » .

وترتد الى الوراء هذه الواجهة المطلة على الميدان عند طرفها الغربى وفى هذا الارتداد باب آخر مخصص لدخول السيدات ويؤدى الى الضريح .

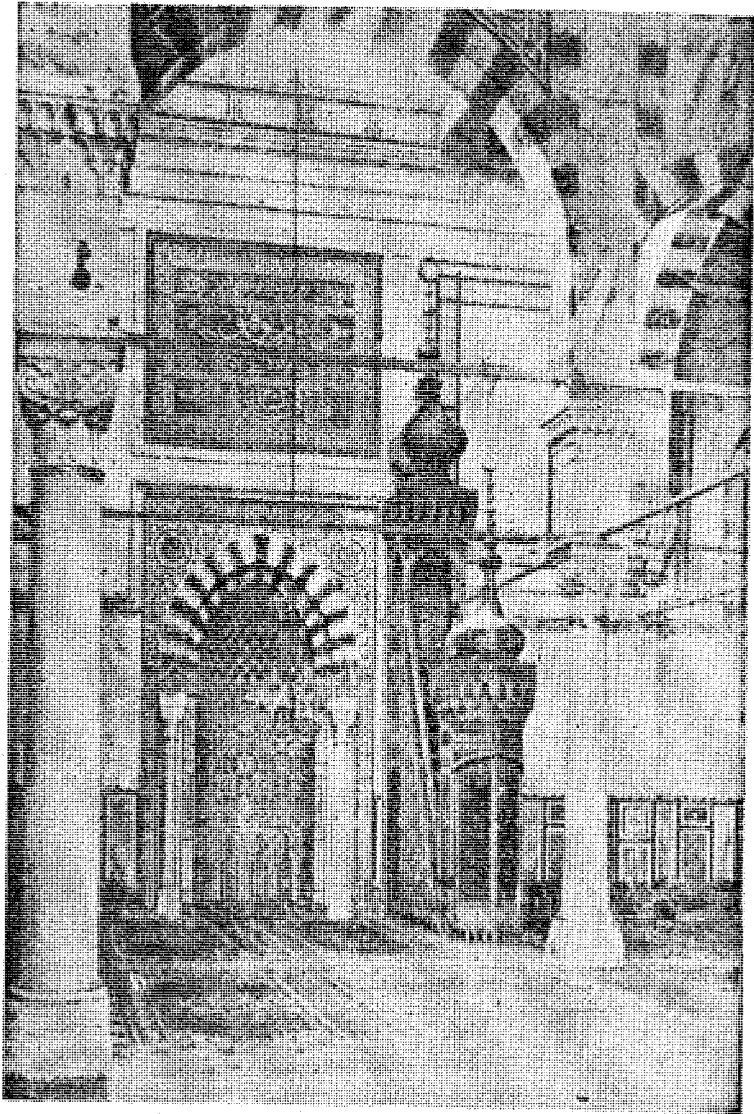
وتقوم المئذنة على يسار هذا الباب الذى يعرف بباب العتريس وقد خص هذا الباب من على جانبيه بالآية الكريمة « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ، جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

---

(١) الايتان ٥٥ ، ٥٦ من سورة المائدة .

(٢) آية ١٢٠ من سورة المائدة .

(٣) سورة التوبة ضمن الاية ١٠٨ .



شكل (٨) منبر ومحراب مسجد السيدة زينب

اما المئذنة التى تعتبر فريدة فى نوعها لما تتحلى به من نقوش وزخارف عربية جميلة ترتفع عن سطح الأرض بما يقرب من خمسة وأربعين مترا وبها ثلاث شرفات تحيط بها واحيطت جدرانها بآيات من القرآن الكريم فجاء فى الجزء الأعلى ما يأتى :

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » .

ويحيط بالركن الغربى البحرى للمسجد سور من الحديد يقع بداخله قبتان صغيرتان ملتصقتان ومحمولاتان على ستة أعمدة رخامية بواسطة سبعة عقود وقد أقيمت هاتان القبتان على قبرى سيدى العتريس والعيدروس رضى الله عنهما وكتب عليهما من الناحية المواجهة للميدان ومن الناحية المؤدية للضريح أبيات من الشعر .

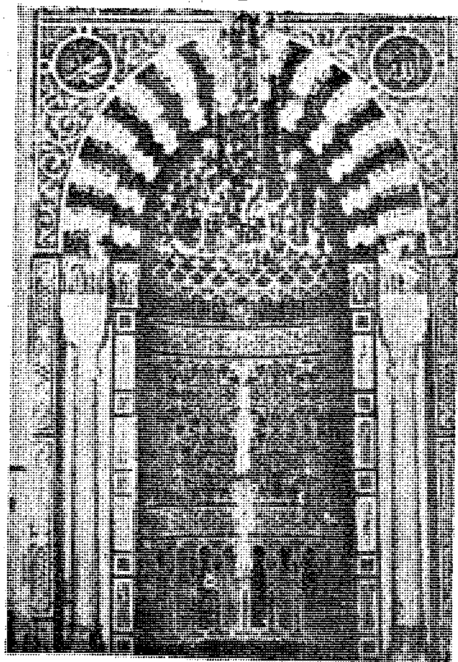
وتقع الواجهة الغربية للمسجد على شارع السد وبها مدخلان احدهما يتوسط التجديد والتوسيع الأول الذى تم فى سنة ١٣٦٠هـ ١٩٤٢ م والثانى يتوسط التجديد الأخير الذى تم فى سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ويوجد فى أعلى جدار هذه الواجهة ساعة كبيرة دقاقة .

وللمسجد واجهتان أخريان احداهما على شارع العتريس وهى الواجهة الشرقية وبها مدخل يؤدى الى المكتبة وقاعة الاطلاع وباقى ملحقات المسجد الأخرى تطل على الفناء الواقع بين دورة مياه المسجد والجدار البحرى للمسجد الزعفرانى المجاور وقد أنشئت واجهات المسجد ومنارته وقبة الضريح على الطراز المملوكى وهى حافلة بالزخارف العربية والمقرنصات والكتابات .

والمسجد من الداخل مسقوف جميعه وحمل سقفه المنقوش كله بزخارف عربية على عقود مرتكزة على أعمدة بعضها من الرخام الأبيض وذلك فى القسم الذى أنشئ فى سنة ١٣٠٢ هـ والبعض الآخر مرتكز على أعمدة من الموزايكو .

ويبلغ عدد الأعمدة التى تحمل السقف ١٢٤ عمودا بالاضافة الى ثلاثين دعامة حجرية وهى التى تسمى بالأكتاف .

ويوجد بالمسجد محرابان أحدهما أقيم عند انشاء المسجد الحالى فى سنة ١٣٠٢ هـ أى قبل الاضافتين وهو المحراب المواجه للضريح الشريف ويعلو هذا المحراب لوحة تذكارية نقشت فوق الجدار بحروف مذهبه تبين تاريخ انشاء المسجد نصها :



شكل (٩) محراب حديث لمسجد السيدة زينب

« أمر بانشاء هذا الجامع الشريف والمقام الزينبى المنيف خديو مصر المفخم محمد توفيق وقد باشر العمل وأتمه حسب الأمر محمد زكى باشا مدير الأوقاف فى سـنة ١٣٠٢ هـ ويعلو الجزء الواقع أمام هذا المحراب منور (شخشيخة) بها نوافذ زجاجية وقد زينت جدرانها الداخلية الاربعة بالنقوش العربية الملونة وكتبت حولها آيات شريفة من القرآن الكريم وكذلك أبيات من البردة للامام البوصيرى كل ذلك داخل عشرين اطارا بكل جدار خمسة اطارات أما الشخشيخة الثانية فتعلو الجزء الأوسط من المسجد والمواجهة للمحراب وبها نوافذ زجاجية وتتوسطها قبة صغيرة فتح بدائرها نوافذ من الجص المفرغ المحلى بالزجاج الملون ومعلق فى مركزها ثريا عظيمة وقد زينت جدران هذه الشخشيخة بآيات كريمة من سورة النور وأرخت بسنة ١٣٠٢ هجرية فى عهد الخديوى محمد توفيق الأول .

أما الشخشيخة الثالثة المواجهة لنفس المحراب والواقعة امام الضريح الشريف فقد كتب على جدرانها الأربعة بالتساوى آيات من سورة التوبة ومن سورة يونس .

ويقع الضريح الطاهر بالجهة البحرية الغربية من المسجد وبه مثوى الطاهرة البتول تحيط به مقصورة من النحاس الأصفر وتعلو المقصورة قبة من الخشب زينت كذلك من الداخل بالنقوش العربية الملونة وباطارات تضم آيات من القرآن الكريم ونبذة عن تاريخ صاحبة المقام الطاهر .

ويحيط برقبة هذه القبة نوافذ من الخشب الخرط الميمونى الدقيق .

ويعلو الضريح قبة مرتفعة ترتكز على منطقة الانتقال من المربع الى الاستدارة على أربعة جدران من المقرنص . ويحيط برقبتها نوافذ جصية مفرغة بزجاج ملون ونقشت جدران هذه القبة بالنقوش

العربية الملونة وكتب عليها فى خطين متوازين احدهمـا يعلو الآخر آيات من القرآن الكريم ونبذة عن تاريخ انشاء المسجد .

هذا فيما يتعلق بالقسم القديم من المسجد الذى تم بناؤه فى سنة ١٣٠٢ هـ .

اما التوسعة التى تمت فى سنة ١٣٦٠ هـ ١٩٤٢ م فيوجد فى وسـطها شخشيخة ذات نوافذ زجاجية ومعلق بوسطها ثريا من البلور الثمين وكتب على جدرانها آيات من القرآن الكريم من سورة تبارك .

ويلى هذه الشخشيخة من الناحية الغربية شخشيخة اخرى تقع امام أول مدخل للمسجد من ناحية شارع السد وهو الذى يطلق عليه باب القبول كذلك كتب عليها آيات من سورة النور الى قوله تعالى ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب . أما التوسعة الأخيرة الكبيرة التى تمت سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م فتحوى أربع شخشيخات زينت جدرانها كلها بالآيات الشريفة والنقوش العربية على الوجه الآتى :

اولا : الشخشيخة الكبيرة فى وسط التوسعة ويعلوها قبـة صغيرة وتحيط برقبتها نوافذ جصية مفرغة بزجاج ملون وكتب عليها آيات من سورة الفرقان من قوله تعالى « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » الى آخر سورة الفرقان .

ثانيا : الشخشيخة التى تلى السابقة من الناحية الغربية وتقع امام المدخل الثانى للمسجد من ناحية شارع السد وتعلوها قبة من الحجر الصناعى فقد كتب عليها نفس ما كتب على القبة السابقة ويلى ذلك قبتان تقعان فى آخر المسجد من الناحية القبلية وهما اصغر مساحة من سابقتهما وقد نقشتا كذلك بالنقوش العربيـة الملونة وزينتا بالآيات الشريفة من سورة الفتح ومن سورة النور .

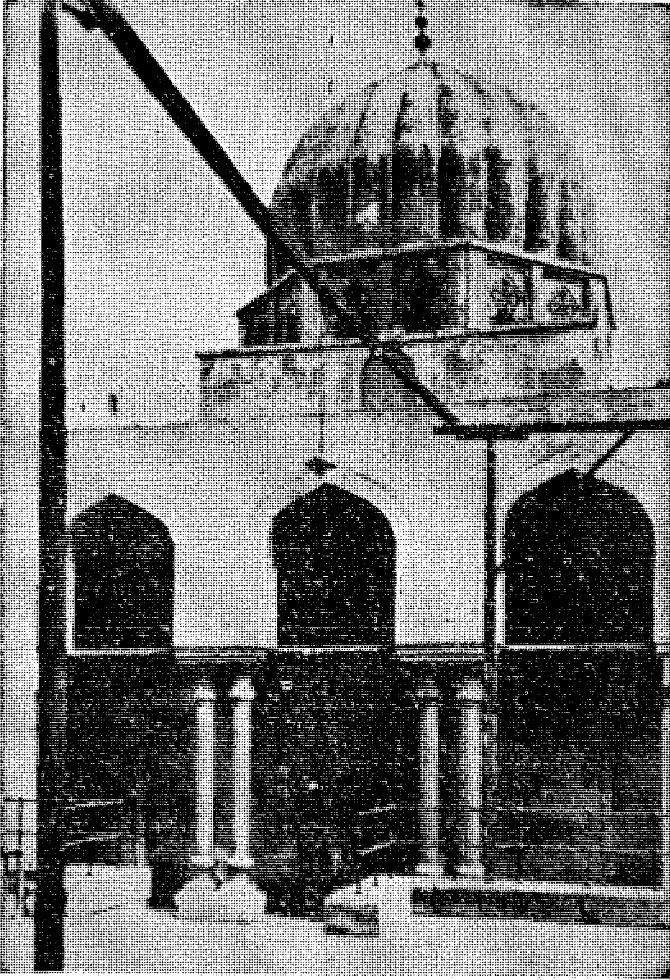
وقد توجت جدران المسجد من الخارج من النواحى الشرقية والقبلية والبحرية بآيات شريفة من القرآن الكريم نقشت على الحجر داخل اطارات منقوشة كذلك كتبت بالخط الثلث الجميل .

اما الجهة القبلية التى تطل على الفناء الذى يفصل بين المسجد الزينبى ومسجد الزعفرانى المجاور فقد كتب على جدارها الآية ١٧ من سورة التوبة .

والواجهة البحرية المطلة على الميدان كتب عليهما فوق الباب الأوسط آيات من سورة الأحزاب وسورة التوبة .

وأصبح الحرم الزينبى اليوم تحفة فنية رائعة من حيث العمارة والزخرفة وخاصة تلك النقوش الجميلة التى تزين القبة الكبيرة والمئذنة وجدران المسجد من الداخل .

ويفد المئات كل يوم لزيارة الحرم الزينبى يقرأون الفاتحة ويصلون على جد السيدة الطاهرة النبى الكريم ويحملون فى قلوبهم عطر أهل البيت .



شكل (١٠) منظر عام لقبة وصحن مشهد السيدة رقية بالقاهرة

مشهد السيدة رقية

السيدة رقية بنت الامام على بن أبى طالب رضى الله عنهما ؛ أما امها فاختلفت فيها أقوال المؤرخين ، فذهب بعضهم الى كونها ام حبيب الصهباء ، اشتراها الامام على كرم الله وجهه من سيدنا خالد بن الوليد من سبى اغارته على عين التمر فى حرب الردة . وذهب فريق ثان من المؤرخين ومنهم الوارقطى والليث بن سعد ذكروا أن رقية بنت الامام على من السيدة فاطمة الزهراء . أما الفريق الثالث فيذهب الى أن للامام على رقيتين ، تدعى احداهما بالكبرى وأمها السيدة فاطمة الزهراء ، والأخرى بالصغرى وأمها أم حبيب .

وقد ذكر انه كان للسيدة رقية ضريح فى دمشق وحين تصدعت جدران قبرها ، أراد البعض اخراجها منه لتجديده ، لكنهم لم يتجاسروا خشية هيبتها ، الى أن حضر أحد أفراد آل البيت ويدعى ابن مرتضى ، فنزل الى القبر ولفها فى ثوب ، وبعد اخراجها تبين انها صغيرة دون البلوغ .

لكن الشعرانى يجعلها ضمن المعدودين من آل البيت والمدفونين بمصر حين يقول : « اخبرنى سيدى على الخواص أن رقية بنت الامام على كرم الله وجهه فى المشهد القريب من جامع دار الخليفة أمير المؤمنين ومعها جماعة من أهل البيت ، وهو معروف الآن بجامع شجرة الدر ، وان هذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة ؛ والمكان الذى فيه السيدة رقية عن يمينه ومكتوب على الحجر الذى ببابه هذا البيت :

بقعة شرفت بآل النبى   وبنت الرضا على رقية

والراجح فى القول أنها توفيت رضوان الله عليها قبل البلوغ ـ ومن كراماتها ما نقله الأجهورى من أنها حينما جاءت الى المدينة أعترض طريقها شخص من آل يزيد يبغى قتلها فوضعت يده فى الهواء وسقط ميتا .

وصف المشهد :

يعد من مشاهد الرؤيا ، ويقع فى شارع الأشراف بالخليفة ، يقابله ضريحا السيدة / عاتكه ومحمد الجعفرى ، ويعد مشهدا السيدة رقية والجيوشى مثالين وحيدين للمساجد المستخدمة أضرحة ، وذلك لاحتفاظهما بالمقومات والعناصر المعمارية التى تميز المسجد كوجود بيت للصلاة ، وتوسط المحراب لجدار القبلة .

وقد أورد المقريزى (١) أن جهة مكنون وتدعى علم الآمرية أم سنت القصور ابنة الآمر بأحكام الله هى التى أعادت بناء مسجد الأندلس الواقع الى الشرق من القرافة الصغرى ، وكذا رباطه ومسجد السيدة رقية .

ولقد عثر منذ وقت قريب على ازار كان يلف حول رقبة المشهد نقش عليه بعد البسملة وثلاث آيات من سورة الاعراف هذا النص : « وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا ـ فى شهر ذى القعدة سنة سبع وعشرين وخمسمائة حسبى الله » .

ويضم متحف الفن الاسلامى بالقاهرة محرابا (٢) تتجلى فيه أروع آيات الصنع والزخرفة الاسلامية فقد صنع من

---

(١) الخطط : ج ٢ ص ٤٤٦ ـ ٤٤٨ .

(٢) هذا المحراب مودع الان بمتحف الفن الاسلامى مع محرابين آخرين : أحدهما صنع لمشهد السيدة نفيسة بين سنتى ٥٣٢ ، ٥٤١ هـ والاخر صنع بأمر الخليفة الفاطمى الامر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ ليودع بالجامع الازهر الشريف .

حشوات متنوعة الأشكال والأحجام ، أما نقوشه فقوامها الخطوط المتشابكة تتوسطها أشكال لعناقيد العنب ووريقاته وحباته ، تضاف لما يحمله المحراب من كتابة كوفية نصها :

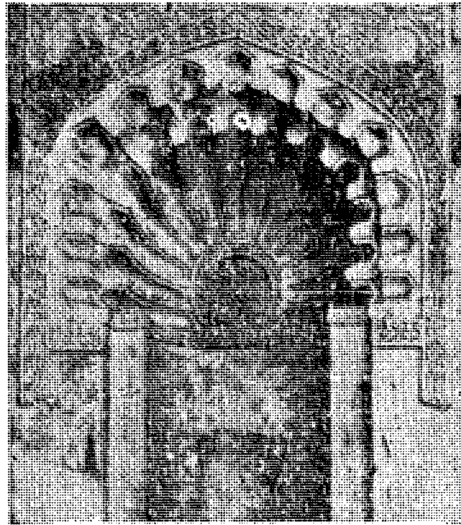
« مما أمر بعمله الجهة الجليلة المحروسة الكبرى الآمرية التى كان يقوم بأمر خدمتها القاضى أبو الحسن مكنون ويقوم بأمر خدمتها الآن السيد نصيف الدولة أبو الحسن يمن الفائزى الصالحى برسم مشهد السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على » .

بالاضافة لما ذكره المقريزى ، والنصين التاريخيين السابقين، يوجد بالمشهد تابوت خشبى نقش عليه بالخط الكوفى ما نصه : « هذا ضريح السيدة رقيـة بنت امير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه ... امر بعمل هذا الضريح المبارك الجهة الكريمة الآمرية التى يقوم بخدمتها القاضى مكنون الحافظى على يد السنى أبو تراب حيدرة بن أبى الفتح فرحم من ترحم عليه فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية » . وهذا التابوت الذى يحمل النص السابق حليت جوانبه بزخارف بارزة بديعة كما تزينه كتابات كوفية لآيات من القرآن الكريم وتاريخ صنعه (٥٣٣ هـ ـ ١١٣٨ م) .

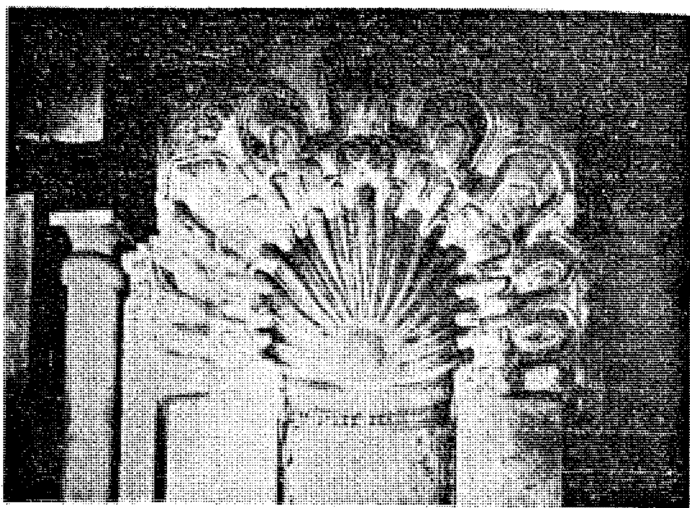
ويستدل مما سبق أن احدى أرامل الخليفة الآمر زمن الحافظ لدين الله ثامن الخلفاء الفاطميين بمصر قد شيدت مسجدا للسيدة رقية جعلته مشهدا لها وذلك سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٣ م) ثم جعلت فيه ضريحها سنة ٥٣٣ هـ ، وعملت له محرابا رائع الصنع غنى بالزخارف تم صنعه بين سنتى ٥٤٩ هـ ـ ٥٥٥ هـ .

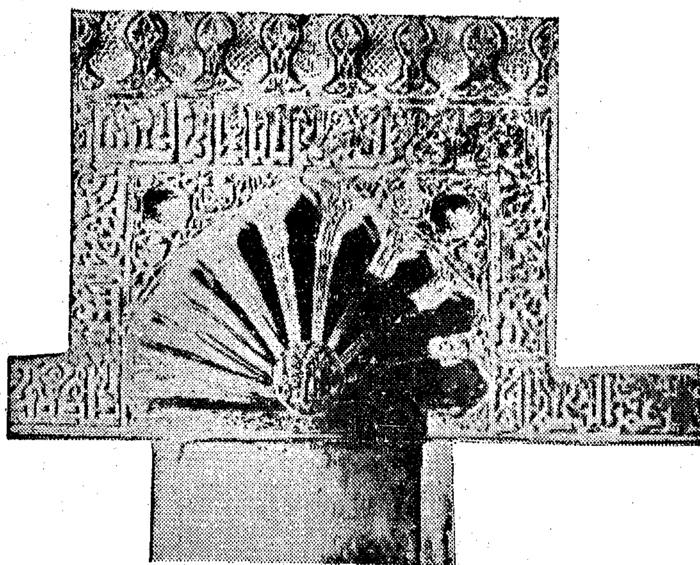
وتتمثل فى مشهد السيدة رقية اغلب العناصر المعمارية الفاطمية وقد شيد من الآجر باستثناء أعمدة مقدمته البالغ عددها ٢٦ عمودا بارتفاع ثلاثة أمتار وقد تم صنعها وكذا قواعدها وتيجانها الناقوسية الشكل من الرخام المحلى وتظهر منها ست مجموعات من الأعمدة المزدوجة .

وما تبقى من المشهد أيوانه الشرقي ويشتمل على رواق أمامي عقوده محمولة على زوجين من الأعمدة وله باب يوصل الى مربع يواجه المحراب تعلوه قبة المشهد الشهيرة ، ويبلغ طول رواق القبلة ١٢ ١/٢ م مقسم الى مستطيلين على الجانبين مساحة كل منهما ٥×٣م ، والاوسط بينهما مربع الشكل طول ضلعه ٥ م ويتصل بالمستطيلين عن طريق فتحة فى كل جانب وبكل من الأجزاء الثلاثة محراب مجوف يقع فى جدار القبلة وتكاد تكون متمـاثلة غير أن الأوسط منها اكثر اتساعا وعمقا ومن الملاحظ أن الضريح يشغل الجزء الاكبر من مربع المحراب وبالتالى تضيق المساحة المخصصة للصلاة فيه . ويتضمن المشهد عقودا ثلاثة تطل على الصحن وترتفع بمقدار ١/٢ ٥ م من سطح الأرض وهذه العقود مستحدثة بما يتفق وطرازها القديم وللمشهد مدخل يواجه المحراب الأوسط ، وكان يؤدى الى صحن مكشوف وقد كان المشهد مستطيل الشكل مساحته ٢١×١/٢ ١٤ متر .



شكل ١١ (أ) محاريب مشهد السيدة رقية





شكل ١١ (ب) محاريب لمشهد السيدة رقية

ويشتمل المشهد على خمسة محاريب مجوفة تقع ثلاثة منها فى جدار القبلة والآخران فى الرواق ، وأهم تلك المحاريب الأوسط بجدار القبلة وهو من الجص ، ارتفاعه ٥١/٢ م واتساعه ٣م . وتجويفه متر ، ونصفه العلوى مكسو بالزخارف الجصية وقمته على شكل شمسية ينبثق من مركزها ١٦ ضلعا من جامة مزدانة فى وسطها بكلمة (على) تحيطها كلمة (محمد) مكررة وتنتهى على شكل عقود منفرجة تحيطها طاقة صغيرة تحيط بها هى الأخرى حلقة مكونة من ٩ طاقات ، ويحيط بهذه الأضلع وتلك الطاقات اطار على شكل عقد محاط بمستطيل يتكون الضلع العلوى منه من ازارين العلوى منه مشتمل على زخارف هندسية ، أما السفلى فعليه نقوش بالخط الكوفى المزهر والمحرابان الواقعان بالرواق يشبهان الى حد كبير المحراب السابق ويتمثل الاختلاف الواضح فى انه لا يكتنفهما عمودان مثله ... وهذان المحرابان يشبهان المحرابين الواقعين فى جدار القبلة على جانبى المحراب الأوسط ، والاختلاف عنهما فى كون نهايات الأزار المنقوش بالخط الكوفى تنساب فى شكل خطين راسيين بما يشبه المستطيل تم تمتد على جانبى كل محراب منهما .

القبـــة :

يعلو الضريح الذى يشتمل على التابوت الخشبى قبة قطرها ٥ م مثبتة على قاعدة مربعة ترتفع عن سطح الارض بمقدار ٥١/٢ م ووجدت فى الاركان العليا للطابق الاول مجموعة من المقرنصات بهدف تحويل القاعدة المربعة الى شكل مثمن ، حيث ترتكز القبة على أربعة أركان من المقرنص تقوم كل منها على صفين من الطاقات يعلو ثلاثا منها طاق واحد ويرجع أن منطقة الانتقال هـذه كانت مكسوة بالزخارف الجصية الفاطمية على الرقبة المثمنة التى يوجد فى كل وجه من أوجهها نافذتان متجاورتان توجد بين المقرنصات ويكون اجمالى نوافذ الرقبة ١٦ نافذة تزخرف اطاراتها أشكال فريدة على هيئة مشكايات أو قناديل ، يعلوها عقد منفرج تعلوه نافذة مماثلة

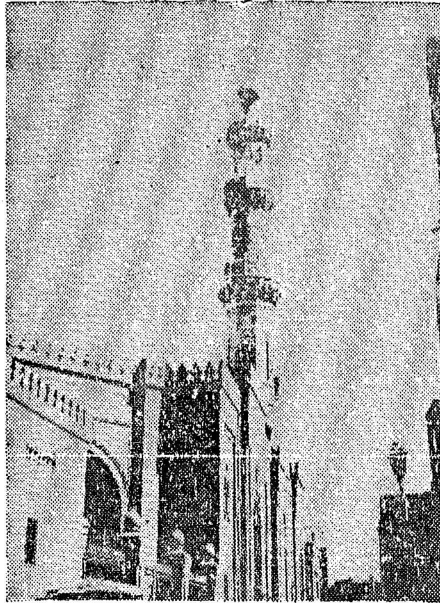
تتكون من طرفى مثلث ، وبذلك تسـاير أطرافهـا كتفى النافذتين وباسفل النافذة الشـمالية الشرقية توجد زخارف جصية تعـد نموذجا بديعا لزخارف الأرابسك فى العصر الفاطمى وبالنافذة المماثلة بقايا من زخارف مماثلة ، وهذه النوافذ سمة مميزة لقبة السيدة رقية عن القبتين المجاورتين وهما قبتا ضريحى الجعفرى وعاتكه . وتعلو البناء القبة الكروية المضلعة مكونة الطابق الثالث ، وتتكون من ٢٤ ضلعا مجوفا من الداخل حيث تنتهى أضلاعها بخطوط ملونة، ومقوسة من الخارج تتفرع حول قمتها ويلف أسفل هذه الضلوع من أعلى النوافذ من داخل القبة ازار من الكتابات الكوفية يدور حول الطابق الثانى كله . ومسجل عليه تاريخ المشهد . وتعد هذه القبة أجمل من قبة السيدة عاتكه ، وتشبه فى شكلها الخارجى قباب شمال افريقيا المضلعه الشكل كما تعد بداية التطور الذى أصاب قباب العصر الأيوبى .

مسجد السيدة سكينة بالقاهرة

لعمرك انني لأحب دارا ... تكون بها سكينة والرباب
احبهما وأبذل جل مالى ... وليس لعاتب عندى عتاب
وليس لهم وان عابوا معيبا ... حياتى أو يغيبنى التراب

(الامام الحسين)

هى آمنة بنت سيدنا الحسين بن الامام على بن ابى طالب رضوان الله عنهما ، أمها الرباب ابنة امرىء القيس بن عدى بن أوس الكلبى ، وكان نصرانيا ثم أسلم على يد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وخطب الامام الحسين ابنته الرباب وتزوجها ، فأنجبت له عبد الله وسكينة .



شكل (١٢) الواجهة الجنوبية لمسجد السيدة سكينة وتظهر فيها المئذنة

وكانت السيدة رباب كما وصفها هشام الكلبى من خيار النساء وافضلهن ، وتقدم البعض لخطبتها بعد استشهاد زوجها سيد الشهداء فقالت : ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله . وكانت منزلتها كبيرة عند الامام الحسين والأبيات المتقدمة قالها فيها زوجها هى وابنتها سكينة ردا على عتاب شقيقه الامام الحسن فى زوجته الرباب ولذلك كانت فجيعة وهول استشهاد الحسين شديدين عليها وظلت بعده عاما لا يظلها سقف حتى ماتت ، ومن الأبيات التى رثت بها زوجها الحسين بعد مقتله :

ان الذى كان نورا يستضاء به
بكربلاء قتيل غير مدفون

سبط النبى جزاك الله صالحة
عنا وجنبت خسران الموازين

قد كنت لى جبلا صعبا ألوذ به
وكنت تصحبنا بالرحم والدين

ورثت السيدة سكينة رضى الله عنها العديد من الصفات التى تحلت بها والدتها ، والاسم الراجح هو آمنه كما أورد ابن خلكان فى تاريخه ، على أسم أم الرسول عليه السلام ، وقد قيل أمينة واميمة وامية ، ثم لقبت فيما بعد بسكينة حيث هفت وسكنت اليها نفوس وقلوب الناس لاكتمال شخصيتها وحيويتها والشائع عن العامة نطق اسمها بفتح السين وكسر الكاف والأصح انه يضم السين وفتح الكاف .

وفى تاريخ ابن خلكان أن السيدة سكينة كانت سيدة نساء عصرها ، وأجملهن وأظرفهن ، واحسنهن خلقا ، وقد كانت أيضا أحسن الناس شعرا اذ كانت تحسن تصفيف جمتها حتى اشتهرت بذلك ، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز اذا وجد من الرجال من يصفف مثلها جلده وحلقه .

وكانت أيضا على درجة عالية من الأدب والفصاحة ، فكان منزلها ملتقى للشعراء ، فقد كان يؤم مجالسها الشعراء وخاصة فى مواسم الحج ، ومن هؤلاء الشعراء جرير والفرزدق ونصيب وجميل بثينة ، كما كانت تحكم على أيهم أبلغ شعرا ، واعجبها خاصة شعر جميل واعطته ألف دينار ــ فهو القائل :

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة
بوادى القرى انى اذا لسعيد
فكل حديث بينهن بشاشة
وكل قتيل بينهن شهيد

وكان لبلاغتها وتأدبها أن هفت على مجالسها النساء أيضا ، وامتلات بهن دار ندوتها ، وكن يتناقشن فى أمور دينية ودنيوية ، تلك الصفات أبرزت المنزلة الرفيعة للسيدة سكينة بين قومها وعشيرتها لما تحلت به من صفات تضاف لحسن نسبها الذى طالما اعتزت به فذكر السبكى أن حضرت السيدة سكينة مأتما حضرته ابنة عثمان بن عفان التى قالت فى مجلس العزاء أنها بنت الشهيد ، فأنكر عليها الحاضرات ذلك الذى حدث على مسمع من بنت سيد الشهداء ، التى ما كان منها الا أن لاذت بالصمت ، وتصادف أن كان يؤذن فى مسجد الرسول صلوات الله عليه وسلم ، وحين وصل المؤذن الى « أشهد أن محمدا رسول الله » سألت السيدة سكينة ابنة سيدنا عثمان قائلة : « هذا أبى أم أبوك » ؟ فأجابتها ابنة عثمان : « لا أفخر عليكم أبدا » .

وشخصية السيدة سكينة ذات وجه آخر يتمثل فى تقواها وورعها ، فقد كانت عابدة ناسكة ، وليس أدل على ذلك الا قول أبيها الامام الحسين لابن أخيه الحسن المثنى بن الحسن السبط حين جاء يخطب من بناته فاطمة أو سكينة اذ قال : « لقد اخترت لك ابنتى فاطمة فهى أكثرهما شبها بأمى فاطمه بنت الرسول صلى الله

عليه وسلم ، أما فى الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار ، وأما فى الجمال فتشبه الحور العين ، وأما سكينة فغلب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل » .

شهدت رضى الله عنها يوم كربلاء الرهيب حين أبى والدها سيد الشهداء الا أن يكون أسوة صالحة ومثل يحتذى لكل حر شريف يؤثر الموت تحت ظلال السيوف من أجل احقاق الحق بدلا من العيش فى كنف الذل وتحت سلطان الطغيان . وبعد استشهاد أبيها ورفاقه سيقت مع نساء أهل البيت سبايا قدمهن ابن زياد الى يزيد بن معاوية فى قصر خلافته بدمشق ، فأدخلهن دار نسائه ، ثم أمر بتجهيزهن الى المدينة المنورة ، فأقامت مع أمها الرباب التى لقيت ربها بعد ذلك حزنا وكمدا على فقد بعلها وولده عبد الله ، فانتقلت السيدة سكينة عقب ذلك لتقيم مع أخيها على زين العابدين .

تزوجت السيدة سكينة من ابن عمها عبد الله بن الحسن فقتل عنها فى الطف قبل أن يدخل بها وهو الزواج الوحيد وفق ما أوردته مراجع الشيعة ، لكن بعض الروايات عددت مرات زواجها ، وان كانت هذه الروايات لم تتفق مع بعضها فى عدد هذه المرات ، والراجح من هذه الأقوال أنها رضوان الله عليها تزوجت من ثلاثة آخرين هم (مصعب بن الزبير وعبد الله بن عثمان بن عبد الله وزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان) ، ويوجد قول لا يؤكده الكثيرون بأنها حملت الى مصر لتتزوج من الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ولكنها ما أن وطأت أرض مصر حتى كان قد توفى .

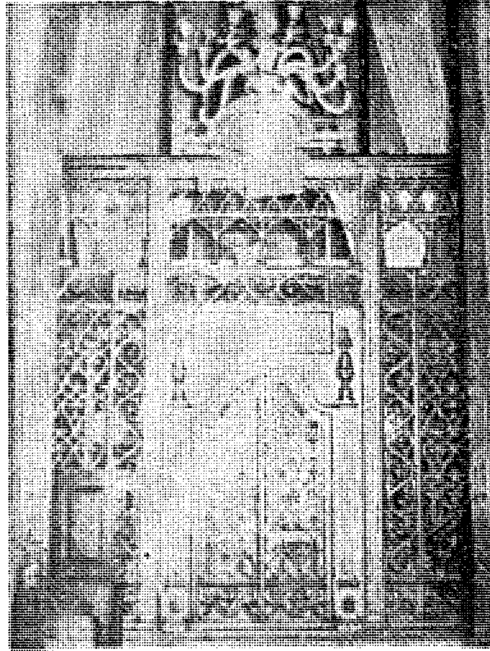
توفيت رضى الله عنها بمكة يوم الخامس من ربيع الأول سنة ١٢٦ هـ ، وهو الراجح (١) وكان يوم وفاتها شديد الحر ، وانها حتى على الموت لم تخل من الحسد (٢) ، فان أمير المدينة الأموي أمر

---

(١) ذكر ابن خلكان فى تاريخه أنها توفيت بالمدينة سنة ١١٧ هـ .

(٢) د/ سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ص ١٠١ .

بأن يؤخر الصلاة عليها لحين حضوره ، وتجمع الناس حولها حتى العشاء لكنه لم يحضر ، فأوقدوا لها عددا من المسك بما قيمته أربعمائة دينار وصلوا عليها جماعات ، وفى صباح اليوم التالى دفنوها ودفنوا معها العلم والأدب والفن .



شكل (١٣) واجهة مقصورة السيدة سكينة

وصف المسجد :

ذكر الشعرانى فى مننه : « أخبرنى سيدى على الخواص أن السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنها فى الزاوية التى عند الدرب قريبا من دار الخليفة عند الحمصانيين » . وذكر أيضا فى طبقاته أنها مدفونة بالمراغة بالقرب من السيدة نفيسة ، وشارك

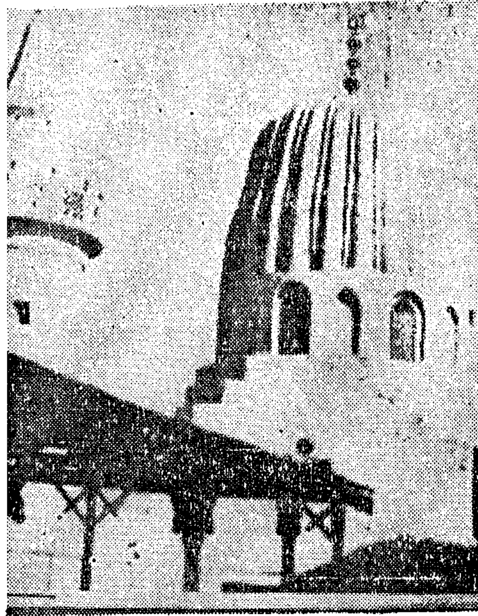
الشـعرانى الرأى المناوى فى طبقاته ، ويدللون على رأيهم بدفن السـيدة سكينة بمصر برواية مشـابهة مؤداها انه حين خطبت السيدة سكينة الى الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم والى مصر من قبل الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، فانها ارسلت اليه تخبره أن اراضى مصر وخمة ، فبنى لها مدينة سميت باسمه ، وما أن علم الخليفة الأموى بذلك الامر حتى ثارت ثائرته ، وخير الأصبغ بين سكينة او ولاية مصر فاختار الولاية . وفى رواية مماثلة انها وفدت الى مصر لتتزوج الاصبغ ، ولكن حين وصلت مصر كان قد مات فرجعت للمدينة ، وهناك فريق آخر يقول بأنها صاحبت عمتها السيدة زينب رضى الله عنها حين غادرت المدينة بعد أن خشى بنو امية على حكمهم من بأسها عقب موقعة كربلاء ، واذا سلمنا فرضا بصحة هذا القول فالرأى بأنها عادت ثانية الى الحجاز بعد وفاة عمتها السيدة زينب سنة ٦٢ هـ .

والراجح عندنا أن السيدة سكينة ابنة الحسين وليست أخته كما ذهب البعض ، كما ان القول الذى ذهب اليه البعض بأنها عادت الى دمشق من المدينة وقبرها بها قول ضعيف والراجح أيضا أنها توفيت ودفنت بمكة ، وان وجود مسجد يحمل اسمها فى القاهرة لا يعدو ان يكون قربا وتقربا من آل البيت خاصـة وقت نزول الشدائد ، فتسمى بيوت الله بأسمائهم وقد يكون ذلك ايضا وفاء لنذر على مقيمى هذه البيوت ، او لرؤيا جاءتهم فيشيدون مايسمى بأضرحة الرؤيا . ولكن فى اى مكان يكون آل البيت فهم ساكنو قلوب المسلمين . والمسجد المنسوب للسيدة سكينة من اعمال الامير عبد الرحمن كتخدا عام ١١٧٣ هـ ، وقد جددته وزارة الأوقاف فى القرن الثالث عشر الهجرى .

مشهد على زين العابدين

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهـــم هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلهـــا الى مكارم هذا ينتهى الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختمـــوا
الله فضـــله قـــدما وشرفه جرى بذلك له فى لوحة القلم
وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من انكرت والعجم

(الفرزدق)



شكل (١٤) قبة ومئذنة مشهد الامام زين العابدين بمصر القديمة

هو على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، كنيته أبو الحسن ، ولقب بسيد العابدين وزين العابدين لكثرة تعبده ، فقد كان رضى الله عنه من خير أهل بيت رسول الله دينا وزهدا وعلما وشجاعة . ويعد الامام الرابع على مذهب الامامية .

ولد بالمدينة المنورة فى شهر شعبان سنة ٣٨ هـ ، زمن خلافة جده الامام على كرم الله وجهه . أبوه سيد الشهداء الامام الحسين رضى الله عنه . وأمه سلافة بنت يزدجرد بن أنوشروان العادل ملك فارس الملقبة بشاه زنان وتعنى بالفارسية ملكة النساء . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « لله تعالى من عباده خيرتان ، فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس » ومن هنا كان يلقب على زين العابدين بابن الخيرين ، فهو قريشى الأب وفارسى الأم .

أورد الزمخشرى فى ربيع الأبرار أنه لما أتى بسبى فارس فى خلافة سيدنا عمر ، كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا، وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد ، فقال له على كرم الله وجهه ان بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن ، ثم قال نقومهن ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختار ، فقومهن فأخذهن الامام على ، فدفع واحدة لولده الحسين فولدت له عليا زين العابدين ، وواحدة لعبد الله بن عمر فولدت له سالم ، وواحدة لمحمد بن أبى بكر الصديق فولدت له القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خاله . وفى رواية أخرى انه لما جيء ببنات كسرى وكن ثلاثا مع أمواله وذخائره الى عمر وقفن بين يديه ، وأمر المنادى بأن ينادى عليهن ، وأن يزيل نقابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون فى ثمنهن ، فامتنعن عن ذلك ووكزن المنادى فى صدره ، فغضب الخليفة عمر وأراد أن يعلوهن بالدرة وهن يبكين ، فقال له على كرم الله وجهه : مهلا يا أمير المؤمنين فانى سمعت رسول الله عليه السلام يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ، وأن

بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر كيف الطريق الى معهن ، فأخبره الامام على بأن نقومهن بالثمن .

نشأ على زين العابدين فى المدينة متشبعا بالجو الروحانى العطر الذى خلفه للبشرية جده سيد الخلق محمد بن عبد الله وجده الامام المكرم وجهه على بن أبى طالب . ولقد ورث عن أبيه الحسين شجاعته وكرمه وعفة نفسه لهذا نشأ متكامل الشخصية بعيدا عن النقائص ، وكيف لا ؟ وأبوه ينتسب لأحسن بيوت قريش وامه سليلة الملوك والأكاسرة ، ورث عنها التقوى والورع وسمو الخلق فاستحق عن جدارة اللقب الذى لم يلقب به أحد من قبله ولا من بعده وهو زين العابدين . قال الزهرى : « ما رايت قرشيا أفضل ولا أفقه منه ، فكان رضى الله عنه يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة » . ولعل ما رآه فى حياته من محن ومصائب قد صقلت شخصيته وأثرت فيه ، فأصبح عازفا عن الدنيا زاهدا فى اهوائها مقبلا على الله عز وجل لنيل رضاه ومغفرته . وقد عرف عنه أنه اذا توضا فان وجهه يصفر ، واذا ما قام ليصلى ارتعد خوفا ، وحين سئل عن أسباب ذلك أجاب : « الا تدرون بين يدى من أقوم ومن أناجى ؟ » .

وروى ايضا ان بيته احترق وقت ان كان يصلى ، فلم يشأ ان يترك صلاته حتى فرغ منها ، ولما سئل عن سبب ذلك أجاب : « انى انشغلت عن هذه النار بالنار الأخرى » . كما عرف عنه كثرة بكائه وكان يعلل ذلك بقوله « ان يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ولم يعلم أنه مات ، وانى رأيت بضعة عشر من أهلى يذبحون فى غداة واحدة ، أفترون حزنهم يذهب من قلبى أبدا ؟ » . وكان رحمه الله مقبلا على كتاب الله كاتما لأسراره فقد نقل عنه الشيخ الشربينى قوله :

يا رب جوهر علم لو ابوح به ... لقيل لى انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال صالحون دمى ... يرون اقبح ما يأتونه حسنا

يضاف لما اتسم به من مناقب جليلة أنه كان متصـــدقا على الفقراء والمحتاجين فى السر ، فهو القائل : « صدقة السر تطفىء غضب الرب » ، وقال أيضا : « من قنع بما قسم الله له فهو أغنى الناس » . وفى خلافة عبد الملك بن مروان حمل اليه سيدنا على زين العابدين مقيدا بالأغلال ، وتصادف أن شاهده احد صحابته ، فبكى وتمنى أن يكون مكانه فى هــذا الموقف ، لكن الامام على زين العابدين اخبره أن هذه الفعلة لم تكربه ، واخرج يديه ورجليه من القيود ثم اعادها مستعذبا عذاب الدنيـــا ، فهو يدير عنها اتقـــاء عذاب الله .

ومن كراماته رضوان الله عليه أنه حينما استشاره ابنه زيد فى الخروج مع اتباعه لملاقاة اعداء الاسلام من بنى امية ، نهاه قائلا : « أخشى أن تكون المقتول المصلوب ، اما علمت انه لا يخرج احد من ولد فاطمة قبل خروج السفيانى الا قتل مكانه» ، ولقد حـــدث ما توقعه واستشهد زيد كما سيرد فى ترجمته فى الجزء التالى .

والامام على زين العابدين غير أخيه على الأكبر ، أول من استشهد من آل بيت الامام الحسين يوم كربلاء ، وبعد ان قدم رفاق أبيـــه أرواحهم من أجله ، ولم يتجاوز عمر على الأكبر يومها التاسعة عشرة من عمره ، وظل يقاتل حتى مزقت جسده الشريف العشرات من سيوف البغاة ، فحمله أبوه الى فسطاطه حيث انكبت على اشلائه المزقة عمته السيدة زينب تزفر دموعها وشجنها . اما على الأصغر وقتها أو على زين العابدين (صاحب الترجمة) فشهد هو الآخر يوم كربلاء ، لكن مرضه أقعده عن مشاركة بقية أهل بيته ومن معهم فى قتال الجلادين ، ونيل شرف الاستشهاد فى أقدس صراع للحق ضد الباطل والذى ظلت نتائجه بصمات التفـــكك والملامة والحزن فى نفوس المسلمين ، فشاهد الجميع يتسابقون الى المعركة غير مبالين بموت ، ومن بينهم والده الحبيب سيد الشهداء فى حالة تتمزق لها الأكباد وتدمى لها القلوب ، فيعظم ذلك عليه ويزيد جزعا

واضطرابا حتى ينفد صبره ، وتراه عمته زينب رضى الله عنها وهو على هذه الحال التى يرثى لها فتأخذ فى تصبيره قائلة : « مالى أراك تجود بنفسك يا بقية جدى وأبى واخوتى ؟ فوالله أن هذا لعهد من الله لجدك وأبيك ، ولقد أخذ الله ميثاق ناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون فى أهل السموات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرجة فيوارونها ويرسمون علما لقبر أبيك سيد الشهداء ، لا يمحى رسمه ولا يدرس أثره ولا يزداد الا علوا على مر الأيام وكر الليالى ، ولا يجهد من ائمة الكفر وأشياع الضلالة فى محوه وتطميسه فلا يزداد الا ظهورا » .

وبعد معركة أو ملحمة كربلاء بالسلاح كانت هناك معركة أخرى ليست كسابقتها بالسيوف والرماح بل هى أقوى وأشد فكانت اداتها الكلمة القوية والعقيدة الثابتة ، تجلت أروع صورها فيما نطق من أجل ازكاء جذوة الحق المشتعلة ، وكان للسيدة زينب وعلى زين العابدين رضى الله عنهما دور بارز شجاع مع بقية آل البيت ، لم تقتل نفوسهم بما أصابهم من مرارة الهزيمة وذل الانكسار وضخامة ما حل بهم من مصائب مروعة . ففى طريق مرور ركب أهل البيت الباقين بعد المعركة ، وعند الكوفة كان على زين العابدين على بعير بغير غطاء فى حالة يرثى لها لما رآه يصيب أهل بيت النبوة ، فينشد فى أسى وألم بالغين :

يا أمة السوء لا سقيا لربعكم — **يا أمة لم تراع احمد فينا**
لو اننا ورسول الله يجمعنا — **يوم القيامة ماكنتم تقولونا**
تسيرونا على الأقتاب عارية — **كأننا لم نشيد فيكم دينا**
بنى امية ما هذا الوقوف على — **هذى المصائب ام تصغوا لداعينا**
تصفقون علينا كفكم فرحا — **وأنتم فى فجاج الأرض تسبونا**
أليس جدى رسول الله ويلكم — **هادى البرية فى سبل المضلينا**
يا وقعة الطف قد أورثتنى حزنا — **والله يهتك أستار المسيئينا**

وفى مواجهة الجلادين من بنى أمية وأعوانهم ، كانت هناك أكثر من وقفة تستحق التسجيل والتقدير . فهــذا ابن مرجانة حين فضحت السيدة زينب قوله ، وأظهرت فسقه وطغيانه حتى تحول عنها الى غلام يقف بجوارها بعدما شاهد على وجهه من عــلامات المرض ، واعتقد أن الفرصة مواتية له ليكسب جولة بعد فشله فيما سيقوله وهو فى مصدر القوة كما توهم ، فقد يعيد ذلك كبرياءه المتداعى ، ولكنه كان بالقطع مخطئا ، اذ لم يدع له على زين العابدين فرصة البدء كما توقع ، وافتتح الحديث صائحا وموجها كلمــاته الى ابن زياد : « الى كم تهتك عمتى بين يعرفها ومن لا يعرفها » ؟ فيلتفت اليهم الطاغية متسائلا باستنكار عن كنيته ، فيجيبه الغلام : « على بن الحسين » ، فيسأل الطاغية : « ألم يقتل الله على بن الحسين ؟ » فيرد عليه بعد أن كرر عليه ابن زياد السؤال : « كان لى أخ أكبر منى يسمى عليا قتله رجالك » ويرد ابن زياد فى عناد : « بل قتله الله » ، ويرد عليه زين العابدين بكلمة الحق قائلا : « الله يتوفى الأنفس حين موتها .. وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله » ويثور الجلاد ويأمر أحد رجاله بضرب عنق الفتى ولكن عمته السيدة زينب تعترض طريق الجلاد وتضم ابن أخيها بين ذراعيها وتصيح فى ابن زياد : « حسبك منا ، أما رويت من دمائنا ، وهل أبقيت منا أحدا ، أسألك بالله ان كنت مؤمنا ان قتلته فتقتلنى معه » ، فقال لها زين العابدين : « اسكتى يا عمة حتى أكلمه » والتفت الى الطاغية قائلا : « أبالقتل تهددنى ؟ أما علمت أن القتل لنا عادة ، وكرامتنا من الله الشهادة » ويستطرد قائلا « يا ابن زياد أن كانت فيك بينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الاسلام » . وأمام ما رآه ابن زياد من صلابة لم يتوقعها نظر اليهما وقال متعجبــا : « عجبا للرحم ، والله انى لأظنها ودت لو انى قتلته أنى أقتلها معه ، دعوا الغلام ينطلق مع نسائه فانى أراه لما به مشغولا » .

وما حدث مع ابن زياد حدث ما يماثله مع يزيد ، اذ حاول كل منهما قتل الغلام على زين العابدين ليتخلصوا من كل ذكور أهل البيت ، ولكن مشيئة الله عز وجل كانت أقوى من مكائدهم وحقدهم وسيوف جلاديهم ، بالاضافة للشجاعة النادرة لعمته زينب . وأدار يزيد حوارا هو الآخر مع الغلام ليلوذ به من عنف لوم عمته فقال له: « يا على أبوك الذى قطع رحمى ، وجهل حقى ، ونازعنى سلطانى فصنع الله به ما قد رأيت به » ، فيجيبه الفتى : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها . أن ذلك على الله يسير ، لكى لا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » . واغضب القول يزيد ، وجعل يعبث بلحيته ثم قال لابنه خالد أردد عليه فما درى خالد بأى رد يجيب فقال له يزيد : « قل وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .

وحين قصد هشام بن عبد الملك بن مروان بيت الله الحرام طائفا فى حياة ابيه ، أراد أن يستلم الحجر الأسود ، فلم يتمكن لكثرة الزحام الا بعد أن نصب له منبرا جلس عليه ومن حوله جماعة من أهل الشام ، وقتها تصادف مثول على زين العابدين الى الحجر ليستلمه ، واجلالا لقدره ومقامه تنحى له المتبركون جانبا مما جعل نفرا من أهل الشام يسألون هشاما عن كنيته ، فما كان من هذا الأخير الا أن أنكر معرفته ، يريد بذلك أن ينقص من قدره ، لكى لا يتحول مريدوه من أهل الشام نحوه دون بنى أمية أصحاب الملك والسلطان وما كان من جميع الحاضرين الا أن استنكروا قول هشام وكان من بينهم الشاعر الفرزدق الذى رد على تساؤل الرجل الشامى على مسمع من هشام قائلا انا أعرفه ، فسأله الرجل : ومن يكون يا أبا فراس ؟ فرد عليه بقصيدته العصماء الشهيرة التى أوردنا بعض ابياتها فى بداية الترجمة لسيدى على زين العابدين ، وحين سمع هشام القصيدة غضب وأمر بسجن الفرزدق ، وحين علم

زين العابدين بذلك حزن وبعث اليه بأربعة آلاف درهم وفى روايات أخرى عشرة ، واثنى عشر ألفا ، فاعتذر الفرزدق عن قبولها قائلا : انى مدحت بما أنت أهله ، فردها اليه زين العابدين ثانية ، وكتب اليه أن خذها وتعاون بها على دهرك ، فأنا أهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نستعيده ، فقبلها منه ، وداوم الفرزدق فى سجنه على هجاء هشام حتى اضطر الى اطلاق سراحه ، ومما قاله فى هجائه :

أيحبسنى بين المدينة والتى ... اليها قلوب الناس يهوى حنينها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد ... وعين له حولاء باد عيوبها

توفى رضى الله عنه فى الثانى عشر من المحرم سنة ٩٤ هـ عن سبعة وخمسين عاما . ذكر ابن الصباغ المالكى أنه مات مسموما وأن الذى أمر بدس السم له هو الوليد بن عبد الملك ، ودفن بالبقيع مع عمه الحسن فى القبة التى فيها العباس بن عبد المطلب ، وأنجب رحمه الله عشرة ذكور وأربع اناث . ويهمنا التأكيد على ما ذكره ابن الصباغ من دفن زين العابدين بالبقيع بأن نشير الى النص الذى ذكره المسعودى فى الاشراف والتنبيه وأوردناه فى صدد الحديث عن تحقيق مقر رأس الحسين بما يؤكد دفن على زين العابدين ببقيع الغرقد وهذا يضعف كثيرا ما أورده الشعرانى فى طبقاته من أن المشهد القريب من مجراة القلعة قرب مصر القديمة قد اشتهر بأنه مشهد على زين العابدين ، وسنعود لهذا الموضوع فى الحديث عن الترجمة للامام زيد بن على زين العابدين والمدفونة رأسه بالمشهد المعروف باسم زين العابدين بالسيدة زينب ، لكى نصحح الرأى الشائع عند العامة من دفن على زين العابدين بالمشهد المعروف باسمه مع رأس ابنه زيد ، بعدما أوردناالراجح من القول من دفنه بالبقيع ، وأن المشهد المذكور يضم فقط رأس الامام زيد كما سنعرض له على الصفحات القادمة ، لذلك آثرنا التعريف بسيدى على زين العابدين أول الأمر ، ثم ترجمة لابنه زيد وفى نهايتها سنورد الوصف المعمارى للمشهد .



مشهد زيد بن زين العابدين

« والله ما ولد النساء افضل
من زيد بن على ، ولا أفقه ولا
اشجع ولا أزهد ولا ابين قولا ،
لقد كان منقطع القرين »

(الشعبى)

الامام زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم كنيته ابو الحسن ، اخو محمد الباقر وعم جعفر الصادق ، اليه تنسب طائفة الشيعة الزيدية . ويعد من أحسن الهاشميين عبادة وشجاعة ، حتى ان ملوك بنى امية امروا والى العراق بمنع الناس من مجلسه لأن لسانه على حد وصفهم اقطع من السيف واحد من الأسنة وابلغ من السحر والكهانة .

قال عنه ابو اسحق السبيعى : « رأيت زيد بن على فلم ار فى اهله مثله ولا أعلم منه ، ولا افضل ، وكان افصحهم لسانا واكثرهم زهدا وبيانا » . وقد كان الامام زيد دائم التطلع الى الخلافة ، ويرى انه أهل لها ، واحق بها ، وظل هذا المعنى يحكم أفعاله واقواله حتى كانت خلافة هشام بن عبد الملك الذى قال له : « بلغنى انك تروم الخلافة وانت لا تصلح لها لأنك ابن أمة » ، فأجابه زيد : « قد كان اسماعيل بن ابراهيم ابن أمة ، واسحق ابن حرة ، فأخرج الله من صلب اسماعيل خير ولد آدم » ، فقال له هشام قم فرد عليه زيد « اذا لا ترانى الا حيث تكره ، وما أن خرج من الدار حتى قال « ما احب احد الحياة الا ذل » .

قيل للامام جعفر الصادق ان الرافضة يتبرأون من عمك زيد، فقال : وبرىء الله ممن تبرأ من عمى كان والله اقرانا لكتاب الله وافقهنا فى دين الله ، واوصلنا للرحم ، والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله : وقال ابو حنيفة « شاهدت زيد بن على كما شاهدت أهله فما رأيت فى زمانه افقه منه ولا أعلم ولا أسرع جوابا ولا ابين قولا ، لقد كان منقطع القرين ، وكان يدعى بحليف القرآن قرأ مرة قوله تعالى (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) فقال « ان هذا لوعيد وتهديد من الله ، اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلا » .

وفى ولاية هشام بن عبد الملك اتهم زيد بوديعة طرفه لخالد بن عبد الله القسرى أمير الكوفة ، وارسله الى يوسف بن عمر امير الكوفة زمن خلافته ، فاستحلف زيدا انه ليس مدينا لخالد ، وتوجه الى المدينة بعد أن أخلى سبيله فتبعه أهل الكوفة قائلين: « اين تذهب يرحمك الله ومعك مائة الف سيف نضرب بها دونك ، وليس عندنا من بنى امية الا نفر قليل » ، وحين رد عليهم بانه يخشى غدرهم وتخليهم عن نصرته اجابوه: « نعطيك من العهود والمواثيق ما تثق به ، فانا نرجو أن نكون المنصور ، وأن يكون هذا الزمان الذى تهلك فيه بنى امية » . وظل أهل الكوفة يغرونه بالعودة حتى رجع الى الكوفة ، ولكن طلب منه بعض أهلها أن يتبرأ من الخليفتين أبى بكر وعمر مقابل نصرته ، فما كان منه الا أن رد عليهم : « كلا بل أتولاهما » فقالوا له اذن نرفضك ، فقال لهم اذهبوا فأنتم الرافضة فسموا بذلك ، واجتمعت عليه طائفة اخرى تتبرأ من فعل السابقة فقبلهم وسموا بالزيدية ، وبايعه نحو خمسة عشر ألفا منهم ، تابعهم فى بيعتهم بعض أهل المدائن وخراسان والموصل وواسط وحين راى زيد هذه الحماسة وذلك الاقبال على نصرته من اهل العراق قال « الحمد لله الذى اكمل لى دينى ، والله انى كنت استحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ارد عليه الحوض

ولم آمر فى امته بمعروف ولم انه عن منكر » وحشد أمير الكوفة يوسف بن عمر الثقفى قواته وخرج لملاقاة زيد وشيعته ، وكسابق عهد الشيعة وغدرهم بجده الحسين تخلوا وتفرقوا عنه أيضـا ، وأصبح فى قلة رغم حسن بلائه فى القتال حتى استشهد بعد ان أصابه سهم فى رأسه وكان ذلك لليلتين خلتا من صفر سنة ١٢٣ هـ (٧٣٩ م) وكان عمره وقتئذ اثنتين وأربعين سنة وذلك على حد الرواية التى أوردها هشـام بن محمد ، أما اليعقوبى والطبرى والواقدى فقد أرخوا وفاته بسنة ١٢١ هـ .

أورد الشعرانى فى منته عما أخبره به شيخه على الخواص أن رأس ابراهيم بن الامام زيد فى المسجد الخارج بناحية المطرية مما يلى الخانقاه وهو الذى قاتل مع الامام مالك واختفى من أهله ولكن الثابت لدى جمهور النسابين انه لم يكن فى أولاد زيد بن على زين العابدين أو أولاد زيد بن الحسن السبط من يدعى بذلك الاسم . والراجح أن ابراهيم الذى يقصده الشيخ الخواص هو الاسم الأول لأبن عبد الله المحضى بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، أخو محمد المهدى ، وكان من كبار العلماء ، وهو الذى قاتل مع مالك ، وأفتى بخروج الناس لمبايعته ونصرته ، وابراهيم هذا قتل سنة ١٤٥ هـ ، وحمل رأسه الشريف الى مصر ، وذلك أكده القضاعى والكندى والمقريزى الذى ذكر مسجده بخارج القاهرة وأنه عرف قديما بالبئر والجميزة ، ثم بمسجد تبر ، وتسميه العامة بمسجد التبن ، وهذا خطأ وموضعه قريب من المطرية . ومثلما تضاربت الاقوال فى تأريخ الوفاة فقد تضاربت أيضا فى مصير جثته الشريفة ، وفى هذا الصدد يوجد رأيان رئيسيان :

الأول : انه بعد استشهاد زيد اختلف أصحابه فى موضع دفنه ، فاقترح بعضهم طرحه فى الماء ، واقترح البعض الآخر دفنه فى حفرة ومن بينهم ابنه يحيى ، فدفنوه فى حفرة ثم أجروا عليها الماء لتجنب التمثيل بجثته ، ولكن يوسف بن عمر دله أحد الذين

شاهدوا دفن الجثة على موضعه ، فاخرجه وصلبه واحرقه وذرى رماد جثته فى نهر الفرات . وفى رواية مماثلة أنه ذرى نصفه فى نهر الفرات ونصفه الآخر فى الزرع قائلا : « والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه فى طعامكم وتشربونه فى مائكم » .

الثانى : قيل بأن أمير الكوفة حين أخرج الجثة ، اجتز الرأس الشريف منها وبعث به الى هشام بن عبد الملك الذى دفع لمن سلمها اليه عشرة آلاف درهم مكافأة له ، ونصب الرأس على باب دمشق ، ثم بعث بها الى المدينة ، وسار منها الى مصر سنة ١٢٢ هـ صحبة أبى الحكم بن أبى الأبيض العبسى . أما جسده الشريف فصلبه أمير الكوفة واقام عليه الحرس لمدة تزيد على عامين ، حتى توفى هشام وخلفه الوليد الذى أمر يوسف بن عمر بانزال جثة زيد وحرقها ففعل وذرى رماده فى الريح . وتحكى الروايات أنه حين صلب زيد عاريا استرخت بطنه على عورته ، وذهبت هذه الروايات الى أن جثة زيد كانت وجهتها الى غير القبلة فدارت خشبته تجاهها ، كما ذهبت روايات أخرى أكثر من ذلك فذكرت أنه صلب لمدة أربع سنوات نسجت خلالها العنكبوت على عورته .

قال عبد الله بن حسنين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب سمعت أبى يقول : « اللهم ان هشاما رضى بصلب زيد فاسلبه ملكه ، وان يوسف بن عمر أحرق زيدا فاللهم سلط عليه من لا يرحمه اللهم وأحرق هشاما فى حياته ان شئت والا فاحرقه بعد موته » ثم قال : « فرأيت والله هشاما محرقا لما أخذ بنو العباس دمشق ، ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعا فى كل باب من ابوابها عضو منه » .

وذكر لنا الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون كيفية دفن الرأس بمصر ومما ذكره : « انه حين وصلت الرأس مصر طيف بها ثم نصبت على المنبر الجامع وذلك سنة ١٢٢ هـ فسرقت ودفنت فى موضعها الحالى الى أن ظهرت فى مصر الدولة الفاطمية وبنى على الرأس المشهد » .

وصف المشهد : ذكر المقريزى فى خططه حين عدد المشاهد التى يتبرك بها أهل مصر « ان المشهد الذى بين الجامع الطولونى ومدينة مصر تسميه العامة مشهد زين العابدين وهذا خطأ وانما هو مشهد راس زيد بن على زين العابدين بن الحسين وكان يعرف قديماً بمسجد محرس الخصى ، وأن المشهد باق للآن بين كيمان مصر يتبرك به الناس ويقصدونه ولاسيما يوم عاشوراء والدعاء عنده مستجاب » ويشارك المقريزى القول القضاعى والمناوى . كما ذكر ابن عبد الظاهر أن الأفضل ابن أمير الجيوش امر بكشف المسجد من وسط الأكوام ولم يتبق من معالمه سوى المحراب ، فوجد الراس الشريف فعطرها وحملها الى داره حتى عمر المشهد سنة ٥٢٥ هـ .

والراجح هو ما نبهنا اليه المقريزى من خطأ الاعتقاد بوجود على زين العابدين بالمشهد كما يرى البعض ومنهم الشعرانى الذى أورده فى منته بما أخبره به شيخه على الخواص من أن راس زين العابدين وراس زيد بن الحسين فى القبة القريبة من محراب القلعة . ونرى أن ما يضعف قول الشعرانى انه لم يثبت أن على زين العابدين قد قتل أو اجتزت راسه ، والراجح دفنه ببقيع الغرقد .

ويقع المشهد فى حى زين العابدين بالسيدة زينب وسمى قديماً كما ذكر المقريزى بمسجد محرس الخصى ، وفى بداية العصر الاسلامى سمى الحمراء القصوى ، وفيها كانت العسكر ثانية عواصم مصر الاسلامية بعد الفسطاط . وعلى الواجهة القريبة بمدخل المسجد القديم كتب النص التالى بخط النسخ الركيك : (بسم الله الرحمن الرحيم هذا مشهد امام على زين العابدين بن امام حسين بن امام على بن عمران بن عبد المطلب صلوات الله عليهم أجمعين فى سنة ٥٩٤) ، وهذه الواجهة من مخلفات العمارة الفاطمية ، بالاضافة الى عقد وحيد بالطرقة الداخلية الواقعة يمين رواق القبلة . وما تبقى من المسجد مدخل مغطى بالمقرنصات التى تتدلى منها الدلايات ، ذو فتحة صغيرة ذات مصراع واحد لها حلق وكلهـا صنعت من

الجرانيت ، وتعد نموذجا للابواب التى شاع استعمالها فى بلاد الشام ، وبالطرقة الداخلية للمسجد عقد فاطمى . أما بقية المسجد فيرجع الى عمارة وتجديدات عثمان اغا أغات مستحفظان فى سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) ، وفيها أعيدت زخرفته بعد تجديده رغم أن ذلك لم يشمل القبة التى ترجع قاعدتها الى القرن الثامن الهجرى . كما شيد عثمان أغا له ولزوجته مقبرة ما زالت موجودة فى المسجد الى الآن ، وقد توفى سنة ١٢٣٩ هـ ولحقته زوجته بعد ذلك بعامين ، وقد أرخ لوفاتهما فى شاهد قبر لكل منهما .

وفى سنة ١٢٨٠ هـ أنشأ محمد قفطان باشا مقصورة دقيقة الصنع كتب عليها : (أنشأ هذه المقصورة سعادة محمد قفطان باشا سنة ١٢٨٠ هـ) . وفى سنة ١٣٠٤ هـ كسا عبد الواحد التازى عتب باب القبة بالقاشانى العثمانى ذى اللون الأزرق . وفى عهد الملك السابق فاروق (١٩٤٤ م) جددت واجهة المسجد والباب الأصلى ، كما أعيد تجديده بالزخارف الأصلية والنصوص التاريخية لهذا الأثر .

مسجد السيدة عائشة

السيدة عائشة بنت جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام على زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، أخوها الامام موسى الكاظم رضوان الله عنهما .

ولقد كانت السيدة عائشة من العابدات القانتات المجاهدات ، ومن الأقوال المأثورة عنها فى مخاطبة الله عز وجل : « وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لآخذن توحيدى بيدى وأطوف به على أهل النار وأقول لهم : « وحدته فعذبنى » .

يكاد يجمع مؤرخو سيرة أهل بيت الرسول الكريم على حضور السيدة عائشة مصر وظلت بها حتى توفيت سنة ١٤٥ هـ ، ومنهم السخاوى (١) وذكر أنه رأى قبرها فى تربة قديمة عليها لوح من رخام كتب عليه : « هذا قبر السيدة الشريفة عائشة من أولاد جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام على زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، توفيت سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة » .

كما أعلن المرحوم احمد زكى باشا ـ الذى قام بتحقيق هذا المشهد ـ على رؤوس الأشهاد « ان المشهد القائم فى جنوب القاهرة باسم السيدة عائشة النبوية هو حقيقة متشرف بضم جثمانها الطاهر ، وفيه مشرق أنوارها ومهبط البركات بسببها » . وفى ذكر ابن الزيات (٢) لمشاهد باب القرافة يقول : « واصبح مابالحومة

---

(١) السخاوى تحفة الاحباب ـ نسخ المرحوم احمد زكى ورقة (٤٢) .

(٢) شمس الدين محمدين الزيات ـ الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ص (١٨٥) .

مشهد السيدة عائشة ، لها نسب متصل بالامام الحسين بن على بن أبى طالب » . اما الشعراوى (١) فقد ذكرها من بين عباد النساء حين قال : « ومنهن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق رحمها الله المدفونة بباب القرافة بمصر رضى الله عنها » كما نقل عنه على باشا مبارك قوله أيضا : « أخبرنى سيدى على الخواص رضى الله عنه أن السيدة عائشة رضى الله عنها ابنة جعفر الصادق فى المسجد الذى له المنارة القصيرة على يسار من يريد الخروج من الرملة الى باب القرافة » .

وصف المسجد :

ظل قبرها رضوان الله عليها مزارا يؤمه الناس للتبرك بها ، واتسم بالبساطة ، فهو يتكون من حجرة مربعة تعلوها قبة محمولة على صفين من المقرنصات وظل هذا القبر على هذه الحال حتى القرن السادس الهجرى حين أنشأ صلاح الدين الأيوبى سوره لتحصين مدينة القاهرة ووجد أن السور يفصل بين قبر السيدة عائشة وبقية القرافة فقام بانشاء مدرسة تجاور القبة وفتح بابا فى السور سماه باسمها وهو الذى يعرف الآن بباب القرافة اما المسجد الحالى فقد اعاد بناءه الأمير عبد الرحمن كتخدا (٢) عام ١١٧٦ هـ (١٧٦٢ م) ويقع فى شارع السيدة عائشة الموصل لمدينة المقطم والمسجد مربع الشكل تحيطه الأروقة ويتوسطه الصحن اما المحراب فيقع فى الركن الشرقى وليس بمنتصف جدار القبلة كما هى العادة وللمسجد واجهة غربية بها بابان تقع بينهما المئذنة التى لم يتبق منها سوى دورتها الأولى ويحمل عتب الباب البحرى النص التالى :

(١) عبد الوهاب الشعرانى ـ الطبقات الكبرى ج ١ ص ٧٦ .

(٢) الامير عبد الرحمن كتخدا بن الامير عثمان كتخدا تابع حسن جاويش القاظوغلى : عين كتخدا بمصر « اى وزيرا مفوضا » لمدة سنتين فابطل المنكرات وتصدق على الفقراء واهتم ببيوت الله وخاصة مزارات اهل البيت ودفن فى مدفن انشاه لنفسه عام ١١٥٥ هـ (١٧٣٩ م) . وقد كان خبيرا فى شئون الهندسة والعمارة وانشأ العديد من القناطر والمساجد والاسبلة والاسواق فى مدينة القاهرة .

مسجد اسه التقوى فتراه كبدور تهدى بها الأبرار
وعباد الرحمن هد أرخوه تتلألأ بحبـــــه الأنوار

وهذا الباب موصل الى صحن المسجد وقد تم تجديده سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) أما الباب الآخر القبلى فيقع على يسار المئذنة ومكتوب عليه :

بمقام عائشة المقاصـــد أرخت سل بنت جعفر الوجيه الصادق

والقبة من الداخل والخارج تتسم بالبساطة وصنعت أرضيتها من الرخام الملون ويقع بوسطها القبر الشريف محاطا بمقصورة خشبية .

والباب القبلى يؤدى الى طرقة يقع على يسارها باب ذو عقد تحيطه الكرانيش ويؤدى الى المسجد ينصدرها باب القبة الذى كتب عليه النص التالى :

لعائشة نور يضىء وبهجــة وقبتها فيهـا الدعاء يجاب

ويرجح المرحوم حسن عبد الوهاب (١) وجــود حجــرة أسفل ارضية القبة تضم تابوتا أثريا كما هو مألوف فى الكثير من المشاهد .

اعادة بناء المسجد :

ابتداء من سنة ١٩٧١ بدات الحكومة فى اعادة بناء مســجد السيدة عائشة على مساحة ونمط مغاير عما كان عليه . ويعتمد التجديد المقترح على نقل واجهــات مسجد أولاد عنان الموجود فى شارع الجمهورية بالقرب من ميدان رمسيس واستخدام واجهاته بعد اجراء بعض التعديلات المعمارية عليها وذلك فى اعادة بناء المسجد وكذلك سوف تنقل ايضا المئذنة ــ ونقل هذا المسجد سيعطى مساحة كبيرة لمسجد الفتح الذى يجاوره ليشملها فى أهم شوارع القاهرة .

---

(١) حسن عبد الوهاب ــ تاريخ المساجد الاثرية جـ ١ ص ٣٤٧ .

ومسجد السيدة عائشة الجديد الذى سيقوم على ضريحها الحالى تحددت مساحته المقترحة ٢٦ × ١/٢ ٢٢ م وسيكون شكله مسدسا غير منتظم الشكل ، كما سيكون بكل ضلع منه عمودان مدببا الشكل يكتنفهما ثلاثة عقود وتعلو كل جهة منه شخشيخة .

ولقد صمم المسجد الجديد على أساس اقامة دور مسروق فى جانبه الجنوبى الشرقى والجنوب الغربى حيث تستخدم مساحته كمصلى للسيدات ، ومكتبة دينية ، ومكتب لتحفيظ القرآن الكريم كما سيخصص جزء من هذا الدور لشئون خدمات المسجد .

وتتعدد المداخل فى التصميم الجديد للمسجد ، فسيشمل مدخلين من شارع الامام الشافعى ، ثم مدخلين من طريق صلاح سالم أحدهما يؤدى الى الضريح والآخر يؤدى الى مصلى السيدات والمكتبة . كما سيوجد مدخل آخر بشارع السيدة عائشة .

وفى مواجهة حائط القبلة سيوجد مدخلان أحدهما علوى يؤدى الى صحن المسجد والآخر سفلى يؤدى الى دورة المياه . ولقد شهدت الشهور الأخيرة من هذا العام عمل أغلب أساساته من الأعمدة الخرسانية كبداية لاعادة بناء المسجد . وستبلغ مساحة المسجد الكلية حوالى ٦٦٠ مترا مربعا تقريبا .

مسجد حسن الانور بمصر القديمة

هو الامام حسن الانور ، بن زيد الابلج ، بن الامام الحسن ، بن الامام على بن أبى طالب ، والد السيدة نفيسة رضى الله عنهم اجمعين ولد سنة ١٠١ هـ ولقب بالأنور لوضاءة وجهه وهو من أشراف العلويين ، وعالم كبير له مكانته بين آل البيت . ولى المدينة من قبل الخليفه العباسي ابى جعفر المنصور فترة خمس سنوات ، وكانت له الدعوة المجابه والرأى السديد ولقب بألقاب منها سخى الأسخياء وشيخ الشيوخ ، ومدح بالقصائد العديدة لما اشتهر به من حسن الصفات منها كرمه وعلمه الوافر .

وحين ولى المدينة كان بها رجل فقير يدعى ابن أبى ذؤيب ، فقربه الحسن واحسن اليه حتى أصبح من أعيـان القوم ، ثم قربه الى مجالس المنصور فأصحى له صوت مسموع به ، فبدأ يشى بالحسين على انه يروم الخلافة لنفسـه ، فما كان من المنصور الا أن سلب من الحسن سلطانه وأملاكه ، وبعـد مدة تبين للخليفة كذب ابن ذؤيب فرد للحسن اعتباره وأمواله وبالغ فى اكرامه ، وأعاده للمدينة ، وحين دخلها أرسل هدية لابن ذؤيب دون أن يحدثه أو يلومه عما فعل .

وروى أنه كان يصلى فمرت به امرأة تحمل وليدها فاختطفه عقاب ، فتعلقت بالحسن أن يدعو له ، ففعل واستجاب الله لدعائه والقى العقاب بالغلام دون أن يمسه ضرر ، وأخذته أمه وفرحت كثيرا .

ذكر الطبرى أنه لما مات والد الحسن الأنور ، أعنى زيدا ، ترك عليه خمسة آلاف دينار دينا للناس فحلف الحسن انه لا يستظل بسقف الا سقف مسجد جده الأعظم الرسول الكريم حتى يوفى دين أبيه فوفاه .

ورد فى سنن النسائى أنه دخل عليه بعض الشعراء وانشد أحدهم « الله فرد وابن زيد فرد » ولكن الحسن طلب منه أن يقول « الله فرد وابن زيد عبد » ، ثم نزل من على سريره والصق خده بالأرض .

وذكر الحافظ أبو عبد الله بن برعش فى تحفة الاشراف ، أن الامام زيد الابلج والد السيد حسن الأنور كان يأخذ بيده ويدخله قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ويقول : « يا سيدى يا رسول الله هذا ولدى الحسن ، أنا عنه راض » ، وظل يتردد بهذا القول حتى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام فى نومه ذات ليلة يقول له : « يا زيد أنا راض عن ولدك الحسن برضاك عنه ، والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضاى عليه » . وقد فعل الامام الحسن مع ابنته السيدة نفيسة مثلما فعل معه والده حتى أتاه الرسول فى منامه واخبره برضا الله ورضاه عن ابنته نفيسة برضاه هو عنها .

تزوج الامام حسن الأنور وأعقب تسعة ذكور هم القاسم ومحمد وعلى وابراهيم وزيد وعبيد الله ويحيى واسماعيل واسحق ، ومن الأناث أم كلثوم ونفيسة ، وأمهم زينب بنت الحسن عمة الحسن ابن على بن أبى طالب الملقبة بأم سلمى . وتوفى سنة ١٨٦ هـ عن ٨٥ سنة .

وصف المسجد :

أورد الشعراوى فى منته : « أخبرنى سيدى على الخواص أن الامام الحسن والد السيدة نفيسة فى التربة المشهورة قريبا من جامع الفراء بين مجراة القلعة وجامع عمرو ، وقد اشتهرت هذه التربة وبنى عليها قبة جليلة حضرة كتخدا ، ونفس المكان بجوار ضريح والده سيدى زيد ومدفون معه ابنه سيدى جعفر ، قلت وقد وجد ما يدل على دفن والده السيد زيد الأبلج بهذا المكان أيضا وهو انه وجد حجر عتيق شرقى مقام ولده السيد حسن الأنور

بغرب جامع عمرو بعد مجراة القلعة بقليل مرقوم عليه نسب زيد ، ومن شك فى ذلك فليذهب هناك ليعلم ذلك بالمعاينة والمشاهدة » .

والمسجد القديم شيده الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٨ هـ بمعرفة القاضى فخر الدين بن فضل الله ناظر جيشه . وكانت له اربعة ابواب فسيحة ، كما كان بصحن المسجد ١٣٢ عمودا . وقد كانت مساحته كبيرة تحيطها البساتين اليانعة أجمل منتزهات ذلك العصر ، تتوسطها مساكن وقبور بعض الفقراء .

ولقد تهدم المسجد القديم وهجر وخرب مع مرور الزمن حتى اهتم بشئونه وعمر سنة ١٢٨٠ هـ على يد ناظره الشيخ أبو زيد اسماعيل ، وقد دون ذلك على الباب الغربى للمسجد .

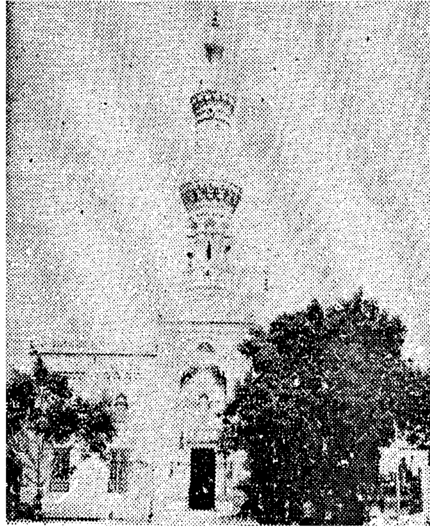
والمسجد الحالى يقع مكان المسجد القديم فى الميدان المسمى الآن باسم صاحب الضريح بمنطقة الجيزة بمصر القديمة ، وتبلغ مساحته الحالية حوالى ٦٠٠ م٢ ويتكون من رواقين متساويين تقريبا فى المساحة بسقف كل منهما شخشيخة للتهوية ، والمحراب جديد يقع فى رواق القبلة وبه زخارف هندسية .

ويعلو الباب الرئيسى للمسجد مئذنة عثمانية الطراز ، وعلى يسار الداخل من ذلك الباب توجد حجرة مربعة الشكل بها ضريح سيدى حسن الأنور وتعلوها قبة متنوعة الزخارف ونصل من داخل هذه الحجرة الى حجرة أخرى مجاورة يوجد بها ضريح والده سيدى زيد الأبلج .

مسجد السيدة نفيسة

لأهل البيت فضل ليس يخفى ... على أحد الى يوم القيامه
فمنهم خير سيدة بمصر ... هى المنجى لأهل الاستقامه
كريمة سيد سند شريف ... هو الحسن بن زيد ذى الفخامه
نفيسة جدها خير البرايا ... وقد راع الاله له زمامه

السيدة نفيسة بنت الامام حسن الأنور ، بن زيد الأبلج ، بن الامام الحسن بن الامام على بن ابى طالب رضوان الله عليهم أجمعين ولدت فى مكة فى شهر ربيع الأول سنة ١٤٥ هـ ، وأقامت بالمدينة المنورة فى صحبة والدها الذى كان عاملا عليها من قبل الخليفة ابن منصور ثانى الخلفاء العباسيين .



شكل (١٥) الواجهة الغربية لجامع السيدة نفيسة

نشأت رضوان الله عليها محبة للدين ، مقبلة على العبادة فكانت تكثر من تلاوة القرآن الكريم ، كما لازمت الحرم النبوى الشريف، وكان والدها يدخلها كثيرا الحجرة النبوية ويقول : « يا رسول الله أنا راض عن ابنتى نفيسة » وظل على ذلك حتى أتاه الرسول عليه السلام فى منامه وقال له : « يا حسن اننى راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها ، والحق راض عنها برضاى عنها » كما كانت رضى الله عنها تقية ورعة ، حجت ثلاثين حجة ملبية ماشية فى أغلبها وكانت تتعلق بأستار الكعبة الشريفة وقت طوافها وتبكى قائلة : « الهى وسيدى ومولاى ، متعتى وفرحتى برضاك عنى ، فلا تسبب لى سببا يحجبنى عنك ، الهى سهل لى زيارة قبر خليلك ونبيك ابراهيم عليه الصلاة والسلام » .

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لدعائها فزارت قبر الخليل فى صحبة زوجها اسحق المؤتمن وكان من أهل الصلاح والدين وكان ذلك فى آخر حجة لها فى أوائل سنة ١٩٣ هـ .

وحين بلغت رضى الله عنها الخامسة عشرة من عمرها ، سعى الكثيرون للتزوج منها لما اتصفت به من تقوى وصلاح ، لكن والدها رفض طلبهم وزوجها من اسحق المؤتمن بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام على بن ابى طالب ، ورزقت منه القاسم وأم كلثوم لكنهما لم يعقبا .

قدمت مصر مع زوجها فى شهر رمضان سنة ١٩٣ هـ بعد زيارتهما لقبر الخليل وقيل انها دخلت مع أبيها الحسن المدفون بمصر ، وحين وصلت مصر خرج أهلها لاستقبالها بالهوادج لحظة وصولها العريش لما لها فى نفوسهم من منزلة عظيمة . ونزلت بعد وصولها فى دار جمال الدين عبد الله بن الجصاص كبير تجار مصر ، وظلت دار اقامتها عدة أشهر ، ثم انتقلت منها الى دار أم هانىء جهة المنصوصة ، وفى تلك الدار تردد عليها الآلاف المتبركين بها والمعتقدين فى سرها وكراماتها ، حتى ان هذا الازدحام أقلق بال

زوجها ، وطلب منها العودة الى الحجاز ، ولكنها أجابته بقولها (١) :
« لا استطيع ذلك لأنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال لى لا ترحلى من مصر فان الله تبارك وتعالى متوفيك فيها » .

وفى دار أم هانىء ظهرت وانتشرت كرامات السيدة نفيسة (٢) نورد منها أنه كان بجهة الدار يهودى يدعى أبو السرايا أيوب بن صابر ، وكانت له ابنة مقعدة ، تركتها أمها يوما عند السيدة نفيسة بعد ان استأذنتها حتى تعود من الحمام ، ولما حانت صلاة الظهر قامت السيدة نفيسة لتتوضأ ولتصلى ، فجرى ماء الوضوء الى الابنة المقعدة فمسحت أعضاءها بالماء وشفيت من مرضها فى الحال (وفى الخطط للمقريزى انها توضأت وصبت من فضل وضوئها) ، ومشت على رجليها وهى عافية تماما ، ولم تدرك السيدة نفيسة ما حدث فقد كانت مشغولة بالصلاة ، وتوجهت الابنة الى أمها وقصت عليها ما حدث ، فبكت الأم وتوجهت من فورها الى السيدة نفيسة وأسلمت وكذلك فعل أبوها وكان من أعيان القوم ، وشاع الخبر وأسلم الكثيرون بسبب هذه الكرامة . وانتقلت السيدة نفيسة بعد ذلك الى دار والد البنت التى شفيت باذن الله ، بدرب الكروبيين (تعرف الآن بالحسينية) بشارع القبر الطويل وما زالت تلك الدار باقية وفيها حجرة تعبد السيدة نفيسة .

ومن كراماتها أيضا ما رواه سعيد بن الحسن بقوله : « توقف النيل فى زمنها فجاء الناس اليها وسألوها الدعاء فأعطتهم قناعها ، فجاءوا به الى البحر وطرحوه فيه فما رجعوا حتى وفى البحر وزاد زيادة عظيمة » .

وزاد عدد المتبركين بالسيدة وازدحموا على بابها حتى شغلوها عن أورادها وضاق بهم هذا البيت الصغير ، فطلبت الرحيل الى الحجاز ، وشق ذلك على أهل مصر وتوسلوا بالسرى بن الحكم

(١) ابن الزيات ـ الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ص ٦ .

(٢) للتعرف على المزيد من كرامات السيدة نفيسة يمكن الرجوع الى ما جمعه منها الشيخ محمد عبد الخالق سعد فى الجواهر النفيسة فى مناقب السيدة نفيسة .

أمير مصر للتوسط فى بقائها بينهم ، فذهب اليها وطلب منها البقاء ووعد بازالة كل شكواها كما وهب لها داره الواسعة بدرب السباع المعروفة بدار أبى جعفر خالد بن هارون السلمى ، فانتقلت اليهـا وخصصت أيام السبت والأربعاء من كل أسبوع للمترددين عليها لكى لا تنشغل بهم عن عبادتها ، وظلت فى هذه الدار الى أن توفيت ودفنت بهـا .

وذكر المناوى أن السيدة نفيسة قدمت مصر وبها بنت عمها سكينة المدفونة بقرب دار الخلافة بمصر ولها الشهرة التامة ، فخلعت عليها الشهرة فصار لنفيسة القبول التـام بين الخاص والعام . ويوجد قول مشابه لهذا القول أورده الشيخ عبد الرحمن الأجهورى فى مشارق الأنوار ما نصه : « قال الشعراوى لما دخلت السيدة نفيسة مصر كانت ابنة عمها السيدة سكينة المدفونة قريبا من دار الخلافة مقيمة بمصر قبلها ولها الشهرة العظيمة فخلعت الشهرة والنذور عليها واختفت رضى الله عنها » . والرأى عنـدنا أن هذين القولين ليسا بصحيحين من الناحية التاريخية ، اذ نصا على دخول السيدة نفيسة مصر وبها ابنة عمها ذات شهرة ، أى انهما كانتا فى عصر واحد وفق القولين المتقدمين ، ولكن الواقع ليس كذلك لأن السيدة سكينة توفيت عام ١١٧ هـ كما فى تاريخ ابن خلكان أو ١٢٦ هـ كمـا ذكر البعض فى حين كانت ولادة السيدة نفيسـة ١٤٥ هـ .

وظلت السيدة نفيسة بمصر خمسة عشر عاما الا عشرة أيام ، قامت على خدمتها فيها زينب ابنـة أخيها يحيى المتوج ، ورافقتها طيلة اربعين عاما .

ومما قالته فى وصف الحياة الروحانية التى عاشتها عمتها رضى الله عنها : « خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة ، فما رايتها نامت ليلا ولا نهارا ، بل كانت مشتغلة بالعبادة وافطرت الى العيدين وأيام التشريق ، فقلت لها « يا عمتاه أما ترفقين بنفسك ؟ فقالت : كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبات لا يقطعها الا الفائزون ؟ وكانت تحفظ

القرآن وتفسيره ، وكنت اجد عندها ما يخطر بخاطرى ولا أعلم من يأتى به ، فتعجبت من ذلك فقالت لى : يا زينب من استقام مع الله كان الكون بيده وفى طاعته » .

وقال القضاعى : « سألت زينب بنت اخى السيدة نفيسة ، ما كان قوت عمتك ؟ قالت : كانت تأكل فى كل ثلاثة أيام اكلة واحدة وكانت لا تأخذ شيئا لنفسها الا من زوجها ، وكلما طلبت قوتا وجدته فى سلة معلقة امام المصلاة ،وتقول الحمد لله الذى جعل لنا نصيبا مما جعل للسيدة مريم ابنة عمران عليها السلام » . تشير بذلك الى قوله تعالى : (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) وقد جعل الله ذلك للسيدة نفيسة كما جعله من قبل للسيدة مريم عليها السلام .

وكانت رضوان الله عليها تقوم الليل وتصوم الدهر ، تتلو القرآن الكريم وتستمع لأحاديث جدها المصطفى عليه السلام . تفعل الخير وتتصدق على المحتاجين ، وكان يتردد على دارها ائمة الفقه الاسلامى ومن بينهم الامام الشافعى رضى الله عنه وكثيرا ما كان يطلب منها أن تدعو له بالشفاء حين يمرض ، فكانت تدعو له وتحسن اليه ، وقرأ عليها الحديث ، وسمعه منها ، وصلى بها التراويح ، وحين اتاه مرض الموت أرسل اليها يلتمس منها أن تدعو له كعادتها فقالت لرسوله : « أحسن الله لقاءه ، ومتعه بالنظر الى وجهه الكريم » ، وحين سمع القول أيقن انه مرض الموت ، وأوصى بأن تصلى عليه ، وبعد وفاته مر نعشه على بيتها بأمر السرى بن الحكم حسب وصية الشافعى ، وكطلب السيدة نفيسة وذلك لضعفها عن الحركة من كثرة تعبدها وصلت عليه فى دارها مأمومة بصاحبه ابن يعقوب البويطى ، وعقب الصلاة سمع من يقول : « الله غفر لمن صلى على الشافعى ، وغفر للشافعى بصلاة السيدة نفيسة عليه » . وقد ترحمت عليه قائلة : رحمه الله كان رجلا يحسن الوضوء .

ولقد داهمها المرض فى أول رجب سنة ٢٠٨ هـ وحين أحست

بدنو أجلها أرسلت الى زوجها اسحق المؤتمن تستحضره من المدينة حيث كان عاملا عليها من قبل العباسيين خلفا لأبيها . وحفرت قبرها الشريف بيدها فى بيتها الذى اهداه اليها السرى بن الحكم كما أمرها جدها الرسول عليه السلام مناما بأن مصر دار اقامتها وفيها وفاتها . وكانت تنزل فيه وتصلى ، وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة . ولما اشتد عليها الضعف كانت تصلى وهى قاعدة ، وتكثر من التسبيح والبكاء حتى كانت الجمعة الأولى من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة وكانت صائمة فاشار عليها الأطباء بأن تفطر لكثرة ما أصابها من ضعف واعياء فقالت : « واعجباه ! لى ثلاثون سنة اسأل الله أن يتوفانى وانا صائمة ، أفأفطر الآن ؟ — معاذ الله ! » ثم أنشدت الأبيات التالية والتى ينسبها البعض الى محمد بن ابراهيم بن ثابت الشيعى :

اصرفوا عنى طبيبى ودعونى وحبيبى
زاد بى شوق اليه وغرامى فى لهيبى
طاب هتكى فى هواه بين واش ورقيب
لا ابالى بفوات حين قد صار نصيبى
ليس من لام بعزل عنه فيه بمصيب
جسدى راض بسقمى وجفونى بنحيبى

ثم زاد المرض اشتدادا فاستفتحت تتلو سورة الأنعام حتى وصلت الى قوله تعالى : (لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون) ، وعند البعض حتى وصلت الى قوله تعالى (قل الله كتب على نفسه الرحمة) فغشى عليها فضمتها ابنة أخيها زينب الى صدرها حتى شهدت شهادة الحق وفاضت روحها الطاهرة الى بارئها . وقد دونت تاريخ الوفاة على شاهد قبر من الرخام فى قبرها الشريف . وكانت السيدة نفيسة قد أوصت أن يتولى أمرها زوجها ، وتحقق لها فى وفاتها ما تمنته فى حياتها باذن الله ، اذ حضر زوجها يوم وفاتها وتجمع الخلق من القرى والبلدان وأوقدوا الشموع وخيم على كل دار حزن عميق وسمع البكاء والعويل .

وجهز زوجها لجثمانها الطاهر تابوتا ليحمل رفاتها الى المدينة لتدفن فى بقيع الغرقد بجوار جـدها العظيم ومع بقية أهل البيت الطاهرين ولكن أهل مصر الذين كم أحبوا السيدة نفيسة آلمهم ذلك واستعطفوا زوجها الا يخرجها من مصر وأن يدفنها عندهم ، لكنه ابى ، فاستجاروا بوالى مصر عبد الله السرى بن الحكم لعله يصرف زوجها عن رأيه وينزل على رغبتهم ، فجاءه ابن الحكم ، وقال له : « انا كنا اذا نزل بنـا امر أتينـا اليهـا نسألها الدعاء فلا تحـرمنا مشاهدة قبرها ، وادفنها عندنا لنأتى اليه اذا نزل بنا أمر ، فنسأل الله عنده عسى أن يجيب سؤالنا ببركتها » . لكن زوجها رفض طلب ابن الحكم . فجمع الناس له مالا حمل بعير من أجل أن يعدل عن رأيه ، ولكنه أصر على موقفه ، فتركوا المال عنده وقضوا لياليهم فى غم عظيم لم ينعموا بنوم أو راحة . وفى الصباح رد عليهم مالهم وأذن لهم بدفنها عندهم ففرحوا بعد غم وسألوه عن سبب عدوله عن رأيه فأخبرهم أن الرسول عليه السلام زاره فى نومه فى نفس الليلة وأمره بذلك وقال له : « يا اسحق لا تعارض أهل مصر فى نفيسة فان الرحمة تنزل عليهم ببركتها ، فرد على الناس أموالهم وادفنها عندهم » . فزاد فرح الناس بما سمعوا وصلوا على الرسـول الكريم كثيرا . وتم دفنها رضوان الله عليها فى دار اقامتها بدرب السباع بين القطائع والعسكر والتى سميت بعد ذلك بكوم الجارحى بعد أن ودعها أهل مصر بمزيد من الحزن واللوعة .

ويتفق جميع المؤرخين على دفن السيدة نفيسة بمصر حيث مشهدها ويقضى ابن الزيات (١) على أى شك فى ذلك بقوله : « أردت بذلك أصح المشاهد كما رواه العلماء رضى الله عنهم ، ولم أر احدا من ارباب التاريخ صحح مشهدا بغير القرافة من مشاهد أولاد على ابن ابى طالب رضى الله عنه الا المشهد النفيسى لأنها أقامت به فى أيام حياتها وحفرت قبرها بيدها رضى الله عنها » .

---

(١) المرجع السابق .

وصف المشهد :

يقع المسجد النفيسي فى الحى المعروف باسمها فى درب السباع بحى الخليفة وينسب الى عبيد الله بن السرى بن الحكم الوالى على مصر من قبل الأمويين انه أول من بنى على قبر السيدة نفيسة (١) ، ثم تهدم، وفى عام ٤٨٢ هـ (١٠٨٩م) أمر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله بتجديد الضريح وانشاء قبة عليه ، وقد تمت هذه العمارة على يد ولده الأمير جلال الدين خليل ، كما دون على لوحة رخامية على باب الضريح النص التالى : « نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . أمر بعمارة هذا الباب السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وشد عضده بولده الأجل سيف الامام جلال الاسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله فى علائه وامتع المؤمنين بطول بقائه فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائه » . وفى سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) أمر الخليفة الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى بتجديد القبة التى تصدعت ، وكسا المحراب بالرخام وبنى غرب المشهد مدفنا للفاطميين (٢) . واهتم الملك الناصر محمد بن قلاوون بالمشهد فجدده وأنشأ بجواره مسجدا سنة ٧١٤ هـ (١٣١٤ م) ، كما ولى على أمور المشهد ناظرا من العباسيين الذين

(١) المقريزى ـ الخطط ج ١ ص ١٠٢ .

(٢) هذا المدفن ضم فيما بعد فى المسجد الحالى ، كما قام الخلفاء العباسيون بمصر ببناء مشهد لهم شرق المسجد لم يزل مكانه ، ثم زاد بناء المدافن حول قبر السيدة نفيسة من أعيان الدولة للتبرك بها وزاد ذلك أيضا من الخاصة والعامة حتى الان .

اقاموا بمصر بعد سقوط بغداد وكان أولهم الخليفة المعتضد بالله بن المستكفى بالله وذلك عام ٧٥٢ هـ .

والمشهد بعمارته الباقية من أعمال الأمير عبد الرحمن كتخدا عام ١١٧٣ هـ (١٧٦٠ م) ، وعلى رخام الباب الموصل الى الضريح خط بالذهب النسب الشريف فى هذين البيتين :

عرش الحقـائق مهبط الأسرار   قبر النفيسـة بنت ذى الأنوار
حسن بنزيد بن الحسن نجل الا   مام على ابن عم المصطفى المختار

وفى أواخـر عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢/١٨٩٣ م) وقع حـريق بالمشهد اتلف النصف الشرقى منـه ، فأمر بانشائه وكذا الضريح الخديوى عباس حلمى الثانى .

وواجهة المسجد الرئيسية يتوسطها المدخل الذى يرتفع ويبرز من سمتها تعاوه عمارة رشيقة مبنية هى والواجهـة على الطراز المملوكى ومن المـدخل عن طريق دركاه يتم الوصـول الى صحـن المسـجد ذى الشكل المربع ومسقوف بالخشب المحلى بالزخارف العربية . محمول على صفوف ثلاثة من العقود المرتكزة على أعمـدة رخامية . وتتوسط البائكة الثانية من أعلى شخشيخة .

وللمسجد محراب بديع يتوسط جدار القبلة كسيت جوانبه بالقيشانى المتنوع الألوان . على يمينه باب يقع فى نفس جدار القبلة يوصل الى ردهة لها سقف محلى بالزخارف والنقوش تتوسـطه شخشيخة ، وهـذه الردهة تؤدى الى الضريح عن طريق فتحـة معقودة ، وتتوسطه مقصورة من النحاس تعلو قبر السيدة نفيسـة . وتعلو الضريح قبة ترتكز على أربعـة أركان من المقرنص متعـدد الحطات . ومن التحف الاسلامية الرائعـة التى صنعت للمشهد النفيسى ذلك المحراب الخشبى المتنقل بين سنتى ٥٣٢ ، ٥٤١ هـ (ومودع الآن متحف الفن الاسـلامى مع محرابين آخرين صـنع أحدهما للجامع الأزهر الشريف والآخر لمشهد السيدة رقية) .

قبة ومسجد الإمام الشافعي

أكرم به رجلا ما مثله رجل   مشارك لرسول الله فى نسبه
اضحى بمصر دفينا فى مقطمها   نعم المقطم والمدفون فى تربه

الامام الشافعي رضى الله عنه هو أبو عبد الله محمد بن ادريس ابن العباس ابن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبى ابن عم الرسول عليه السلام ـ يجتمع نسبه لأبيه مع الرسول فى عبد مناف الجد الثالث للرسول الكريم ، والتاسع للشافعى .

وقد نسب لشافع جده الثالث لكونه صحابى ابن صحابى جليل وتفاؤلا بالشفاعة . ومن الملاحظ أن هاشما الذى ورد نسبه فى نسب الشافعى غير هاشم الذى ينتسب اليه الرسول عليه الصلاة والسلام لأن الثانى عم الأول .

فالشافعى هاشمى من جهة أمهات أجداده ، ومطلبى من جهة أبيه ، امه فاطمة بنت عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

اسلم شافع وهو فى شبابه على يد الرسول عليه السلام ، أما أبوه السائب فقد كان صاحب العقاب وراية رؤساء بنى هاشم يوم بدر ، ولم تكن لغير أبى سفيان وقد كان فى العير يومها ، فحملها عنه السائب لعلو قدره ، وأسر ثم فدى نفسه واسلم .

ولد رضى الله عنه فى غزة وفق أرجح الأقوال فى رجب سنة ١٥٠ هـ وتوجد ايضا أقوال ضعيفة فى أن محل ولادته منى أو اليمن أو عسقلان . ثم حمل الى مكة وعمره عامان فتربى بها ، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنوات والموطأ وهو ابن عشر ، وكان

تفقهه على يدى مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة وقد روى أنه وقت تعلمه لم يكن ليقدر على أجرة المعلم لكن الشافعى كفاه أمر الصبية زملائه فى الدرس ، فترك عنه معلمه الأجرة مقابل ذلك حتى أتم حفظ القرآن الكريم ، ويقول الشافعى فى ذلك : « لما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث أو المسألة ، وكان منزلنا فى شعب الخيف وكنت فقيرا بحيث ما أملك أن أشترى القراطيس ، فكنت آخذ العظم وأكتب فيه » .

وأذن له أستاذه مسلم بن خالد بالافتاء والتدريس وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره . ثم رحل الى المدينة ليتصل بالامام مالك وبشره بأنه سيكون له شأن وكرامات وقال له : « ان الله تعالى ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية » . وأعجب بقراءته الموطأ ، كما أذن له بالافتاء ، ولازمه الشافعى ضيفا عليه فى المدينة فترة ثمانية شهور ، فاستزاد الكثير من علم الامام مالك رغم أنه خالفه فى كثير من أحكام مذهبه .

وفى سنة ١٩٥ هـ قدم الشافعى بغداد ، فتجمع علماؤها من حوله ومعظمهم من أتباع المذهب الحنفى ، ودخل الكثيرون فى مذهبه . وفى بغداد صنف مذهبه القديم واستطاع مزج فكر أهل العراق بفكر أهل الحجاز ، وغادرها الى مكة فأقام بها بعض الوقت ثم عاد ثانية الى بغداد ومكث فيها شهرا قبل أن يغادرها الى مصر سنة ١٩٩ هـ أو ٢٠١ هـ على حد قول البعض . وظل الامام الشافعى فى مصر بين أتباعه ومريديه ، وفيها صنف مذهبه الجديد فى مسجد عمرو بن العاص . ونزل فترة اقامته بمصر ضيفا على الفقيه المالكى عبد الله بن عبد الحكم حتى توفاه الله سنة ٢٠٤ هـ ،

ودفن بمقبرة أولاد عبد الحكم فى القرافة الصغرى (١) وظل بها مقصدا لزائريه والمتبركين به حتى الآن .

ويذكر البعض بانتشار مذهب الشافعى فى مصر أولا ، وأخذه منه مجموعة من علمائها ، ثم ظهر بالعراق خاصة فى بغداد ثم خراسان واليمن ، وكان أغلب المصريين حين وفد الشافعى مصر يعتنقون المالكية والحنفية ، ثم ما لبثت أن انتشرت بينهم تعاليم الشافعية .

ولم يجتمع لامام من المريدين كما اجتمع للشافعى ، فانتشر ذكره ، وملأ طباق الأرض علما ومعرفة ، فلقد كان رضوان الله عليه واسع العلم بكتاب الله وسنة نبيه جده المصطفى عليه السلام وأقوال صحابته الأخيار ، وأوجه الاتفاق والاختلاف فيما نسب اليهم من أقوال . ويذكر الشافعى أن جده الرسول الكريم بارك علمه حين يقول : « رأيت النبى عليه السلام فى النوم فقال لى يا غلام ممن أنت فقلت منك ، فقال ادن منى فدنوت منه فأخذ من ريقه وفتحت من فمى فأمر من ريقه على لسانى وفمى وشفتى وقال امش بارك الله فيك » . وقال أيضا رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام زمن الصبا بمكة رجلا ذا هيبة يؤم الناس فى المسجد الحرام ، فلما فرغ من صلاته اقبل على الناس يعلمهم فدنوت منه فقلت له : علمنى ، فأخرج ميزانا من كمه فأعطانى وقال هذا لك ، فعرضت الرؤيا على المعبر فقال انك تصير اماما فى العلم وتكون على

---

(١) ذكر المقريزى فى خططه نقلا عن القاضى أبى عبد الله بن سلامة القضاعى ان المقصود بالقرافة هم بنو غصن بن سيف بن وائل بن المعافر ، وقال الكندى هم بنو حشد بن سيف بن وائل بن الجيزى بن شراحبيل بن المغافرين . وقال آخرون ان قرافة اسم ام عذاقر وجحض ابنى سيف بن وائل بن الجيزى . وقال ياقوت الحموى انها اسم لمقبرة مشهورة بمصر تسمى بقبيلة من المغافر يقال لهم بنو قرافة . وتوجد القرافة الكبرى وبها جامع الاولياء والصغرى وبها قبر الامام الشافعى .

السنة لأن امام المسجد الحرام أشرف الأئمة وأما الميزان فانك تعلم حقيقة الشيء فى نفسه .

ولقد شهد بعلم الشافعى ائمة العلم والمعرفة . يقول الامام احمد بن حنبل فى الشافعى : « ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعى وقد أجمع علماء الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو والقراءات على ثقته وأمانته وعدله وزهده وعلو قدره » . وقال فيه ايضا : « سألت أبى أى رجل كان الشافعى ؟ فانى سمعتك تكثر من الدعاء له فقال : يا بنى كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن ، فهل لهذين من خلف أو عنهما من عوض ؟ » .

وقال عنه أيضا : « ما أعلم أحدا أعظم منه على الاسلام فى زمن الشافعى من الشافعى وانى أدعو له فى أدبار الصلوات اللهم اغفر لى ولوالدى ولابن ادريس الشافعى » .

وقال الزعفرانى : « كان أصحاب الحديث رقودا حتى جاء الشافعى فأيقظهم فتيقظوا » . ويقول يونس بن عبد الأعلى : « لو جمعت أمة لوسعهم عقل الشافعى » .

والعلم عند الشافعى منزلة عظيمة فهو القائل : « من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة ، فانه حياة القلب ومصباح البصائر » .

كما يقول فى تواضع العلماء : « وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم ولم ينسب الى منه شيء » . ونبغ علم الشافعى فى سن مبكرة كما سنرى فيما نسب اليه حين كان جالسا بين يدى الامام مالك رضى الله عنهما اذ جاء رجل الى مالك وقال له : « انى رجل أبيع القمارى وانى بعت فى يومى هذا قمريا فرده على المشترى بحجة انه لا يصيح ، فحلفت له بالطلاق انه لا يهدأ من الصياح » فأجابه مالك : « طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها » . فسأل الشافعى

الرجل وكان فى الرابعة عشرة من عمره : أيما أكثر صياح قمريك أم سكوته ؟ . فأجاب الرجل بل صياحه . فأخبره الشافعى انه لا طلاق عليك ، فقال الامام مالك مخاطبا الشافعى : يا غلام من أين لك هذا ؟ فقال : « لأنك حدثتنى عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة أن فاطمة بنت قيس قالت يا رسول الله ان أبا جهم ومعاوية خطبانى ، فقال الرسول أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، وقد علم الرسول عليه الصلاة والسلام أن أبا جهم يأكل وينام ويستريح ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام لا يضع عصاه على المجاز ، والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته ، ولما كان صياح قمرى هذا أكثر من سكوته جعلته كصياحه دائما » ، فتعجب الامام مالك من احتجاجه وقال له : « افت ، فقد آن لك أن تفتى ففتى من ذلك السن » .

وعن صفاته وخلقه فقد كان رضى الله عنه طويلا أسمر اللون ، قليل لحم الوجه ، طويل العنق والقصب ، خفيف العارضين ، حسن الصوت والسمع ، ذا وجه مهيب وعقل راجح ، فصيحا عف اللسان ، كان يقسم ليله ثلاثة أقسام ثلثا للعلم وثلثا للصلاة وثلثا للنوم ، كما كان شجاعا اذ كان يجيد الرمى والفروسية .

وكما أكثر أتباعه القول فى علمه فقد أكثروا أيضا القول فى تقواه وكرمه .

قال الحسن الكرابيسى : « بت مع الشافعى رضى الله عنه مرة ، فرأيته يصلى نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية ، فاذا أكثر فمائة ، وكان لا يمر على آية رحمه الله الا سأل الله تعالى الانابة لنفسه وللمؤمنين ولا يمر بآية عذاب الا تعوذ منها وسأل الله تعالى النجاة لنفسه وللمؤمنين » .

وروى الحميدى أن الشافعى كان يختم القرآن فى كل يوم مرة وفى شهر رمضان ستين مرة وكان يقول رضى الله عنه : « ما شبعت

منذ ست عشرة سنة لأنه يثقل البدن ويقصى القلب ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة » .

ولقد كان الامام الشافعى متقربا الى الله عابدا ، ناسكا ، زاهدا ومن شعره فى فضل ذلك :

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها — يمسى ويصبح فى دنياه سفارا
هلا تركت لذى الدنيا معانقة — حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
انكنت تبغىجنانالخلد تسكنها — فينبغى لك أن لا تأمن النارا

وخلد لنا الشافعى الكلام الكثير والمواعظ العديدة من شعر ونثر ، وحسبك ما قاله :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى — لكنت اليوم أشعر من لبيد
وأشجع فى الوغى من كل ليث — وآل مهلب وأبى يزيد
ولولا خشية الرحمن ربى — حسبت الناس كلهم عبيدى

واتصف رضى الله عنه بالكرم ــ فقد أورد الرازى فى مناقبه عن الشافعى قوله :

يا لهف نفسى على مال أفرقه — على المقلين من أهل المروات
اناعتذارى الىمنجاء يسألنى — ماليسعندىلمناحدى المصيبات

كما روى الحميدى فى كرم الشافعى : « خرج الشافعى رضى الله عنه الى اليمن فى بعض أشغاله ثم انصرف الى مكة ومعه عشرة آلاف درهم ، فضرب خيمته خارج مكة وكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى فرقها جميعا . وسقط سوطه من يده وهو راكب فرفعه اليه انسان فأعطاه خمسين دينارا . وخاط قميصا عند بعض الخياطين ممن جهل قدره فهزأ به الخياط وجعل له الكم اليمين ضيقا لا تخرج منه يده الا بجهد ، والكم الآخر كأنه راس عدل ، فلما جاء الشافعى راى كما ضيقا جدا والآخر متسعا جدا فقال : « جزاك الله خيرا هذا الكم الضيق جيد لتشمير الوضوء ،

وهذا الكم الواسع لأجل الكتاب ، وكان رسول الملك قد جاء الى الشافعى بعشرة آلاف درهم فصادفه عند الخياط فقال له ادفعها اليه حق خياطة هذا الثوب وفكرته فى تفصيله . فسأل عنه الخياط فقيل له هذا الامام الشافعى ، فتبعه وقبل أقدامه واعتذر اليه ثم خدمه وصار من أصحابه .

وقال المزنى : « ما رأيت أكرم من الشافعى ، خرجت معه ليلة عيد من المسجد وأنا اذكره فى مسألة حتى أتيت باب داره فأتاه غلام بكيس فقال له : سيدى يقرئك السلام ويقول لك خذ هذا الكيس فأخذه منه فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الله ولدت امرأتى الساعة وليس عندى شىء فدفع اليه الكيس وصعد وليس معه شىء » .

ومن ادعية الشافعى : « **اللهم انى أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة وطارق من الانس والجن الا طارقا يطرق بخير ، اللهم أنت عياذى فبك أعوذ وأنت ملاذى فبك ألوذ ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له اعناق الفراعنة ، أعوذ بجلالك وكرمك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك والانصراف عن شكرك ، أنا فى كنفك ليلى ونهارى ونومى وقرارى وظعنى وأسفارى ذكرك شعارى وثناؤك دثارى لا اله الا أنت تنزيها لأسمائك وتكريما لسبحات وجهك أجرنى من خزيك ومن شر عبادك وقنى سيآت مكرك واضرب على سرادقات حفظك وأدخلنى فى حفظ عنايتك يا أرحم الراحمين** » .

تزوج الامام الشافعى رضى الله عنه حميدة بنت نافع بن عنبسة ابن عمرو بن عثمان بن عفان وأنجب منها أبا عثمان محمدا — وكان قاضيا بمدينة حلب — وفاطمة وزينب . وللشافعى ابن آخر يدعى الحسين مات طفلا .

وتوفى رضوان الله عليه يوم الجمعة آخر ايام رجب سنة ٢٠٤ هـ وعمره اربع وخمسون عاما ودفن بالقرافة فى القبة المشهورة وتوالى من بعده دفن الأولياء حوله . وذكر البعض محاولة نقل رفاته الى

بغداد لكن عبير رائحته عطر حواس من أرادوا ذلك فانصرفوا عن محاولتهم . قال المزنى : « دخلت على الشافعى وهو فى فراش الموت وسألته عن حاله فأجاب : أصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا ، ولكأس الموت شاربا ، ولسوء أعمالى ملاقيا ، وعلى الله واردا ، فلا أدرى روحى الى الجنة تصير فأهنيها أو الى النار فأعزيها ثم بكى وانشد يقول :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنتــه ... بعذرى ربى كان عفــوك أعظما
وما زلت عفوا عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفــو منــة وتكرما

وقال الامام أحمد بن حنبل : « رأيت الامام الشافعى فى المنام فقلت : ياأخى مافعل الله بك ؟ فقال : غفر لى وتوجنى وزوجنى وقال لى هذا بما لم تزه بما أرضيتك ولم تتكبر فيما أعطيتك » . وقال الربيع : « رأيت فى المنام قبل موت الشافعى بأيام ان آدم مات ، ويريدون أن يخرجوا بجنازته فسألت أهل العلم فقالوا : هذا موت أعلم أهل الأرض لأن الله تعالى علم آدم الاسماء كلها . فما كان الا يسير حتى مات الشافعى » .

وابان حكم بنى أيوب اهتم صلاح الدين الأيوبى — مؤسس الدولة الأيوبية — بنشر تعاليم السنية ومحو آثار الشيعة ، وتعددت وسائله من أجل ذلك ، وفى سنة ٥٧٢ هـ شيد تربة للشافعى على قبره . وبجوارها بدأ فى نفس السنة تشييد أهم معاقل نشر المذهب الشافعى الا وهى المدرسة الصلاحية التى عرفت بتاج المدارس ولقد وصفها الرحالة ابن جبير زارها وقت اكتمال بنائها سنة ٥٧٥ هـ بقوله : « مشهد الشافعى رضى الله عنه من المساجد العظيمة احتفالا واتساعا ، وبنى بازائه مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها لا أوسع مساحة ولا أحسن بناء ويخيل لمن يتطوف فيها انها بلد مستقل بذاته وبازائها حمام الى غير ذلك من مرافقها ، والبناء

فيها حتى الساعة والنفقة عليها لا تحصى ، وتولى ذلك بنفسه الامام الزاهد العالم المعروف نجم الدين الخبوشانى . وسلطان هذه الجهات صلاح الدين يسمح له بذلك كله ويقول : زد احتفالا وتأنقا وعلينا القيام بمعاونة ذلك كله فسبحان الذى جعله صلاح دينه كاسمه » .

وقد انتظم التدريس وتلقى العلوم بهذه المدرسة منذ انشائها ، وشيدت من حولها المبانى السكنية ومختلف المرافق بالاضافة لما قامت به أم السلطان الكامل بن العادل (١) من المساهمة فى تعمير هذه المنطقة بعد وفاة ابنها ودفنه بجوار قبر الامام الشافعى ، اذ مدت اليها المياه من البساتين وعرفت المنطقة بعد ذلك بقرافة الامام أو القرافة الكبرى .

وظلت المدرسة الصلاحية مركز اشعاع لنشر تعاليم المذهب الشافعي عن طريق تدريسها ـ حتى أواخر القرن التاسع الهجرى ، فحظيت خلال هذه الحقبة برعاية الملوك والأمراء امثال قايتباى وعبد الرحمن كتخدا وما تبقى من تلك المدرسة مصراعا باب مفشيان بالنحاس ونص تاريخى مودعان فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، والنص مكتوب بخط النسخ الأيوبى ويقرأ : « بنيت هذه المدرسة باستدعاء الشيخ الفقيه الـ .... الزاهد نجم الدين ركن الاسلام قدوة الأنام مفتى الفرق أبو البركات ابن الموفق الخبوشانى أدام الله توفيقه لفقهاء أصحاب الشافعى رضوان الله عليه الموصوفين بالأصولية الموحدة الأشعرية على الحشوية وغيرهم من المبتدعة وذلك فى شهر رمضان سنة خمس وسبعين وخمسمائة » .

---

(١) ينسب كثير من المؤرخين الى أم السلطان الكامل عمارة قبة الشافعى بوضعها الحالى وانها أجرت اليها الماء من بركة الحبش ، ولا ينسب ذلك للسلطان الكامل فلم يكن سلطان مصر وقت انشاء القبة سنة ٦٠٨ هـ (الجوهر الثمين ـ المجلد الثانى) .

ضريح الامام الشافعي (١) :

يقع في شارع الامام الشافعي ـ أنشيء سـنة ٦٠٨ هـ وقد سجل تاريخ الانشاء على العتب الخشبي للشباك الغربي للقبة في سطرين ونصه (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذه القبة المباركة مولانا السلطان الملك الكامل محمد بن مولانا السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب خليل أمير المؤمنين خلد الله ملكه وذلك يوم الأحد لسبع خلون من جمادى الأولى من سنة ثماني وستمائة ... الله ...) والبناء مربع الشكل مساحته ٤ م٢ تقريبا ويعد أكبر ضريح بني منفصلا في مصر الاسلامية يبلغ طول ضـلعه الخارجي ٢٠ مترا ومن الداخل ١٥ مترا ، وسمك جداره ٣/٤ ٢ متر وبكل ركن من اركانه شطفة ويخلو الجنـوب الشرقي والجنوب الغربي للضريح من الفتحات أما الضلع الشمالي الغربي فتوجد به نافذتان ويقع المدخل الرئيسي في الضلع الشمالي الشرقي ولكنـه بالبحث اتضـح أنه كان نافـذة حيث أنها كظاهرة غريبـة أن تكون الأبواب بجوار المحاريب .

ويتكون المبنى من الخارج من طابقين ويرتفع بمقدار ١٠ر٦٢ مترا للطابق الأول و ٦ر١٦ مترا للطابق الثـاني ، والطابق الأول يتكون من ١٣ مدماك حجري تعلوه زخارف قالبية الشـكل يبلغ ارتفاعها ٦ر٣٠ مترا ، وكل الواجهـة تحليها الزخارف وتتوسطها نافذة داخل اطار مستطيل الشـكل وعلى جانبها حنيتان الأولى

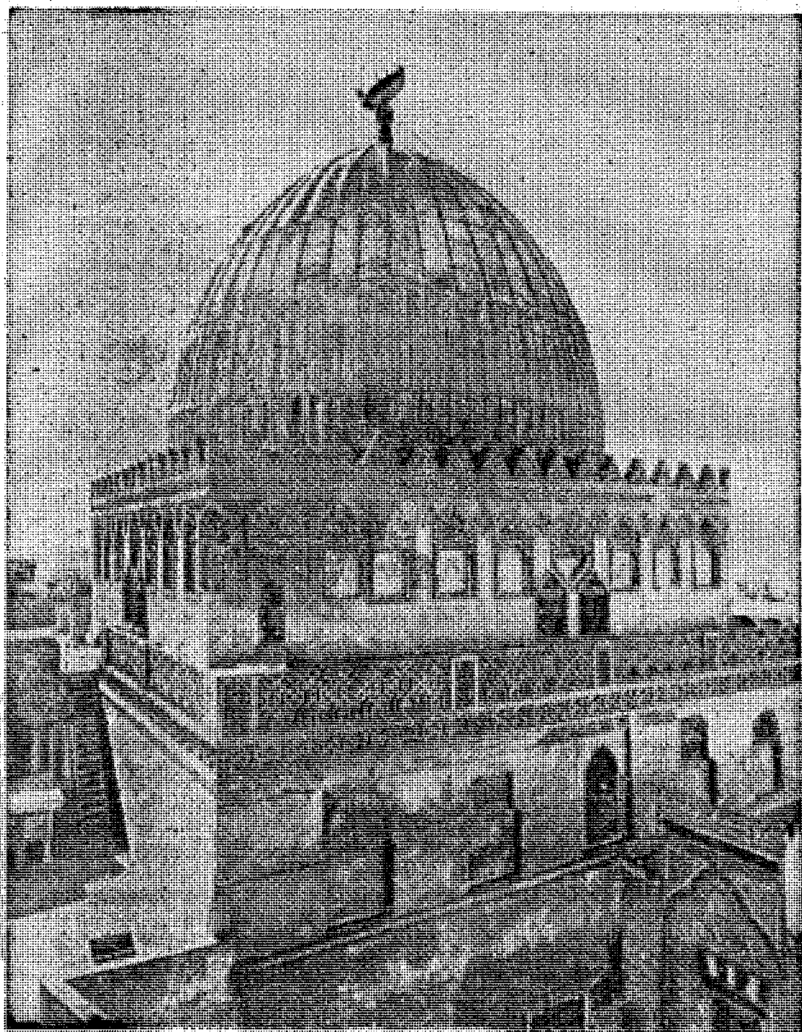
---

(١) الضريح يدل على موضـع دفن موتى المسلمين وكانت بعض الأضرحة على شكل قاعدة مربعة لها باب في كل جانب وتعلوها قبـة كما في اضرحة السبع بنات وقد نقـل المسلمون ذلك الطراز عن قبة الصليبية في سامرا ، اما المشـهد فشاع استخدامه عند أهـل الشيعة ويطلق على موضع دفن الشـهداء وقد يوضع نصب تذكاري واحيـانا يسمى المشهد بالمزار وكان أول مثال له في قبـة الصخرة التي شيدها عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ (د/كمال الدين سامح ـ العمارة الاسلامية في مصر ص ١٩) .

داخل مستطيل والثانية داخل عقد مفصص يعلو الجزء الذى به النافذة حيث توجد زخارف بديعــة تكون شرفات الطابق الأول وتتكون من شريطين العلوى عريض يشتمل على زخارف هندسية معقدة يليه شريط آخر أضيق منه يشتمل على زخارف هندسية بسيطة . أما الطابق الثانى فيرتفع بمقدار ١٦ر٦ مترا وبأركانه ضلع منكسر بهدف الوصول الى باب السلم وباب التفتيش على أن عرض هذا الطابق أقل من الأول حيث يتمثل الفرق بينهما فى ممر عرضه ٦٧ سم يدور حول هذا الطابق الذى يتميز بزخارفه المتنوعة وبه اربعة أبواب وبوسط كل ضلع من أضلاعه نافذة تتكون من حنيات ثلاث ــ اثنتان مفتوحتان والأخرى مغلقة كما توجــد حنية أخــرى يقع نصفها فى الضلع ونصفها الآخر فى الضلع المنكسر بمعنى أنه بكل ضلع ثلاثة شبابيك ونصف شباك تكون فى مجموعها سبع حنيــات واربعة عشر شباكا .

القبـــة :

انشأها السلطان الملك الكامل محمد بن العادل سنة ٦٠٨ هـ بعد دفن أمه هناك على النحو الذى بيناه وتعد قبة الشافعى أجمل قباب مصر الاسلامية على الاطلاق وتعد أول قبة خشبية أنشئت فى مصر ثم تلتها قبة الظاهر بيبرس ــ والسلطان حسن قبل تهدمها ــ والقبة مكسوة بالرصـــاص وجدرانها من الداخل مكسوة بالرخام وتنتهى قاعدتها المربعة من الخارج فى أعلاها بارتفاع قدره ٦٢ر١٠ أمتار بشرفة ارتفاعها ٨٠ر١ مترا ذات زخارف وكتابات وشرفات مسننة بديعـــة النقش وبأسفلها محاريب محارية ذات عقود مثلثة محلاة بزخارف حصية . ولا شـــك فى براعة الصـــانع فى محاولته تخفيف كتلة البناء الكبيرة التى سيحملها مربع القبة .



شكل (١٦) قبة الامام الشافعى من الخارج

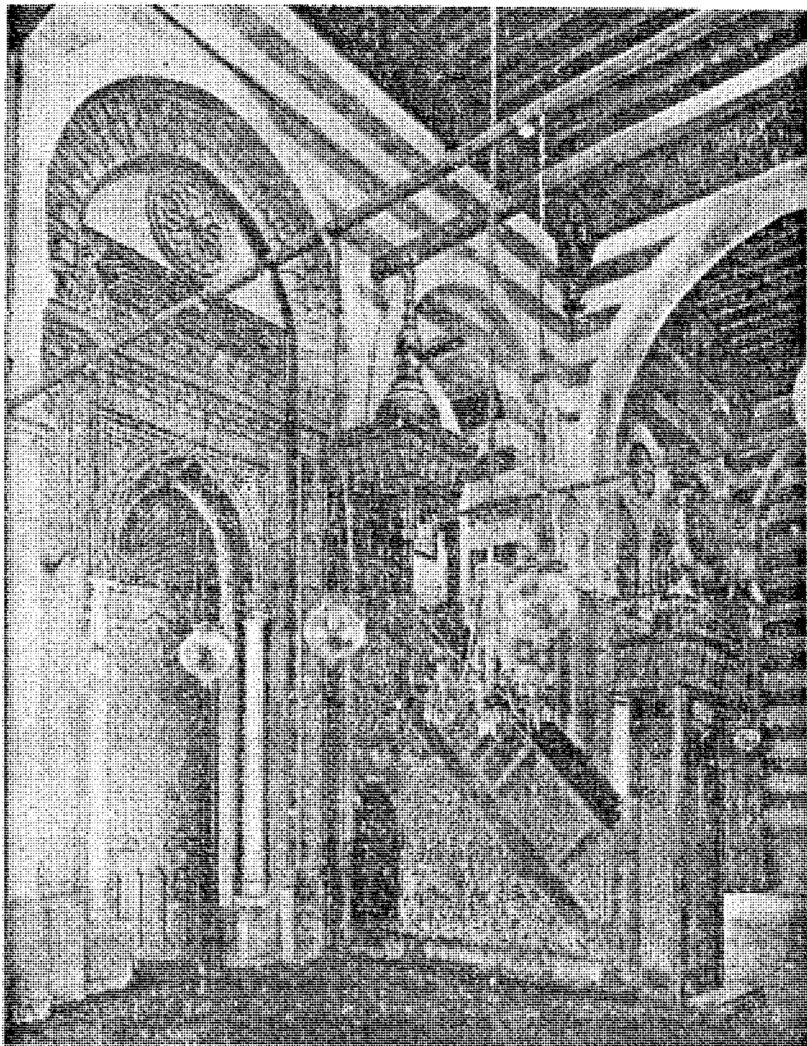
وفى الجدار الشرقى للقبة محاريب ثلاثة (١) ذات طوابق خشبية تحليها النقوش ومحراب رابع حديث لتصويب القبلة ، والقبة بيضاوية الشكل وتتكون من ضلوع تربطها أشرطة معدنية على اربعة مستويات يبلغ عددها فى الطابق الأول ٦٩ ضلعا وفى الثانى والثالث ٤٨ ضلعا وفى الرابع ٢٤ ضلعا وترتفع القبة عن سطح الأرض بمقدار ١٦٫٧٨ مترا ويتكون مقرنصها من ثلاث حطات مخوصة ومزخرفة حيث يلاحظ تعدد حطات المقرنص وقد كان حطتين زمن الفاطميين كما هو موجود فى قبة السيدة رقية ، والحطة السفلية فى قبة الشافعى تتكون من خمس مقرنصات تعلوها سبعة فى المنطقة الوسطى ثم ثلاثة فى المنطقة العليا ويوجد بمربع القبة افريز خشبى تحليه النقوش والزخارف البارزة كما يحيط به افريز آخر أسفل قاعدة المقرنص عليه بالخط الكوفى آيات قرآنية من سورة يس .

أما بالدائرة العاوية للقبة فيوجد نقش لآية الكرسى بالخط الكوفى الأندلسى كما زخرفت الحطة السفلية ببلاطات رخامية بارتفاع قامة الانسان والجدران يعلوها شريط من كتابات بالخط الكوفى المذهب بطلاء ماون فشريط آخر من الخشب عليه كتابات بالخط النسخ .

وقد دفن بقبة الشافعى من أسرة صلاح الدين الأيوبى زوجته الملكة شمس وابنه العزيز عثمان ، ولم يتمكن من تحديد مكان قبريهما حتى الآن ، والاحتمال فى دفنهما بالمقبرة التى تحيطها المقصورة المطعمة بالصدف ، وكانت حول قبر الشافعى وتحمل عبارة (عمل عمر) لتدل على اسم صانع المقصورة .

---

(١) انتشرت ظاهرة جديدة وهى وجود ثلاثة محاريب بالأضرحة المعلقة ، وقال البعض انها ثلاثة لتدل على اباحة المذاهب الثلاثة . والرأى عندنا انه قصد بها الزخرفة .



شكل (١٧) منبر ومحراب الامام الشافعى

العشارى أعلى القبة :

قال البوصيرى صاحب البردة المتوفى ٦٩٥ هـ :

لقبة قبر الشـــافعى سفينة رست فى بناء محكم فوق جلمود
وقد غاض طوفان العلوم لقبره استوى الفلك من ذاك الضريح على اجود

وقال آخر :

مررت على قبـــة الشـــافعى فعاين طرفى عليها العشـــارى
فقلت لصحبى لا تعجبـــــوا فان المراكب فـــوق البحـــار

والعشارى مركب صــغير منه ما يخص الملوك أو كبار رجال الدولة وتتنوع أحجامه وألوانه وكان أول العهد بظهوره على القباب والمنارات هو العشارى الذى وجد على هلال منارة جامع أحمد بن طولون بالقطائع قبل سقوطها عام ١١٠٥ هـ كما وجدت على الأضرحة التى انشئت على نهر النيـــل (١) وقد صنعت من الخشب أو الورق وعلقت على المقاصير ، ولم يزل حتى الآن مركب صغير يعلو هلال القبة القبلية لخانقاه فرج بن برقوق فى الصحراء ويصعب الوصول اليــه .

أما عشارى قبة الامام الشافعى فحجمه صغير مثبت بهــلال القبة ومربوط به سلسلة حديدية قيل أنها تستخدم فى الصعود الى العشارى لوضع المــاء والحبوب للطيور وهو قول من الصعب تصديقه ، وهذا المركب قد يكون معدا لوضع الحبوب فيه أو يكون رمزا لعلم الشافعى الوافر كالبحر ، وفى روايات أخرى ان المركب أعد لوضع الحبوب به وأنه يسع قدر نصف اردب من الحبوب لتأكل منها الطيور (٢) .

---

(١) حسن عبد الوهاب ـ تاريخ المساجد الاثرية (الجزء الأول) .

(٢) على باشا مبارك ـ الخطط الجديدة (الجزء الخامس ص ٢٥) .

تابوت الشافعى :

بقى من عمارة صلاح الدين الأيوبى الأولى لقبر الشافعى تابوت خشبى جيد الخامة والصنع مستطيل الشكل له غطاء هرمى كما انه محلى بالنقوش والكتابات بالخطين الكوفى والنسخى وفى كل أوجهه أطباق ذات حجم كبير محلاة بنقوش وزخارف الأرابسك (١) تتخللها أشكال نجمية مسدسة ومن أهم الكتابات التى يتحلى بها التابوت نص مكتوب بخط النسخ ويقع فى نهاية الجزء الهرمى الذى يعلو التابوت ويتضمن اسم الصانع وتاريخ الصنع ويتألف من سطرين ونصه :

سطر ١ — عمل هذا الضريح المبارك للامام الفقيه ابى عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن الهاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف رحمه الله صنعت (كذا) عبيد النجار .

سطر ٢ — المعروف بابن معالى (٢) عمله فى شهور سنة أربع وسبعين وخمسمائة رحمه الله ورحم من ترحم عليه ودعى له بالرحمة ولجميع من عمل معه من النجارين والنقاشين ولجميع المؤمنين .

ومن أهم كتابات التابوت النص المكتوب بالخط الكوفى والذى يوجد على حشوة كبيرة فى مقدمة التابوت ويتألف من أربعة أسطر هى :

سطر ١ — بسم الله الرحمن الرحيم وأن ليس للانسان الا ما سعا (كذا) وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الأوفى .

---

(١) زخارف الارابسك أو الزخارف العربية هى لنباتات دقيقة وغصون أوراق مفرعة فى مجموعات متماثلة .

(٢) يرى المرحوم حسن عبد الوهاب ان ابن معالى صانع تابوت الشافعى ينحدر من أسرة متخصصة فى صنعة النجارة وانه رأى اسم احد افراد هذه الأسرة على منبر نور الدين زنكى الشهير فى المسجد الاقصى ونصه (صنعة سلمان بن معالى » تاريخ المساجد الاثرية الجزء الاول ص ١٠١) .

سطر ٢ ــ هذا قبر الفقيه الامام أبى عبد الله محمد بن ادريس ابن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد .

سطر ٣ ــ ابن عبد يزيد بن الهاشم بن المطلب بن عبد مناف ولد رضى الله عنه فى سنة خمسين ومائة وعاش الى .

سطر ٤ ــ سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن من يومه بعد العصر .

وتشتمل النصوص السابقة على العديد من الأخطاء شأنها شأن سائر النصوص الأثرية التى وجدت على التحف وشواهد القبور ، وبعضها يحدث فى الأصول النحوية للغة أو فى رسم الكلمات لخطأ الصناع فى نقل النصوص المعطاة لهم أو لضعفهم اللغوى .

وأورد ابن عساكر فى تاريخ دمشق نص أول لوحة تاريخية كانت على قبر الشافعى ونصها : (هــذا قبر محمد بن ادريس الشافعى وهو يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وان الساعة آتيــة لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور وأن صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمر وهو من المسلمين عليه يحيى وعليه مات وعليه يبعث حيا ان شاء الله وتوفى أبو عبــد الله ليوم بقى من رجب سنة أربع ومائتين) .

وفى مواجهة القبر عمود رخامى عليه بخط النسخ ١٦ سطرا نصها (بسم الله الرحمن الرحيم وأن ليس للانسان الا ما سعا وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى هذا قبر السيد الامام أبى عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عتمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولد رضى الله عنه سنة خمسين ومائة فعاش الى سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن من يومه بعد العصر رضى الله عنه وأرضاه آمين) . وعلى الوجه الآخر لنفس الشاهد كتابة اخرى بالخط

الكوفى وتعد اقدم النصوص التى ما زالت بالمشهد ونصها (بسم الله الرحمن الرحيم وأن ليس للانسان الا ما سعا وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى هذا قبر الفقيه أبى عبد الله محمد بن ادريس ابن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ولد رضى الله عنه سنة خمسين ومائة وعاش الى سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة فى آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن من يومه بعد العصر رضى الله عنه) .

اعمال التجديدات لضريح وقبة الامام الشافعى :

امر السلطان قايتباى باصلاح قبة الشافعى سنة ٥٨٨ هـ وقد اثبت ذلك فى وزرة القبة وعهد بذلك الأمر الى الخواجا شمس الدين بن الزمن ثم جددها الملك قنصوة الغورى وتلتها عمارة على بك الكبير التى أثبتت على مربع القبة وقد وصف الجبرتى هذه العمارة بقوله (وقد جدد القبة الأمير على بك الملقب بجن على ويلقب أيضا ببلوط قبان المتوفى سنة ست ومائة والف فكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبى فى القرن الخامس ، وكان قد تشعث وصدىء لطول الزمان فجدد ما تحته من خشبها البالى بغيره من الخشب النقى الحديث ثم جعلوا عليه صفائح من الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة وهو عمل كبير ، وجددت نقوش القبة من الداخل بالذهب واللازورد والأصباغ وكتب بافريزها تاريخا منظوما بخط صالح أفندى وقد أراد الناس نقله رضى الله عنه الى بغداد ، فلما حضروا عبقت رائحة عظيمة عطلت حواسهم فتركوه) .

وعلى باب القبة مصراعان من الخشب المجمع دقت حشواتهما بالأويمة الجميلة الصنعة على النمط الموجود فى تابوت أم الملك الكامل .

مشهد يحيى الشبيهى بقرافة الامام الشافعى

هو سيدى يحيى بن القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم . يكاد يجمع كتاب السير والتراجم على انه لقب بالشبيه لشبهه بجده الرسول عليه السلام ، ومنهم ابن القرشى الذى أورد فى تاريخه أن سيدى يحيى كان شبيها برسول الله . اما النسابة الأسعد بن النحوى فقد ذكر انه كان بين كتفيه شامة بها شبه بخاتم النبوة ، وكان اذا دخل الحمام فنظر الناس الشامه بين كتفيه فيكثرون الصلاة والسلام على رسول الله .

وحين سمع احمد بن طولون أمير مصر فى ذلك الحين بشبه سيدى يحيى الشديد بالرسول عليه السلام ، قرر أن يكون لمصر شرف استضافته ، وأرسل اليه فى الحجاز وفدا محملا بالهدايا القيمة ، قابل هنالك سيدى يحيى وأسرته ونقلوا اليهم رغبة ابن طولون ، ورجوهم بتشريفهم بمصر ، فاستجابوا شاكرين لهذه الدعوة ولبوها . وكان يوم قدومهم يوما مشهودا ، اذ أحسن اهل مصر لقياهم والترحيب بهم ، كما أحسنوا ضيافتهم حكاما وافرادا .

وكان ممن حضروا صحبة سيدى يحيى الشريف القاسم الطيب ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الامام الحسين وكان من أكبار العلماء والمتفقهين فى أمور الدين الحنيف ، كما حضر ايضا معهم أخو سيدى يحيى عبد الله القاسم ويوجد قبره بالمشهد فى وسط القبة ، وعند رأسه لوح رخامى مدون به نسبه وتاريخ وفاته ، وكان عبد الله يتلوا أخاه فى درجة تعبده وطهره وتفقهه فى أمور دينه وتقواه وهدايته ، وذكر ابن الزيات أن قبره محل عظيم معروف بإجابة الدعاء .

ومن المدفونين بالقبة أيضا السيدة أم الذرية من الاشراف وهى زوجة القاسم الطيب ، وكانت رحمهـا الله زاهدة عابدة ، عدها القرشى من الاشراف فى طبقاته ، وقبرها بجوار قبر ولدها .

ومن أهل البيت المدفونين بالمشهد ايضا يحيى بن حسن الأنور ابن زيد الابلج بن الحسن بن على بن أبى طالب ، أخو السـيدة نفيسة ، وليس لها سواه من اخوتها البـالغ عـددهم تسعة ذكور وبنت تدعى أم كلثوم ، وأمهم أم سلمة وأسمها زينب ابنة الحسن عمة ابن الحسن بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين . قال أبو المذكر : « دخلت قبـر يحيى بن حسن الأنور ولم احسن الادب فسمعت من ورائى قائلا يقول : قل (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

وصف المشهد :

يقع على بعـد حوالى ٢٥٠ م الى الجنـوب من ضريح الامام الشافعى ، ويشتمل على حجرة مربعة الشـكل يبلغ طول ضلعها ٥ر٧م تقريبا تعلوها قبة ، كما تحيط بها ردهة تقع فى ضلعها الشرقى ثلاثة محاريب أكبرها الأوسط منها ، اذ يبلغ اتساعه ٥ م وعمقه ٧٥ر٢ م ، ويشبه الى حد كبير محراب السيدة رقية .

ومساحة المشهد الخارجية مستطيلة الشكل يبلغ طولها من ناحية جدار القبلة ٢٦ م ، ومن الناحيتين الشرقية والغربية ١٣ م . ويفتح الضلع الشمالى للقبة على هذا الصحن المستطيل ، والذى يشتمل على قسمين :

اولهما :

يتوسطه الضريح وتعلوه القبة ، ويقع بيت الصـلاة فى جانبه القبلى وهو على شكل قاعة تفتح فيها المحاريب الثلاثة ، ويتصل الضريح فى مواجهة المحراب الاكبر منهما بواسطة عقد منفرج يكتنفه

من جانبيه عمودان . وعلى جانبى الضريح من اليمين واليسار ممر مكشوف يتصل بباب يعلوه عقد منفرج يتكىء على ستة أعمدة (اثنتين عن يمينه وأربعة عن يساره) .

ثانيهما :

يشتمل على قاعة تواجه بيت الصلاة ، وصحن يواجه الضريح وما يحيط به ، ويفصل بين الصحن والقاعة جدار به محرابان من النوع المجوف وذلك فى طرفى الضلع الشرقى . ويستعمل هذا الصحن المكشوف لاقامة شعائر الصلاة به ، وتقسمه صفين من البوائك الى ثلاثة اروقة ، حيث تشتمل كل بائكة على ثلاثة عقود ذات زاوية ترتكز على عمودين ، أما الجزء الأوسط من الصحن فتوجد به فتحة توصل الى ردهة على جانبيها من الشمال والجنوب غرفتان .

وقبة المشهد مضلعة مثل قبة السيدة عاتكة ، وفيها ترتفع منطقة الانتقال من المربع الى الدائرة التى تحمل القبة بمقدار ٥ر٣م . وبكل ركن من أركانها الأربعة مثلث قوامه قطعتين من المقرنصات بكل منها اربع طاقات . وبين هذه المثلثات توجد نوافذ من ثلاث فتحات . فالقبة تتكون من طابقين احدهما يشتمل على المقرنصات، والآخر كروى الشكل ، ويرتكزان على القاعدة المربعة . ولعل الاختلاف بين قبتى عاتكة والشبيه ينحصر فى شكل النوافذ التى تقع بين المقرنصات فهى فى قبة الشبيه تتكون من ثلاثة عقود منفرجة يعلوها اثنتان .

ويضم المشهد سبعة توابيت خمسة منها كبيرة والاخريين صغيرين ، ولا تحمل جميعها شواهد قبور لأصحابها ، واول هذه التوابيت الذى فيه شاهد قبر باسم يحيى بن القاسم الطيب بن العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وذكر تاريخ الوفاة فى

٢٨ رجب سنة ٢٦٣ (ابريل ٨٧٧ م) . وثانى هذه التوابيت يحمل اسم أخيه عبد الله بن قاسم ، وتاريخ الوفاة يوم الاثنين ١٢ رمضان سنة ٢٦١ هـ (يونيه ٨٧٥ م) . أما التابوت الثالث الذى به شاهد قبر قد نقش على شاهده اسم زوجة القاسم السيدة أم الدرية ، رغم عدم وجود ما يدل على تاريخ الوفاة .

ويتكون ضريح القاسم الطيب من حجرة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها من الداخل ٣ر٥ م ومن الخارج ٥م تقريبا ، تعلوها قبة محمولة على مثمن بكل ضلع من اضلاعه مثمن ، وتقوم الرقبة المثمنة على منطقة انتقال تنتهى بشريط من كتابة نسخية ، كما توجد فتحة معقودة تتوسط الضلعين الشمالى الغربى والجنوبى .

ومن الملاحظ أن أسلوب الخط الذى استخدم فى كتابة شواهد القبور هو الخط الكوفى البسيط ويؤرخ للقرن الثالث الهجرى بنفس الشبه مع الخط المستخدم فى لوحة تأسيس الجامع الطولونى والمؤرخه ٢٦٥ هـ . وذلك على الرغم من أن عمارة المشهد ترجع الى العصر الفاطمى فى القرن السادس الهجرى .

ولا يعرف لبناء ذلك المشهد تاريخ محدد ، وان كان فان برشم يحدد تاريخ البناء بسنة ٥٢٧ هـ (١١٣٣م) واعتمد فى هذا التحديد على شكل مقرنصات منطقة الانتقال ، والنوافذ التى تتكون من ثلاثة فتحات كما فى قبة السيدة رقية .

ولكن الاستاذ كريسويل يؤرخ تشييد البناء بمنتصف القرن ١٢م ، أى بعد التاريخ الذى حدده برشم بحوالى ربع قرن ، ويدلل على رأيه بأن الزخارف التى على المحاريب الجصية بالمشهد ذات اسلوب متطور عما هو موجود بضريح السيدة رقية ، ولا تصل فى نفس الوقت الى الدرجة التى وجدت بها زخارف جامع الصالح طلائع الذى شيد فى عام ٥٥٥ هـ (١٣٦٠ م) ومن الزيادات التى تمت بالمشهد اضافة بائكتان لصحن الضريح ، وذلك فى القرن ١٩م حسين دفن بالمشهد اسماعيل باشا قاسم .

مشهد طباطبا بقرافة الإمام الشافعى

لقد غرت الدنيا أناسا فأصبحوا
سكارى بلا عقل وما شربوا خمرا
وقد خدعتهم من زخارفها بما
غدوا منه فى كرب وقد كابدوا ضرا

(أحمد بن طباطبا)

ينسب هذا المشهد الى ابراهيم بن اسماعيل الديباج بن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم . وسمى طباطبا بفتح الطاءين لرتة كانت فى لسانه . وقد أكد المؤرخون صحة النسب ، الا ان بعضهم ذكر أن صاحب المشهد لم يدفن بمصر ، ومن بينهم ابن خلكان فى وفيات الأعيان فأكد صحة النسب ثم أضاف أنه لم تعرف لطباطبا وفاة بمصر ، كما ذكر أنه لقب بطباطبا لأنه كان يلثغ فيجعل القاف طاء ، طلب يوما ثيابه فقال له غلامه : اجيء بدراعه ، فقال : لا طباطبا يريد قباقبا ، فبقى له لقبا اشتهر به .

ذكر ابو بكر الخطيب : « لما قدم ابراهيم بغداد فى خلافة الرشيد سمع به فبعث اليه فظن أن احدا قد وشى به ، فدخل على الرشيد فقام اليه وأجلسه الى جانبه وقال له : ما حاجتك يا أبا اسحق ؟ فقال : ظلمنى صاحب الطبا يعنى صاحب القبا ، فكان بقلب القاف طاء » .

اورد بن الزيات فى الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة أن اساس التسمية كانت رته فى لسانه ، وأن بمشهده قبر نقش عليه نسبه ـ ابراهيم طباطبا بن سماعيل الديباج بن ابراهيم القمر بن الحسن

المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبى طالب رضى الله عنهم . وذكر أيضا أن بالتربة من أبنائه لصلبه الحسن الأكبر والحسن الأصغر وعبد الله وأحمد والببغاء الكبير والببغاء الصغير والأزرق الكبير والأزرق الصغير . ومن أولاد الحسن الكبير دفن بالتربة على بن الحسن بن طباطبا ، وكانت منزلته عظيمة لدى أمراء مصر ، وبلغ ما بعد وفاته ثلاثة قناطير ذهب ونصف وسبعة قناطير فضة ، ومائة عبد ، وكان قد أوصى بثلث ماله صدقه ، وقد توفى سنة ٣٥٥ هـ . وذكر أيضا أن من أبنائه المدفونين بالمشهد الامام احمد الذى تصدق بكل ما ورثه عن ابيه حتى لم يبق له ما ينفق منه ، ولما بلغ ذلك بن طولون منحه قرية فى مصر وزادت روابط الصداقة بينهما ، فقد كان يتشفع لدى ابن طولون فى قضاء حوائج الناس ، ويضاف الى ورعه وتقواه أنه كان شاعرا ، وصفه ابن زولاق بأنه أكثر أهل البيت ممن أتوا مصر شفقة ورأفة وسعيا فى حوائج الناس .

وفى تاريخ بن خلكان أن القاسم الرس (١) بن طباطبا وفد مصر أول القرن الثالث الهجرى ، وجلس بالجامع العتيق ، وتجمع الناس من حوله يحدثهم بالقرآن والحديث ، فقد كان عالم زمانه ، وأبى أن يأخذ منهم مالا مما زادهم حبا وتعلقا به ، وكانت دعوته مستجابة ومن أقواله : « من أراد البقاء ولا بقاء فيلتحف الرداء ، ولا يكاثر الغذاء ، وليقل من مجامعة النساء » . وقيل بعودته الى مسقط رأسه حيث توفى عام ٣٢٥ هـ .

وذكر بن الزيات أن بقبة المشهد أحمد بن طباطبا ، وقال عنه أنه كان عظيما جليل القدر ، متصدق على المحتاجين ، كما كان شاعرا عظيما تعددت دواوينه ، ومن أقواله : أشد الخجلة خجلة السؤال وأشد الندم الندم على المعاصى » . ومن النوادر التى تنسب

---

(١) الرس التى ينسب اليها القاسم احدى قرى المدينة ، نشأ بها ونسب اليها ، وتقرأ بفتح الراء والسين المهملة المشددة ، ويرجع بن السمعانى ذلك النسب الى احد بطون السادة العلوية .

اليه أن أتاه يوما رجل يسأله مالا فقال له : ليس عندى مالا ، ولكن يمكن أن تأخذنى وتبيعنى ، فأخذه السائل الى الوزير الماردانى ليشتريه ، فقال له الوزير : وانى أجد مالا يكون ثمنك وأمر للرجل بألف دينار .

وذكر بن الزيات أيضا أن عبد الله بن أحمد بن طباطبا مدفون مع أباه بالقبه ، ولقد وصفه بن النحوى فى كتابه الرد على أولى الرفض بالشرف والعفه والفصاحة ، ولقد كان غنيا يمتلك الضياع الواسعة ، متصدقا على الفقراء والمحتاجين والأرامل والمنقطعين ، كما كان صديقا حميما لكافور الاخشيدى ، ثم أورد بن النحوى قصة طريفة توضح علاقتهما تلك تتلخص فى أنه كان فى دهليز دار عبد الله رجلان يكسران اللوز والفستق لعمل الحلوى للفقراء ، وكان عبد الله يرسل الى كافور فى كل يوم رغيفين وجامتين من الحلوى ، فقال بعض المقربين لكافور ان هذا ينزل من قدرك . فقال له : يا شريف لا ترسل الى شيئا بعد هذا اليوم ، فتركه ، فلم يكد يمض بضعة أيام حتى احس كافور بالضعف والخور يعتريه ، واخذت صحته تزداد سوءا يوما بعد يوم ، فأرسل الى عبد الله يطلب منه ان يرسل ما كان يرسله اليه من قبل ، فرد عليه عبد الله بقوله : أن ما كنت أرسل اليك ما كنت أرسله استخفافا بك ، وانما لى والدة صالحة تعجنه بيدها وتقرأ عليه القرآن ، قال : صدقت ، واصبح كافور لا يأكل بعد ذلك الا منه .

وحين عدد العبدلى النسابه المشاهد التى يستجاب فيها الدعاء قال : فى سنة نيف وأربعمائة نام رجل فرآى الرسول عليه السلام فى نومه فقال له : يا رسول الله ، انى مشتاق لزيارتك وليس لى مال يوصلنى اليك ، فقال له الرسول الكريم : زر عبد الله احمد بن طباطبا تكن كمن زارنى . وقد توفى رضوان الله عليه بمصر سنة ٣٤٨ هـ حيث دفن بالقبة مع والده أحمد . وفى طبقات الشعرانى أنه دفن بالقرب من الامام الليثى . كما أن بالقبه أيضا قبر الشريف طباطبا الاصفر أخو عبد الله بن أحمد بن طباطبا .

وعند باب قبة المشهد يوجد قبر السيدة خديجة بنت محمد ابن إسماعيل بن القاسم الرس بن ابراهيم طباطبا وزوجة عبد الله ابن أحمد الذى سبق أن أشرنا اليه . وكانت زاهدة عابدة قال عنها زوجها : « كانت تسابقنى الى صلاة الليل ، وما رأيتها ضحكت قط » . وتوفيت رضى الله عنها سنة ٣٢٠ هـ .

ومن نسل طباطبا ايضا أبو القاسم احمد بن محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم طباطبا ، وكان من أعيان القوم ، قرض الشعر فى الزهد والغزل ، وتوفى رحمة الله عليه سنة ٣٤٥ هـ .

كما يضم المشهد عند حائطه الغربى قبر أبى الحسن على بن الحسن بن على بن محمد بن محمد بن على بن الحسن بن طباطبا ، الذى كان يلقب بصاحب الحورية ، ويحدثنا ابن الزيات فى الكواكب السيارة عن سر هذه التسمية فيقول : « كان أبو الحسن فى أول عمره ينام الليل ، فنام ليله فرأى الجنة وما فيها ، فأعجبته حوراء فقال لها ولمن أنت ، فقالت : لمن يؤدى ثمنى ، فقال لها وما ثمنك ، فقالت : مائة ختمة ، فقرأها ولما فرغ منها رآها فى المنام فقال لها ، قد فعلت ما أمرتنى به فقالت له : يا شريف أنت ليلة غد عندنا ، فأصبح الشريف وجهز نفسه ، ودعى الناس لجنازته ، واعلمهم بموته فمات من يومه ذلك » .

وفى رواية أخرى أن الحورية أخبرته حين سألها ثمنها ، أن لا ينام الليل ففعل ، ورآها مرة أخرى وقالت له : اياك والنوم لئلا ينفسخ العقد .

ومما يضمه المشهد أيضا قبر أبى محمد الحسن بن على بن محمد ابن أحمد بن على بن الحسن بن طباطبا ، وكان زاهدا ورعا . نقل الشعرانى فى طبقاته عنه قوله : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله من أقرب الناس من أهلك اليك قال : من ترك الدنيا وراء ظهره ، وجعل الآخرة نصب عينيه ولقينى وكتابه مطهر من الذنوب » . وقد توفى رضى الله عنه فى سنة ٣٤٥ هـ .

وممن دفنوا بالقبة أبو القاسم يحيى بن على بن محمد بن جعفر ابن على بن الحسن بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم ، وكان رئيسا لمجلس القوم ، ويعد من كبار العلويين .

بالاضافة لما تقدم يضم المشهد رفات العديد من نسل طباطبا ، وأهل الصلاح والتقوى مثل يسن بن الحسن وسليمان بن على بن عبد الله المبتلى المتوفى عام ٦٧٦ هـ . وهو من خدام المشهد . وكذلك سهل بن أحمد البرمكى المستوزر للدولة الطولونية ، وكان يفعل الخير ويتصدق على المحتاجين ، ويحب آل بيت الرسول الكريم ، وقد انشأ تربته التى تنسب اليه بجوار الاشراف حبا ورغبه فى التقرب منهم ، وحين حضرته الوفاه طلب من أهله الا يبكوه وأن يدفنوه بالتربه التى مع الاشراف ، وانشد يقول :

اذا ما بكى الباكون حولى تحرقا
وقالوا جميعا مات سهل بن احمد
فقلت لهم لا تندبونى فاننى
مع السادة الأطهار آل محمد

وصف المشهد :

يقع مشهد طباطبا غرب مسجد الامام الشافعى بحوالى نصف كيلو ، وعلى مسافة ٢٣٠ مترا شمال عين الصيرة ، وهو مستطيل غير منتظم الشكل تبلغ مساحته ٣٠ × ٢٠ مترا ، وتوجد فى جنوبه قبتان . ويقع المدخل فى الشمال الشرقى من سور المشهد ، والى اليسار منه توجد حجرة ذات شكل مربع حديثه تعلوها قبة وبها بئر لتغذية المشهد بالمياه وبجدار تلك الغرفة يقع مستطيل مقسم الى

ست حجرات غير منتظمة الشكل من الحجم الصغير ، الغرف المربعه الشكل منها مغطاة بالقباب المتقاطعة ، اما الحجرات المستطيلة فمغطاة بالاقباء . وتحتوى الغرف الست على مقابر نسل طباطبا وتتصل بمكان الصلاة بواسطة باب يقع فى الجهة الغربية ، ومكان الصلاة هذا يتكون من مربع بنى من الآجر يبلغ طوله ١٨ مترا ، ويقع المحراب فى جداره الشرقى . ويقسم ذلك المربع الى ثلاثة اروقة بواسطة صفان من الدعائم المتعامدة . اما المشهد فتغطيه تسع قباب بكل رواق ثلاثة ، ويرجح الاستاذ كريسويل أن هذا المشهد قد بنى سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٣ م) تاريخ وفاة الشريف طباطبا الاصغر .

مشهد أم كلثوم بقرافة الإمام الشافعي

السيدة أم كلثوم هي كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ـ ذكر المقريزي في خططه أن قبرها بمقابر قريش بمصر بجوار الخندق ، وانها أم جعفر بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وكانت من الزاهدات العابدات .

وحين ترجم المناوى في طبقاته لجعفر الصادق ذكر أن من بين أبنائه ولد يدعى القاسم وأن للقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهما المدفونان بالقرافة بالقرب من الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه اليه .

وذكر بعض النسابين انه ليس في أولاد جعفر الصادق من يسمى بالقاسم ، وأن أم كلثوم بنت جعفر لصلبه كما ذكر ابن الصباغ أن أولاد جعفر ستة ذكور وبنت واحدة ، وهم اسماعيل ومحمد وعلي وعبد الله واسحق وموسى الكاظم وان البنت اسمها فروة . واتفق الشهرستاني في الملل مع ما ذكره ابن الصباغ . وعلى ذلك يكون من الثابت أن القاسم والد أم كلثوم ليس ابن جعفر الصادق بل ابن محمد بن جعفر الصادق كما ذكر المقريزي .

وصف المشهد :

يقع مشهد السيدة أم كلثوم بالقرب من ضريح الامام الشافعي بشارع سيدي الشبيه ويعرف بزاوية السيدة أم كلثوم ، وهو الى

الجنــوب من ضريح أبو منصــور اسماعيل الثعلبى (١) ، والضريح عبــارة عن بناء يتكون من سقف محمول على أربعة أعمــدة ، وبه محراب قديم من الجص داخل حائط من الطوب ، وبهــذا الحائط أيضا محرابان آخران الي اليمين واليسار من المحراب الرئيسى ، وشكله نصف دائرى عرضه ٦٩ سم وعمقه ٥٠ سم ويرتفع بمقدار ٢٫٣٢ م ، ويكتنفه عمودان صغيران ، كما تحيطه الزخارف الجصية المميزة ، ومن جولها اطار على شكل عقد مدبب قوام زخرفته سلسلة من الفصوص الجصية النادرة . كما يوجد بأسفل حنية المحراب شريط من الزخارف الجصية عرضه ٦٧ سم . ومن زخارف المحراب يمكن ارجاعه الى بداية القرن السادس الهجرى .

---

(١) الشريف أبو منصور اسماعيل بن حصن الدين الثعالبى الذى اثره الذى يعرف باسـم مدرسـة السادات الثعالبة والتى شيدت سنة ٦١٣ هـ ، وينسب للسادات وهم من أصل حجازى وفـدوا مصر أواخـر عصر الفواطم وتحالفوا مع صــلاح الدين الأيوبى ، وتولى معظمهم امارة الحج زمن الأيوبيين ، وكانوا يملكون بركة الحبش فى البساتين . وينتمى نسبهم الى جعفر بن ابى طالب .

مسجد الرفـــــــاعى بالقاهرة

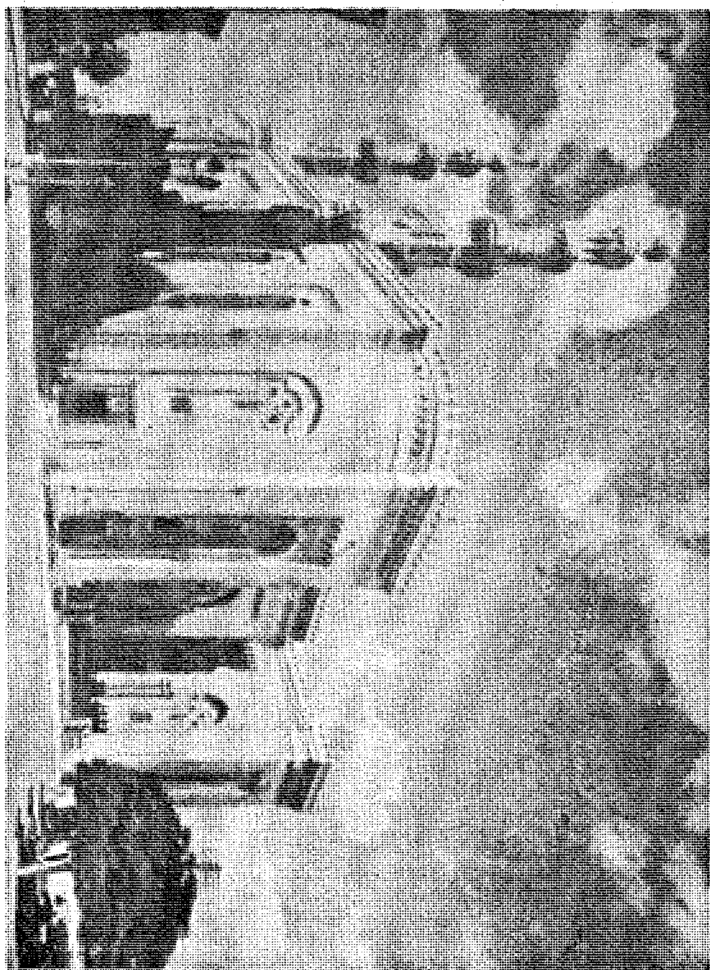
(سلكت كل طريق فمـا رأيت أقرب ولا أسـهل ولا أصلح من الذلة والانكسار لعظيم أمر الله تعـالى والشفقة على خلقه) .

((الرفاعى))

الامام احمـد الرفاعى هو بن صـالح احمـد محيى الدين بن العباس المعروف بالرفاعى الكبير أبى العلمين ، لأن نسبه من ناحية أبيه ينتهى الى الامام الحسين ، ومن ناحية أمه الى الامام الحسن رضى الله عنهما .

لقب بالرفاعى نسبة الى جده السابع رفاعة ، واسمه الحسن ، وكان قد رحل من مكة الى المغرب وقت اضطهاد العلويين ، وظلت أسرته بالمغرب الى أن رجع الى المشرق أحد أحفاده ويسمى يحيى حاجا الى بيت الله الحرام ، ثم رحل الى البصرة ليقيم بها ويتزوج من أهلها ، فأنجب أبو الحسن الرفاعى والامام أحمد الرفاعى الكبير رضى الله عنهما .

سيدى أحمـد الرفاعى أحـد السادات الأشراف الأربعة وهم صاحب الترجمة ، وعبد القادر الجيلى ، وأحمد البدوى ، وابراهيم الدســوقى ، وجميعهم ينتهى نسبهم الى سـيد الشهداء الامام الحسين ، عدا سيدى عبد القادر فينتهى نسبه الى الامام الحسن السبط . وكانت ولادة سيدى أحمد الرفاعى فى أم عبيدة (جزيرة تقع بولاية البصرة بالعراق) ، زمن الخليفة المستظهر بالله العباسى ، وفى بيت خاله الشيخ منصور البطائحى وكان من أهل الهدى والدين وذلك لوفاة والده وهو حمل فى بطن امه . وكانت ولادته خير بشرى



شكل (١٨) واجهة مسجد الرفاعي بالقاهرة

لامه التي كانت فى حزن شديد لفقدها بعلها . ورأى أهل الصلاح أن ولادته تحقيق للرؤيا التى بشر بها الصالحين(١) ومنهم خاله منصور الذى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام فى نومة يبشره بأن الله سبحانه وتعالى سيمنح أخته ولد يسمى أحمد الرفاعى سيكون رأس الأولياء ، وطلب منه أن يذهب به بعد أن يكبر الى الشيخ علي القارىء الواسطى ليربيه وأن لا يغفل عن ذلك . ومن هؤلاء الصالحين أيضا الشيخ أحمد بن خميس ، اذ كان جالسا مع صحابته ثم نهض فجاة وهلل قائلا انه رأى الساعة مولد عزيز على ربه في آم عبيدة ، ثم توجه فى جمع رفاقه وشاهدوا الرضيع .

ذكر المناوى فى الطبقة السادسة من طبقاته : « سيدى أحمد ابن يحيى بن حازم بن رفاعة احد الأولياء المشايخ المشاهير أبو العباس الرفاعى المغربى شريف نما روض شرفه ، وكان سيدا جليلا صوفيا عظيما نبيلا قدم أبوه العراق وسكن أم عبيدة بأرض البطائح ، وولد له صاحب الترجمة سنة خمسمائة(٢) ، ونشأ بها وتفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وقرأ كتاب التنبيه ثم تصوف وجاهد نفسه حتى قصرها واعرض عما فى أيدى الناس واقبل على اشتغاله بالحقيقة ومهر واشتهر وانتهت اليه الرياسة فى علوم القوم وكشف مشكلات منازلاتها وتخرج به خلق كثير واحسنوا به الاعتقاد » .

حفظ الرفاعى القرآن وهو صغير وكون معالم طريقته بتفقهه على أيدى خاله منصور البطائحي والشيخ على الواسطى والامام الخرنوبى . وكانت له حرفة يرتزق منها . وحين مرض خاله وكان امام متصوفة عصره بشر مريديه بخلافة الرفاعى فى زعامتهم وفق ما أتته رؤية الرسول الكريم حين بشره بمولد الرفاعى .. ولم تجد

---

(١) ابى بكر العدنى : النجم الساعى .

(٢) ذكر بعض المؤرخين أن ولادته رضى الله عنه كانت سنة ٥١٢ هـ .

رغبة الشيخ البطـائحى استجابة كلية اذ تملم البعض ، وأوعزوا لزوجة الشيخ المريض بتزكية ابنها من الشيخ ليصبح خليفتهم بعد وفاة أبيــه ، ولكن الشـــيخ البطائحى أصر على موقفــه وقال : « تريدين لمحبوبك .. والحق يريد لمحبوبه ، قل اللهم مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء » . وتطور النقــاش والجدل فى هذا الموضوع وقرر الشيخ حسمه بعمل اختبار صوفى لكل من يرى فى نفسه انه أهل لزعامة الاتباع بما فيهم ابنه وابن أخته الرفاعى ، وأعطى كل منهم دجاجة وسكينا ، وطلب من كل منهم ذبح الدجاجة فى مكان خفى لا يراه أحد ، وبعد فترة رجع كل منهم يحمل ذبيحته الا الرفاعى فعاد يحمل السكين والدجاجة حية ، وسأله خاله عن سبب ذلك فأجابه : « يا سيدى شرطت على خلو المكان ، وأينما ذهبت وجدت الله حاضرا وناظرا » .. وهنـا كرر خاله قوله السابق : « تريدون لمحبوبكم والحق يريد لمحبوبه » .

وعلى فراش موت الشيخ البطائحى تجمــع من حوله أتبــاعه ومريدوه ، ومن أجل حسم موضوع الخلافة قال الشيخ شويصة وهو أحد المتصوفة : « لقد قلتم فأكثرتم وها أنا مخبركم ، لقــد درست جميع المواضع والمقامات فى الأرض فلم أر عكوف الطير ونزول الفوال الا على أم عبيــدة فعلمت أن الأمر قــد ســلم الى احمــد الرفاعى » . وقد أيد الشيخ هذا القول ثم مات فبايع الجميــع سيدى احمد الرفاعى خليفة عليهم ، ومن بينهم احمد بن خاله .. بعــدها بدأ الرفاعى فى لقــاء أتبــاعه وتنظيم طريقته ، فجعل لكل مجموعة من المريدين خليفة ولمجموعة الخلفاء خليفة لهم ، وليكون المريد شيخا يجب ان يبدأ من أول الطريق .

وعلى طريق التقرب من الله كانت اذابة النفس وانكار الذات فى حب الله والعمل بمــا أنزل فى اطار من المعــرفة الحقــة ــ وكانت الرفاعية كطريق تنقى وتطهر النفوس وتضىء الطريق نحو المعرفة الحقة وابراز هــذه الالهية فى اطار من التوحيد ويصف الرفاعى

طريقه فى عدة أقوال منها : طريقنا طريق تقى واخلاص ، فمن أدخل فى عمله الرياء والفجور فقد بعد عنا وخرج منا » ، « طريقى دين بلا بدعة وهمة بلا كسل ، وعمل بلا رياء وقلب بلا شغف ونفس بلا شهوة » . « من رغب فى اظهار الكرامات وخوارق الأحوال ، وانشاء براهين الأولياء ، قاصدا بذلك التفاخر ، وجلبا لحسن الحظ به ، وسلما لصيد الدراهم ، فأنا برىء منه فى الآخرة ، وهو عدوى وأنا عدوه » . وقال أيضا : « سلكت كل طريق فما رأيت أسهل ولا أقرب ولا اصلح من الافتقار والذل والانكسار » .

يحدثنا ابن خلكان عن الرفاعى وأتباعه بقوله : « هم الطائفة الرفاعية ، ويقال لهم الأحمدية والبطائحية ، ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية ، والنزول فى التنانير وهى تضرم نارا وينام أحدهم فى جانب الفرن والخباز يخبز فى الجانب الآخر ، وتوقد لهم النار العظيمة ويقال لهم السماع فيرقصون فيها الى أن تنطفىء ، ويركبون الأسد . وكان ابتداء أمره أنه مر على عبد الملك الخرنوبى فقال له : يا أحمد اول ما أقول لك متلف لا يصلى ومشكك لا يفلح ومن لا يعرف من وقته النقص فكل اوقاته نقص ، ففارقه ، وجعل يكررها ، ويبكى ويقول أدبتنى يا ولدى . وبلغت حلقة مريديه ستة عشر ألفا .. وكان يمد لهم السماط صباحا ومساء ، وكان يضرب به المثل فى تحمل الأذى ومكارم الأخلاق » .

وللتدليل على كرم خلق الرفاعى كما وصفه به ابن خلكان فى النص السابق نورد ما نقله الشنوانى فى حاشيته على مختصر بن ابى جمرة اذ قال : « ان كلبا حصل له جذام فاستقذرته نفوس أهل بلده وصار كل واحد يطرده من بابه ، فأخذه سيدى أحمد الرفاعى وخرج به الى البرية وضرب عليه مظلة وصار يأكل هو واياه ويسقيه ويدهنه حتى عافاه الله من الجذام بعد أربعين يوما فسخن له ماء وغسله ودخل به البلد فقيل له أتعتنى بهذا الكلب هذا الاعتناء كله فقال نعم ، خفت أن يؤاخذنى الله يوم القيامة ويقول أما عندك

رحمة لهذا الكلب ، اما تخشى ان ابتليك بما ابتليت به هذا الكلب ».

وذكر السبكي في طبقاته أن هرة نامت على كمه وجاء وقت الصلاة فقص كمه ، ولم يشأ أن يزعجها وعاد من الصلاة فوجدها قد قامت فوصل الكم بالثوب وخاطه وقال ما تغير .

وذكر اليافعي : « ولي الله العارف بالله الزاهد القدوة السيد احمد بن السيد على أبي الحسن الرفاعي ولد سنة خمسمائة ، وتفقه على مذهب الشافعي وكان اليه المنتهى في التواضع والقناعة والتقوى . غير أن اتباعه وجد منهم من يلعب بالنار والحيات وهذا ما لم يعرفه الشيخ ولا الصالحين من أصحابه . كانت وفاته رضي الله عنه بام عبيدة قرية من اعمال واسط بالعراق سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) » .

تزوج سيدي احمد الرفاعي مرتين الاولى خديجة بنت أبي بكر ابن اخي خاله الشيخ منصور وانجب منها فاطمة وزينب . ثم تزوج بعد وفاتها من أختها رابعة وانجب منها صالح ولم يعقب .

ذكر يعقوب الخادم : « أنه حين مرض سيدي احمد رضي الله عنه مرض الموت كان يمرغ وجهه وشيبته على التراب ويبكي ويقول العفو العفو ، اللهم اجعلني سقف البلاء عن هؤلاء الخلق ، وكان مرض الشيخ رضي الله عنه بالبطن ، فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله ، فبقى به المرض شهرا فقيل له من أين لك هذا كله ولك عشرون يوما لا تأكل ولا تشرب فقال : يا أخي هذا اللحم ينـدفع ويخرج ولكن قد ذهب اللحم وما بقى الا المخ ، اليوم تخرج وغدا نعبر على الله تعالى فخرج منه شيء أبيض مرتين أو ثلاثا وانقطع ، ثم توفي يوم الخميس وقت الظهر ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة ، وكان يوما مشهودا ، وكانت آخر كلمة قالها : اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ودفن في قبر الشيخ يحيى البخاري الشافعي المذهب » .

وأن اختلفت روايات المؤرخين فى تأريخ ولادة ووفاة الامام الرفاعى الا أنه يوجد اجماع على دفنه فى بلدة أم عبيدة ، بعد أن وطد دعائم طريقته ،وزاد عدد أتباعه ومريديه ، وأصبحوا يعدون بمئات الآلاف ينتشرون فى شتى بقاع العالم الاسلامى . كما ترك لنا تراثا فكريا عديدا فى فروع الاسلام المختلفة مثل كتاب البهجة وشرح التنبيه على الفقه الشافعى ، وكتاب أهل الحقيقة مع الله فى التوحيد ، وكتاب الرواية فى حديث الرسول عليه السلام فى الحديث وكتابى الطريق الى الله والمجالس الأحمدية فى التصوف والصراط المستقيم فى معانى بسم الله الرحمن الرحيم ، وتفسير سورة القدر . هذا بخلاف العديد من الاشعار ، وما يزيد على ٦٣٢ حزبا ووردا ودعاءا .

وتنسب للامام الرفاعى العديد من الكرامات منها انه اذا سأله أحد أن يكتب له تعويذة ، فكان يكتبها على الورق من غير مداد ، وفعل ذلك مع رجل فأخذها واختفى ثم عاوده بنفس الورقة ليكتب له مريدا بذلك امتحانه ، وحين نظرها الرفاعى قال له : يا ولدى هذه مكتوبة .

ومن كراماته أيضا انه اذا صعد الكرسى للقراءة سمع كلامه البعيد كالقريب حتى أن أهل القرى الذين حول بلده يسمعونه كالذين بزاويته حتى ان الأصم اذا حضره سمع كلامه فقط .

قال الشعرانى فى متنه : « أخبرنى الشيخ أحمد الخنازيرى الضرير انه بات عنده فى مشهده الذى فى البرية ، فقال له الخادم لا تقدر أن تنام هنا من الهيبة التى تقع فى الليل ، فقال توكلت على الله فلما دخل وقت العشاء ارتعد من الهيبة حتى كادت مفاصله تتقطع ، وصارت السباع تجأر خارج المقام وأبوابه الحديد يحس بها تفتح وترد ولها صوت عظيم ، قال : ثم انى أحسست بشخص جلس عندى وقال ليلة مباركة اما تقرأ القرآن أقرأ معك ، فقلت له نعم ، فقرات أنا واياه من سورة النحل الى سورة النجم ، فاما

قرب طلوع الفجر أتانى برغيفين واناءين فى أحدهما لبن دسم وفى الآخر عسل نحل ، فأكلت حتى شبعت فطلع الفجر فلم أجده ، قال : ثم ان الخادم جاءنى وقال خاطرى معك فى هــذه الليلة فان أحداً لا يقدر ينام هناك أبدا وقال : فقصصت عليه القصة فقال هذا الذى قرا معك وأطعمك هو سيدى أحمد » .

ولعلنا فى سرد بعض من كرامات الرفاعى لا نستطيع أن نغفل الكرامات الشهيرة التى ما زلنا نراها راى العين كثيرا ونسمع عنها الاكثر ، تلك الكرامات التى ترسم أمامنا علامة استفهام كبيرة ، وتثير تســاؤلات عديدة تتطلب الرد والتوضـــيح من أهل العلم والايمان !

فكرامة تسخير الثعابين ما زالت ماثلة أمامنا . تتكرر كثيرا حين نلجأ للرفاعية ليخرجوا لنا ثعبانا فشلنا فى اللحاق به والقضاءعليه ، واذا بهم بعد تلاوة بعض الأدعية الخاصة بطريقتهم يخرجون الحية ويروضونها ويدخلونها الكيس كل ذلك ببركة شيخ طريقتهم سيدى احمد الرفاعى .

والموضوع الآخر الذى يتطلب منا وقفة تأمل ودراسة هو ذلك السيخ المدبب الذى يرشقه أتباع الرفاعى فى أجسامهم دون اسالة نقطة دم واحدة بل دون حدوث أية جروح على الاطلاق فما تفسير ذلك أيضا ، بالنسبة للرفاعية فهذا من فضل الله عز وجل عليهم ، وسرا الهيا يتمثل فيما ورد فى حزبهم الصغير وهو واحد من أوردة وأدعية الرفاعية بجانب حزبى الستر والحصن ، وهدى المسترشد من جانب المرشد .

والرفاعى صاحب المدرسة كان مثلا يحتذى لتلاميذه ، اذ كانت حياته انسانية بكل ما يحتويه اللفظ ، وكانت له مهنة يتعيش منها لكى لا تصبح اعالته عبئا على أحد ، بل احترف أكثر من مهنة منها الاحتطاب ، وحمل الميــاه للمنازل فى أم عبيــدة خاصة الى بيوت

الأرامل والعجزة ، ولذلك اشترط بأن يمتهن أى من مريديه مهنة يرتزق منها لكى يصبح طريقه كما وصفه همة بلا كسل وعمل بلا رياء .

هذه الشخصية المتواضعة جمعت من حولها قلوب آلاف المريدين ، وكان يلتقى بهم فى المسجد الكبير ، ويعمل على حل مشاكلهم ، يؤمهم للصلاة ويلقى عليهم الدروس والمواعظ ، فكان بالنسبة لهم النموذج المشرف والأمل المتجدد حفظوا ما علمهم اياهم بما يقربهم الى دين الحق وأصبحت عظاته لهم شعارا يعملون بها ويرددونها .

ذكر الشعرانى فى طبقاته : « أنه اذا سمع بمريض فى قرية ولو على بعد يمضى اليه ويرجع بعد يوم أو يومين ، كما كان يخرج الى الطريق وينتظر العميان ليقودهم ، واذا رأى شيخا كبيرا يوصى الناس به ويذكرهم بقول الرسول عليه الصلاة والسلام من أكرم ذا شيبة يعنى مسلما سخر الله له من يكرمه عند شيبته . وذكر أيضا أنه اذا قدم من سفر قرب أم عبيدة يشد وسطه ويخرج حبلا مذخرا معه ويجمع حطبا ثم يحمله على رأسه ليفعل الفقراء مثله ثم يدخل البلد ويفرق الحطب على الأرامل واليتامى والزمنى والمرضى والعميان والمشايخ ، وكان رضى الله عنه لا يجازى قط بالسيئة لقيه مرة جماعة من الفقراء فسبوه وقالوا له يا اعور يا دجال يا من يستحل المحرمات ، يا من يبدل القرآن ، يا ملحد ، يا كلب ، فكشف سيدى احمد رضى الله عنه رأسه وقبل الأرض وقال يا أسيادى اجعلوا عبيدكم فى حل ، وصار يقبل أيديهم وأرجلهم يطلب رضاءهم حتى أعجزهم قالوا : ما رأينا قط فقير مثلك تحمل منا هذا كله فقال : هذا ببركتكم ثم التفت الى أصحابه وقال ما كان الا خيرا أرضاهم من كلام كان مكتوما عندهم وكنا نحن احق به من غيرنا فربما لو وقع منهم ذلك لغيرنا ما كان يحملهم » . وقال الشعرانى أيضا : « أرسل اليه الشيخ ابراهيم البستى كتابا يحط عليه فيه فقال : سيدى

أحمد رضى الله عنه للرسول اقرأه لى فقرأه فاذا أى أعور أى دجال أى مبتدع يا من جمع من الرجال والنساء حتى ذكر الكلب بن الكلب وذكر أشياء تغيظ ، فلما فرغ الرسول من قراءة الكتاب اخذه سيدى أحمد وقراه وقال صدق فيما قال جزاه الله عنى خيرا ثم انشد :

فلست أبالى من زمان يريبه — اذا كنت عند الله غير مريب

ثم قال للرسول اكتب اليه الجواب من هذا اللاش احمد الى سيدى الشيخ ابراهيم البستى أما قولك الذى ذكرته بأن الله تعالى خلقنى كما شاء واسكن فى ما شاء وانى أريد من صدقاتك أن تدعو لى ولا تحلينى من حلك وحلمك فلما وصل الكتاب الى البستى هام على وجهه فما عرفوا الى أين ذهب » .

وكان رضوان الله عليه يقول : « لا يحصل للعبد صفاء الصدر حتى لا يبقى فيه شىء من الخبث لا لعدو ولا لصديق ولا لأحد من خلق الله عز وجل ، وهناك تستأنس الوحوش بك فى غياضها والطيور فى اوكارها ولا تنفر منك ويتضح لك سر الحاء والميم » .

وقال يوما لأصحابه : « من رأى فى احمد منكم عيبا فليعلمه به فقام شخص فقال يا سيدى أحمد فيك عيب عظيم قال وما هو يا اخى فقال : كون مثلنا من أصحابك فبكى الفقراء وعلا نحيبهم وبكى سيدى أحمد معهم ، وقال أنا خادمكم انا دونكم » .

والتواضع فى شخصية الرفاعى لم يجعله أو يجعل رجاله من الأذلاء لغير الله ولأحكام سنة رسوله ، فحرم على اتباعه من أن يتساقوا فى ركب السلاطين الظالمين والذين لا يعملون بأحكام الدين ، وفلسفته فى هذا الشأن تتضح فى قوله : « لا تتواضع للاغنياء ، ولا أبناء الدنيا ، ولا تنهض لهم ، ولا تقرب أبوابهم ان دعوك ، ان أبناء الدنيا ان اكرمتهم أهانوك ، وان احببتهم أبغضوك ، ففى كل الأحوال يعيبونك لم يزد حبك لهم بل لدنياهم ولاحتياجك لعزهم ،

فاعز نفسك عن صحبتهم فقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن التقرب منهم والتواضع لهم اذ قال عليه الصلاة والسلام لعن الله من أكرم الغنى لغناه وأهان الفقير لفقره ، ومن فعل ذلك فقد سمى في السموات عدو الله وعدو الأنبياء، ولا تستجاب له دعوة ولا تقضى له حاجة ، ومن تواضع لغني لغناه أكبه الله في النار على وجهه » .

ويحذر الرفاعي رجاله بتجنب أهل الكبر ودعاة الباطل ، وكثيرا ما كان ينصح الحكام من اتباع كتاب المولى وسنة نبيه مثل ما فعل ذلك كتابة مع الخليفة المستنجد بالله العباسي .

رفاعي مصر ومسجده :

الشائع عند الكثيرين الخلط بين الرفاعي الكبير صاحب ومؤسس الطريقة الرفاعية والمدفون بالعراق ، وبين الرفاعي المدفون حاليا بالقاهرة والمعروف بالشيخ علي أبي شباك بن الامام أحمد الصياد حفيد الرفاعي الكبير . وكان محببا الى جده ، وفد مصر ٦٦٣هـ وظل بها عامين ، وتزوج من حفيدة الملك الأفضل أحد أمراء المماليك زمن سلطنة المنصور سيف الدين قلاوون . وغادر مصر وزوجته حامل في ابنه علي ، وأقام في متكين ، ثم عاد بعد ولادة ابنه الذي أسس بمصر فيما بعد طريقة للتصوف على نمط طريقة جده .

أوردت الروايات سر تسميته بأبي شباك بأنه كان بين أتباعه ومريديه يتدارسون اذ ضايقهم جند السلطان الذين طاردوهم وتبعوهم لقتلهم ، فطلب شيخهم علي من الله أن ينقذهم ، فاستجاب الله عز وجل ، وأغشى أبصار الجند ، ورأوا الشيخ علي واقفا خلف شباك يبعد قادة الجند عن الحاق الأذى باتباعه ، وأتى في سبيل ذلك ببعض الكرامات التي حولت الجند الى أتباع ومريدين للشيخ ، ومن يومها سمي بعلي أبو شباك . ويسكن مع عائلته في سوق السلاح ، ويعد أول من نادى للطريقة الرفاعية في مصر بعد الشيخ أبو الفتح

الواسطى الذى سبقه بحوالى نصف قرن وعمل على نشر الطريقة بالاسكندرية .

ولبناء المسجد قصة يعرفها اتباع الطريقة الرفاعية(١) ، فيرجعون فضل انشاء المسجد الى كراماتهم ، وتتلخص فى أن أحد حكام مصر من الأسرة العلوية تباهى بكرامات الصالحين من أولياء الله فى مصر ومنهم الرفاعية ، وذلك أمام حشد من قناصل الدول ، واعتبروا كرامة تسخير الثعابين بمعرفة الرفاعية عملا من أعمال الحواة لا السر والكرامة ، وتحدوا من أجل تأييد قولهم ، وأحضروا صندوقا مغلقا به ثعبان من النوع السام الخطير ، وقام شيخ الطريقة وقتئذ السيد محمد يس بفتح الصندوق ولمس الثعبان فمات على الفور وتمزق جلده ، وتحول الى قطع صغيرة ، فتقدم أحد القناصلة ومعه زجاجة مملوءة بالسم وطلب من شيخ الرفاعية شربها ، فشربها الشيخ ولم يمسه سوء ، ولم يجد القناصلة بدا من الانحناء اعترافا وتقديرا لكرامات الرفاعية . وقبل انتهاء هذا اللقاء حضر رسول القصر مسرعا ليخبر الخديوى بأن سيدة القصر لدغها ثعبان فى تلك اللحظة ، ولجأ الخديوى للرفاعية يطلب عونهم واظهار كراماتهم ، فأرسل شيخهم أحد اتباعه لانقاذ السيدة ، فقام بمص السم من موضع لدغة الثعبان ، وتم بذلك انقاذ سيدة القصر التى قررت مع الخديوى منح شيخ الرفاعية ما يطلب ، وكان من الأغنياء ، فشكرهم لأن عطاء الله كثير ، لكنه طلب منهم أن يشيدوا للرفاعية مسجدا كبيرا يضم ضريح شيخهم على أبى شباك بالقلعة . واصدر الخديوى أوامره من أجل تنفيذ طلب الرفاعية ، فكان مسجد الرفاعى أضخم وأعظم المبانى المعمارية الاسلامية بما يحويه من عظمة وروعة فنية ، ليظل على مر العصور مزارا للرفاعيين الكبير والصغير وملتقى لأتباعهما ومريديهما من أبناء الطريقة وغيرهم .

(١) صلاح عزام : أقطاب التصوف الثلاثة ص ٤٣ : ٤٥ .

أورد المقريزى فى خططه (١) « أن مسجد ذخيرة الملك تحت قلعة الجبل بأول الرميلة تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن محمد ابن قلاوون التى تلى الباب الكبير الذى سده الملك الظاهر برقوق ، انشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ووالى القاهرة ومحتسبها حوالى سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) » .

وكانت هناك أيضا الزاوية البيضاء ، وزاوية الرفاعي اشتملت على قبور المشايخ (على أبى شباك ، يحيى الانصارى ، والسيد مصطفى الغورى ، والشيخ ابراهيم المغربى ، والسيد حسين الشيخونى امام جامع شيخو وشيخ السجادة الرفاعية سابقا ، والسيد عبد الله المرازيقى ، والسيد حسين الرفاعى) .

وقال ابن عبد الظاهر : « مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل » ، ثم نقل عن ابن المأمون قوله الذى أورده فى تاريخه ونصه : « وفى هذه السنة ـ يعنى سنة ست عشرة وخمسمائة ـ استخدم ذخيرة الملك جعفر فى ولاية القاهرة والحسبة بسجل انشأه ابن الصيرفى ، وجرى من ظلمه وعسفه ما هو مشهور ، وبنى المسجد الذى ما بين الباب الجديد الى الجبل الذى هو معروف به وسمى مسجد (لا بالله) وذلك انه كان يقبض على الناس من الطريق ويعسفهم فيحلفون ويقولون لا بالله فيقودهم ويستعملهم فيه بغير أجر ، ولم يعمل فيه منذ انشأه الا صانع مكره أو فاعل مقيد وكتبت عليه هذه الأبيات : .

بنى مسجدا لله من غير حله ... وكان بحمد الله غير موفق
كمطعمة الأيتام من كد فرجها ... لك الويل لا تزنى ولا تتصدقى

وكان قد أبدع فى عذاب الجناة وأهل الفساد وخرج عن حكم الكتاب فابتلى بالأمراض الخارجة عن المعتاد ومات بعد ما عمل الله له ما قدر ، وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه وحكى عنه فى

(١) المقريزى : الخطط الجديدة جـ ٤ ص ١١٤ .

حالتى غسله وحاوله بقبره ما يعيذ الله منه كل مسلم » . وذكر ابن عبد الظاهر . « قد جدد فى زماننـــا فى أواخر المائة الثالثـــة عشرة ولم يكمل » .

ويحوى كتاب وصف مصر الذى وضعته الحملة الفرنسية على لوحة تمثل زاوية الرفاعى والمبانى التى حولها فى أواخر القرن ١٨ م بالاضـــافة للوحة ملونة عن عمل المصور البريطانى ويلسون الذى وقد مصر ســـنة ١٨٥٤ م وتمثـــل المنطقة التى بها زاوية الرفاعى وسبيل تركى وعدة مبانى أخرى .

ذكر على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية أن المسجد الحـــالى كانت تشغل جزء منه الزاوية البيضاء أو الزاوية الرفاعية وتضم اضرحة لسيدى على أبى شباك وسيدى يحيى الانصارى والســـيد حسن الشيخونى شيخ سجادة الرفاعية سابقا ، وكان يتردد على زيارة سيدى على أبى شباك حفيد الامام الرفاعى هذا خلق كثير من مصر وغيرها خاصة المصابين بالعصبية المعروفة عند العامة بالرياح الطبيعية .

وفى ســـنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) أصـــدرت خوشيار هانم .. والدة الخديوى اسماعيل أوامرها بتجـــديد زاوية الرفاعى وفق الرواية التى سبق أن أوردناها ، واشترت من أجل ذلك الأماكن التى تحيط بالزاوية بما فيها أرض مسجد الذخيرة وحوش الحدادين والحمام الذى كان يقع فى زمرته ، وامرت أيضا بأن يلحق بأبنيـــة المسجد الجديد مدافن لهـــا ولأسرتها ، وقبتان للشيخين على أبى شباك ويحيى الانصارى . وتوفيت منشئة المسجد سنة ١٨٨٥ م ، وتوقف العمل فى البناء الذى لم ينسب لها ولازمت التسمية أولا الزاوية ثم المسجد نسبة للشيخ على أبى شباك ، ثم بدأ البناء مرة أخرى فى عهد عباس حلمى الثانى على يد هرتس باشا ، حيث روعى فى التصميم الحديث أن يقف المسجد على قدم وساق مع العمـــارة

الفخمة البديعة التي تتجلى بوضوح في بناء مدرسة السلطان حسن الضخم والمواجهة للمسجد .

وقد تكلفت عمارة مسجد الرفاعي حتى افتتح للصلاة عام ١٩١٢ م حوالى ٦٣٢٥٠٠ جنيه بخلاف أثمان السجاد والمشكايات والثريات واجور الصناع . وقد دون تاريخ الافتتاح في نهاية طراز المسجد من الجهة القبلية الشرقية . ولقد اشاد علي باشا مبارك ببارعة وفخامة بناء المسجد رغم انتقاده لهرتس باشا في تصميمه للواجهات ومساحة المسجد مربعة تبلغ من الداخل ٦٥٠٠ م٢ خصص منها للصلاة ما مساحته ١٧٦٧ م٢ ، والباقي للمدافن وملحقاتها . ومكان الصلاة يشتمل على صفين من الدعائم بكل ركن من اركانها اعمدة متلاصقة ، وهذه الدعائم تقسم المسجد الى اروقة ثلاثة الأوسط منها تعلوه قبة تقوم على رقبة ذات نوافذ . ويقع المحراب بوسط الجدار الشرقي للمسجد حيث يكتنفه عمودين من الرخام أحدهما ذو لون أبيض والآخر باللون الأخضر ، وقد كسي المحراب بالأصداف والفسيفساء الرخامية البديعة ، ويعلوه بالخط الثلث شريط من الكتابة نصه : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » ، وتعلو ذلك الشريط ثلاثة صفوف من المقرنصات . وقد أعد كتابات المسجد الخطاط الشهير عبد الله زهدي واتمها مصطفى الحريري . ولقد حليت أعمدة المسجد الرخامية من الخارج كما كسيت جدرانه ودعائمه بالرخام .

وتتوسط الواجهة الغربية مدخلا تكتنفه العمد الحجرية ذات القواعد الرخامية ، ومحلى بالمقرنصات البديعة ، كما كسيت جوانبه واعتابه بالرخام الملون ، وبعض الكتابات منها « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » وتعلو المدخل قبة حجرية تقوم على مقرنصات . وعلى يمين الداخل من هذا الباب مقبرة الملك السابق فؤاد الأول وتقع في الركن الغربي القبلي للمسجد بجوار قبر والدته الاميرة فريال التي توفيت عام ١٣٢٠ هـ . وتواجه الباب حجرة

طعمت بالسن المدقوق بالاويمة البديعة ، وقد كسيت وزخرفت اعتابها بالرخام والرسوم الملونة ، وفيها يوجد قبر الشيخ على ابى شباك ، تعلوها فيه ، وبوسطها مقصورة خشبية مطعمة بالأبنوس ذات عمد رشيقة وتتجلى فيها دقة الصنعة . وتتميز القبة بأن قطبها المفرغ على هيئة أشكال هندسية يغطيه الزجاج الملون ، وتحمل على رقبتها بعد البسملة « انا فتحنا لك فتحا مبينا (الآية) ، وكان تمام القبة فى عام ١٣٢٧ هـ ، وبكل أركانهـا توجد ابواب تؤدى للمسجد ومحلاة من أعلى ومن أسفل بالزخارف الجميلة المتنوعة ، كما طعمت مصاريعها بالأبنوس .

والمسجد ثلاثة ابواب رئيسية معلقة يصعد اليها عن طريق مجموعة من الدرجات ، الأول منها يقع فى جدار المسجد الشرقى ويوصل الى ردهة يتوسطها ايوان يؤدى الى ضريح الشيخ ابى شباك . اما البابين الآخرين فيقعان فى الجدار الجنوبى للمسجد وبينهما يوجد ضريح الشيخ الأنصارى حيث يعلوه قبة حجرية لا تحمل زخارف وتشاهد بين المنارتين . وبالحجرة البحرية الشرقية توجد اربعة قبور تضم رفات من ابناء اسماعيل باشا على جمال الدين ، توحيدة هانم ، زينب هانم ، وابراهيم حلمى ، وتعلو تلك الحجرة قبة تقوم على مقرنصات ذات الوان مختلفة ، وتحمل على رقبتها سورة الم نشرح ، وعن طريق رحبة تصل الى القبة الثانية التى تعلو قبر كل من خوشيار هانم وابنها الخديوى اسماعيل ، كما انه من طريق رحبة ثانية تصل الى القبة الثالثة وتعلو قبور زوجات الخديوى اسماعيل ، وتتصل بهذه القبة حجرة تضم قبر السلطان حسين كامل بن اسماعيل . ويلاحظ فى صناعة تراكيب تلك القبور ان صناعة الرخام بها بلغت درجة كبيرة وشأن عظيم من التقدم ورقى الصناعة .

وتتسم منارتا المسجد بالرشاقة ، ولقد اقيمتا على قواعد مستديرة الشكل على نمط منارتى مدرسة السلطان حسن .

ويشتمل المسجد على العديد من عناصر الزخارف ، فحليت جدرانه وسقوفه بالرخام ذو الألوان البراقة والمتنوعة ، هذا بخلاف الآيات القرآنية المذهبة الألوان ، مما يؤكد توفيق هرتس باشا فى اختيار زخارف المسجد ، مما جعله درة مساجد مصر الاسلامية من حيث ضخامة البناء ودقة الصنعة وجمال الزخرفة . ويشتمل المسجد أيضا على أندر مجموعة من المشكايات الزجاجية والثريات النحاسية المكلفة بالذهب والفضة .

وتتجلى آيات الزخرفة فى منبر المسجد الخشبى ، اذ طعمت حشواته بالسن والأبنوس وخشب الجوز ، كما زخرفت مقرنصاته بالذهب . وتم صنع كرسى المصحف من خشب الساج بطريقة الخرط والحشوات المجمعة والمطعمة بالصدف والأبنوس . أما دكة المبلغ فقد تم صنعها من الرخام وأقيمت على عمد من الرخام ، وقد تنوعت زخارفها وكتب عليها قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من احسن عملا .. حتى قوله تعالى .. نعم الثواب وحسنت مرتفقا » .

المسجد الأحمدى بطنطا

(من لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة فى الدنيا ولا فى الآخرة . ومن لم يكن عنده حلم لم ينفعه علم . ومن لم يكن عنده سخاء لم يكن من ماله نصيب . ومن لم تكن عنده شفقة على خلق الله لم تكن له شفاعة عند الله . ومن لم يكن له صبر لم تكن فى الأمور له سلامة . ومن لم تكن له تقوى لم تكن له منزلة عند الله ومن حرم هذه الخصال فليس له منزلة فى الجنة) .

« البدوى »

السيد البدوى هو احمد بن على بن ابراهيم بن محمد بن أبى بكر بن اسماعيل بن عمر بن على بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن على بن محمد بن حسن بن جعفر بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصـــادق بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عنهم أجمعين ، أمه فاطمة بنت محمد بن أحمد الشريف .

ويعد سيدى أحمد البدوى كبير أقطاب المتصوفة ، جاهد النفس ، وخلد للناس العديد من مثل الزهد والتقشف ، وترك فى تاريخ مصر أقوى الأثر فى نواحى عديدة دينية وعقائدية واقتصادية واجتماعية لقرون عديدة .

وفى تحديد نسبه الكريم تضاربت وتعددت أقوال المؤرخين ومن بينهم المقريزى والسيوطى والشعرانى وعلى باشا مبارك ، رغم اتفاق معظمهم على ارجاع نسب البدوى الى الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . كما تتفق أغلب المراجع على هجرة أجداده من العلويين من الحجاز الى المغرب زمن الحجاج بن يوسف الثقفى حين شـــدد

للأمويين حكما هنــاك ، ودخولهم فاس عــام ٧٣ هـ . وان كانت الروايات لا تتفق وما ساد من أحداث تاريخية وقتئذ . الا انه من الثابت ترحيب حكام المغرب الأقصى بهؤلاء المهاجرين الأشراف من أهل البيت وأكرموا افادتهم وعملوا على نبذ وحشــة الغربة عنهم وتزويجهم من أهل فاس .

ولد رضى الله عنه بمدينة فاس عام ٥٩٦ هـ (١٢٠٠ م) وكان سادس اخوته ، وجاء مولده على أثر رؤيا أتت والدته فى منامها : « أبشرى فقد ولدت غلاما ليس كالغلمان » . وكانت الأسرة تقيم بزقاق الحجر البلاط بمدينة فاس . وعاش البدوى طفولة زاهدة ، ودرس بصحبة أخيه الأكبر الشريف حسن التصوف على يد الشيخ النيسابورى . ثم عادت الأسرة الى مكة وقطبنا فى السابعة من عمره وان اختلفت الروايات فى تبرير قرار الشريف على ــ والد ســـيدى أحمد ــ بالرحيل ، منها ما يرجع ذلك الى تلبية لأمر هاتف جاءه فى نومه ، وأخرى ترد ذلك الى الرغبة فى أداء فريضة الحج ، وهو رأى يحتمل التساؤل فى اصطحاب أسرته معه ، وفى عدم عودته عقب أدائه الحج ــ ولعل التفسير المقبول فى رحيل الشريف على الى مكة هو ارتباط ذلك بتاريخ المغرب السياسى وقتئذ ، اذ كان حكامه من المرابطين يدينون بالمالكية ، وهو المذهب الذى كانت تعتنقه أسرة البدوى ، وخلفهم الموحدون فاضطهدوا أهل الســـنة ، مما حدا بالأشراف بالرحيل ومن بينهم الشريف على . وواتته الفرصة عام ٦٠٣ هـ واتخذ الحج طريقة للخلاص وعدم العودة . وهذا الحادث كان له دوره القوى فى حياة السيد البدوى . وتحدثنا الروايات عن حسن وداع أهل فارس للشريف على وأهل بيته ، وقد تقدم ركب الرحيل على هجينه . والراجح أن الركب مر بمصر فى طريق الرحلة التى استمرت ست سنوات ، قضى بمصر منها خمس سنوات ، مما كان له أقوى الأثر الروحى فى حياة صاحب الترجمة ، وقد مر الركب

ببلدان مصر ومنها طنطا (١) ، والدليل أن قصدها البدوى مباشرة حين آن أوان ذلك ، على العكس مما أشاعه اتباعه من ان اختياره طنطا كان لما أوحى له به من منامه . ثم غادر الركب مصر الى مكة ووصلها وأحسن اميرها استقباله ، حيث أقامت الأسرة فترة ما . تزاوج افرادها خلالها بالأشراف حتى توفى الشريف على عام ٦٢٧ هـ ومن بعده ابنه محمد عام ٦٣١ م ، وتبقى من الذكر حسن والصغير أحمد . وعاش قطبنا فى رعاية أخيه الأكبر ، على الرغم من ان الروايات صورت لنا دور حسن بدور التابع لاخيه أحمد . وأبى سيدى أحمد أن يتزوج ، واعتزل العامة عبادة وصوما . ودرس الفقه على مذهب الشافعى فى مكة ، بعد أن كان يتعلمه حسب تعاليم المالكية فى المغرب . وقد كان البدوى فارسا مغوارا لقب بمحرش الحرب لشجاعته ، رغم كونه زاهدا تقيا متعبدا ، وفى عزلته كان يقصد جبل ابى قبيس فى مكة . ومما لا شك فيه ان لوفاة والده وأخيه اثرا كبيرا فى زيادة اعتكافه وتعبده وتلثمه . وفى الجبل كان يتأمل ويفكر ويتعبد بعيدا عن مضايفات الناس .

رحلته الى العراق :

تشوق البدوى الى الاستزادة من علوم الدين والتصوف ، وقرر التزود بما خلده اقطاب التصوف الاسلامى كالرفاعى والجيلانى وقرر أن يقصد العراق فوافقه اخوه حسن بعد تردد ، حيث كانت وقتها حاضرة خلافة بنى العباس ، واعتى مراكز التصوف الاسلامى ورحلا فى العاشر من المحرم عام ٦٣٤ هـ وكانت الرحلة علمية بالنسبة لقطبنا ، ليروى ظماه وطموحه من المعرفة الاسلامية ، اذ لم تمنحه مكة كل آفاق المعرفة ، يضاف لرغبة الهجرة العلمية ، ما كان يجيش فى صدر سيدى أحمد من تزعم وحمل لواء التصوف فى العراق ، وكانت نداءات الرفاعى والجيلانى له فى نومه بأن يرحل

---

(١) د/سعيد عاشور : السيد البدوى شيخ وطريقة ص ٥١ .

ليتسلم مفاتيح زعامة المشرق والمغرب ، وتكرار تلك الرؤيا للشيخين كانت هذه النداءات خير حافز له — وكانت آخر رؤيا تقول له : « لا تنم فمن طلب المعالى لا ينام ، وحق آبائك الكرام سيكون لك حال ومقام » .

وقصد الاخوان بغداد ، وزارا ضريح الشيخ الجيلانى ومقابر ائمة الشيعة الكاظمية ، كما زارا شمال الموصل لكنهما لقيا صعابا جمة ، اذ لم يحسن الأكراد الهكارية لقائهما ، فرجعا الى الجنوب حيث أم عبيدة شمال شرقى البصرة التى يقع بها ضريح الرفاعى ، فمكثا بها ثلاثة أيام أحسن فيها المتصوفة لقاءهما ثم رجعا بغداد ، وكانت حينئذ حاضرة بنى العباس ، ومركزا لأئمة المتصوفة ، ونفوذها الروحى الكبير . وهـذا فى حد ذاته كان له تأثيره على شخصية البدوى ، اذ لم يستطع مناظرة هذا الحشد من زعماء وحاملى لواء التصوف ، يضاف الى تلك العوامل أن المناخ السياسى الذى كان سائدا فى بغداد وقتئذ لم يكن مواتيا وموافقا لطموح قطبنا (١) ، فزيادة سلطة البويهين ومن بعدهم السلاجقة ، اصبحت معه سلطة الخلايف العباسيين رمزية فقط — ومع اعتبار كل تلك العوامل والأحداث كانت الرغبة القوية عند الشريف حسن فى العودة وقد أعلن رأيه لاخيه فى الرحيل مسـبقا بأن لكل بلد أقطابه ، ثم لازمه على مضض ، لذلك تجده حين عادا الى بغداد ، يترك اخاه بها ويرجع الى أهله فى الحجاز ، بينما توجه السيد البدوى الى الموصل ، وعلى مشارفها زار ضريح عدى المكارى ، صاحب الطريقة العدوية .

السيد البدوى وفاطمة بنت برى :

يا طالما كنت للفرسـان أقتلهم ... فى السر أسلبهم وأمحهم جهـرا
قضيت دهرى والأيام تخدمنى ... فى صفو عيش ولم أنظر له كدرا

---

(١) لقد ساهمت هذه الفوضى السياسية ، على غزو التتار للعراق وسقوط بغداد — اذ تم ذلك ٦٥٦ هـ — بعد زيارة البدوى بعشرين عاما — سعيد عاشور — المرجع السابق .

رايت فى النوم أن القوم قد بعثوا لى الملثم ذا عـزم به اشـتهرا
قلت ان جاء غريب ليس نعرفه ملثم بلثـام يشـبه العـذرا
هاتوه لى سرعة أو عاجلا بهتـا وأكرموه ولا تبـدوا له ضررا
لمـا أتانا عرفنـاه بلحيتـه حقا يقينـا ولكن ذاك قد سترا
ناديته باسـمه جـهرا وكنيته فلم يجبنى ولم يظهر لنا خبرا
فقلت انى أخاف اليوم صولته لابد يبدى لنـا من أمره ضررا
فصحت يا آل برى من أماكنكم هيا سريعا فقلبى صار منحصرا
فصاح فى الخيل والفرسان جندلها وابن الرفاعى وعبد القادر اشتهرا
ختمت قوالى بتقبيـلات نعلكم يا سيدى وأمير الناس والفقرا

(بنت برى)

تتسم حياة الأبطال والمشاهير بالقصص متعـددة الجوانب ، تخضع تلك القصص على مر العصور للتلوين سواء بالحق أو بالزيف . وبطلة قصتنا هذه فاطمة بنت برى ــ بدوية تنسب لعشيرة برى بشمال العراق قرب الموصل ــ واتصفت بالعفة والعصمة رغم ثرائها وجمالها ، وثقت من نفسها فعاملت الرجال بكبرياء ، فكانت تستميل الأقوياء لاشباع غرورها ثم تسلبهم أموالهم (١) ــ حتى المتصوفين لم يسلموا من الوقوع فى حبائل شباكها ــ وتعـدد المترامون تحت أقدامها فكانت تلفظهم ، وتظل تبحث كل يوم عن الشخص الذى تنشده ، وكانت تكرم ضيوفها من الصـالحين وتجاذبهم أطراف الحديث فيبهرهم جمالها وحلاوة كلامها وثرائها ، فيتهافتون على مجالسها ، ثم يكتشفون قوتها ومنعتها ، فيرجعون عنها خائبين تائبين ولكن بعد أن قلت درجات صـلاحهم حيث دنست الغواية قلوبهم .

ولم يطل انتظار بنت برى للقوى الذى تتلهف على لقائه بأمل يتجدد كل يوم ، جاءها البدوى . اذ أنه حين بات مع أخيه بضريح

(١) دكتور/عبد الحليم محمود : السيد احمد البدوى ــ رضى الله عنه ــ ص ٢٦ .

الرفاعى فى أم عبيدة ، جاءه الرفاعى فى نومه طالبا منه سرعة التوجه الى بنت برى لتأديبها ، لتماديها فى اذلال الرجال ، على أن يعفو عنها عند القتال ، ويعود الى مكة على عجل .

ودع سيدى أحمد أخاه وقصد العشائر السبع ، حيث فاطمة بنت برى ، التى رأت قدومه فى نومها ، فخصصت ألفين فتاة يراقبن لها الغرباء القادمين ، ولكن حذق سيدى احمد ومهارته جعلته يتظاهر بالخرس والطرش لتجنب حديثهن وغوايتهن . وتمكن من مفاجأة بنت برى فى مجلسها ، وحين أبصرته ، رحبت به فى ذعر ، وطالبته عدم الثأر منها ، وحاولت اغراءه بكشف مفاتن جسمها ، كما كانت تفعل مع الصالحين من قبله ، وعرضت عليه الزواج الحلال ، وتظاهر بالطرش ، ولم يلق بالا لمحاولات اغرائها . ويذكر الرواة على لسان قطينا البدوى أن الجمال وعددها سبعة آلاف قدمت عليه مقبلة أقدامه وهى باكية ، فأمرها بالسير لترعى ستة أيام ، وتعود اليه فى نهار اليوم السابع ، حيث فرر انهاء مهمته مع بنت برى ، وحين عادت الجمال أشار اليهـا بأن تموت باذن الله ، فماتت جميعا ، ثم قبض فى الهواء على قلب بنت برى أن يأتيه ، فصعقت فى الحال وضاق نفسها ، فسارعت الى فرسها لتنجو ، لكنه لم يتحرك الا صوب البدوى والابل ، وأشار للفرس فغاص بها وهى تصيح مستنجدة بفرسان عشيرتها ، ولما حضروا خشى البدوى الهلاك وصاح مستنجدا بآل محمد والحسن والحسين وعلى زين العابدين ، وفى غمضة عين أقبلت فرسان نجد والعراق ، فخاف فرسان آل برى واعتذروا وانسحبوا ، وعفا عن فاطمة بنت برى تكريما لجدته فاطمة الزهراء لأن بنت برى تحمل اسمها . واشترط عليها عدم العودة لما كانت عليه ، فوافقت وأعلنت ندمها على ما سبق أن أقدمت عليه تجاه الصالحين وأرباب الأحوال . وكررت رغبتها فى التزوج منه لتعينه على رسالته ، فاعتذر برفق ، وهو فى ذلك لم يشأ أن يحرم الحلال بل هدف التفرغ للتصوف . وقصة بنت برى

مع سيدى احمد البدوى توضح بجلاء كرمه وعفة نفسه ، رغم أن اعتبرتها بعض النفوس مدعاة للتهكم كأى قصة اخرى (١) . ويرى البعض أن القصة احتوت على مبالغات خارقة للعادة هى من نسج أتباع البدوى ، فى نهاية رحلته للعراق بعد ما أحسوا بما لاقاه استاذهم من صعاب وعدم تقدير فى هذه الرحلة .

العودة الى مكة :

اختفى السيد البدوى بعد لقائه وبنت برى ، حين انشغل الفقراء فى الذكر (٢) ، وعاد الى مكة ، وذلك فى عام ٦٣٥ هـ (١٢٣٨م) ونزل على أخيه الحسن ، وأقبل على الصوم والتعبد وقيام الليل(٣) والتزم الصمت متحدثا بالاشارة ، وشاخصا بصره للسماء ، واحمر سواد عينيه ، ولقد تأثر برحلة العراق الروحية وزيارته للجيلانى والرفاعى وكانت الرحلة بمثابة معالم طريق فى التقرب من الله ، والعمل بكتابه وسنة نبيه ، كانت تتوق نفسه فى أن يصبح له أتباع ومريدون فى حياته ومماته ، مثلما رأى فى أم عبيدة حول ضريح الرفاعى ، ولعل طموحه فى هذه الرغبة ، دفعه لترك العراق دون أن يجعلها مركزا لدعوته ، اذ احتلها من قبله رواد للتصوف ، كان يطمع فى مزيد من الايمان والالتفاف به ، لا مجرد الترحيب بمقدمه . وفى مكة كان شاغله الشاغل تحديد مركز آخر يلائم نشر دعوته ويصبح له فيه دور الزعامة ، ويتعدد له فيه المريدون ، ومن المؤكد أنه فكر فى مكة ، ولكنها أيضا لا تلائمه ، لاختلاف شعور الناس وهم حول بيت الله الحرام عن أى بقعة أخرى فى العالم الاسلامى . وهنا يتذكر مصر بما تركته لديه من انطباع حين مر بها فى رحلته والتى تشبه الى حد كبير العراق ، فلماذا لا تصبح طندتا أو طنطا أم عبيدة

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) الخفاجى : النفحات الاحمدية ص ٢٤٥ — ٢٥١ .

(٣) فو لزر — دائرة المعارف الاسلامية (احمد البدوى) ، الامام نور الدين الحلبى فى السيرة الحلبية .

العراق ، ترفرف عليها بيارق وأعلام الأحمدية وتحيطها خيام اتباعه ومريديه ، وأكد اختياره طنطا دارًا لنشر دعوته أنه التقى ببعض الحجيج القادمين من طنطا ، وجذبهم مجلس علمه ودعــوه الى بلدتهم ،وهذا يؤكد أنه توجه الى بيت معين حين قدم طنطــا (١) . وترجع روايات المؤرخين أن اختياره طنطا تلبية لرؤيا تكررت ثلاث مرات : « أن سر الى طندتا ــ طنطا ــ فانك مقيم بها وتربى رجالا وأبطالا » . والرؤيا فى نظر قطبنا تقدير من الله وتبشير بقدرته على تربيــة الرجال ، وعرض الرؤيا على أخيه الحسن فأقــره وبارك خطاه .

ولعلنا نؤكد سببا هاما نذهب اليه فى عوامل اختيار البدوى لطنطا بالذات مركزا لدعوته فى كونها كانت قبل الاســلام من أكبر مراكز الأسقفية المسيحية ، وكان اسمها القبطى طنبطاد ، ولا شك فى أن حسن موقعها هو ما دفع رجال الكنيسة فى اختيارها مركزا لأسقفيتهم ، اذ تتوسط الدلتا ، فموقعها الاستراتيجى دفع البدوى اليها . فاختياره لم يكن على الاطلاق عشوائيا . ومن هذا الموقع وربى البدوى الرجال الذين هزموا لويس التاسع وحملته بعد وصول البدوى الى طنطا بعشر سنوات . ومن هنا كانت رغبة البدوى فى ازالة الصفة المسيحية لطنطا التى استمدت قوتها من حسن موقعها لتصبح اشعاعا للاسلام ، ومنه يتحقق له الزعامة على كافة المشايخ الذين قسموا البلاد وقتئذ الى مناطق نفوذ .

البدوى فى طنطا :

كانت طنطا قبل أن يصلها السيد البدوى قرية صغيرة ، وصفها ياقوت الحموى فى معجمه أنها تقع فى الغربية وتبعد ثمانية أميال عن المحلة الكبرى وكانت تسمى طندتا . ويحدد بعض المؤرخين وعلى رأسهم المقريزى رحيل البدوى من مكة عام ٦٣٤ هـ ووصــوله طنطا ٦٣٧ هـ . ويرى البعض أنه تحديد غير سليم لسببين (٢) :

(١) سعيد عاشور : المرجع السابق .

(٢) سعيد عاشور : المرجع السابق .

أولهما أن سنة ٦٣٤ هـ التى حددت لرحيله من مكة هو موعد سفره الى العراق ، ورجع بعده بعام ، وثانيهما ، أن فترة الرحلة التى حددت بثلاث سنوات مدة طويلة خاصة اذا علم بعدم توقف البدوى على طريق رحلته . مع ترجيح رواية الشعرانى بوصول البدوى طنطا سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٨ م) .

ذكر بعض اتباع البدوى أنه قطع رحلته من مكة الى طنطا فى احدى عشرة خطوة ، وتلك مبالغة واهية اذ كانت فى حقيقتها رحلة شاقة تورمت بسببها عينى البدوى كما ذكر من رأوه ساعة وصوله وكان أشعث أغبر ملثم ، اذ يدخل دون استئذان بيت الشيخ ركن الدين الذى يبيع العسل والزيت فى القرية ، وكان قد بشر بنزول البدوى عليه . وظنه الحاضرون مجذوبا قبل معرفة شخصيته ، ولعل تلك الاستباحة بعيدة عن خلق صاحبنا ، بل ان اختياره منزلا بعينه لا يمكن أن يكون عشوائيا مثله مثل اختيار طنطا وهذا يعنى صلة سابقة بين البدوى والشيخ ركن الدين . ولقد ظل البدوى فى هذه الدار حتى توفى صاحبها فهجرها الى دار ابن شميط شيخ طندتا حيث اعتلى سطح هذه الدار مع اتباعه السطوحيين حتى توفاه الله ، واقامته على السطح اثارت الآراء فى فلسفتها فهل قصد بها اخلاء الدار لصاحبها ، أم أراد أن يقلد الرفاعى فى اقامته على السطح اليراه اتباعه كما سمع حين زار ضريحه ، أم أنه أراد التأمل فى خلق الله وقدرة صنيعه ، نحن شخصيا نميل للرأى الأخير . وكان كل يوم يزيد اتباعه ومريدوه وفى حياته كانت له المزارع والمواشى مصدرها تبرعات المعتقدين فى سره وكراماته . وكان أقرب السطوحيين الى قلبه السيد عبد العال ، وكان قطبنا يفتخر بنسبه مما تأكدت له زعامة أولياء طنطا ومن جاورها . كما كان يحدد لهؤلاء الصالحين مناطق اقامتهم ليبثوا فى الناس تعاليم الدين الحنيف .

وصف لنا الشعرانى (١) السيد البدوى فى هذا الوقت بقوله : « كان وقتئذ غليظ الساقين ، طويل الذراعين ، كبير الوجه ، أكحل

(١) الطبقات الكبرى : جـ ١ ص ٢٤٧ .

العينين، طويل القامة، قمحى اللون، كان فى وجهه ثلاث نقط من اثر جدرى، فى خده الأيمن واحدة وفى الأيسر اثنتان، أقنى الانف، على انفه شامتان فى كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدسة، وكان بين عينيه جرح، جرحه ولد أخيه الحسين بالابطح حين كان بمكه» . وكما وصفه عبد الصمد فى الجواهر السنيه بأنه رفيع البشرة، نحيف البدن .

السيد البدوى ليس داعية للشيعة : لم يكن البدوى جاسوسا للفاطميين، لشواهد عديدة تتلخص فى كون حياته كانت خالصة للمولى عز وجل، فكان شاغله ابتغاء مرضاة الله فصام نهاره وتلى القرآن فى ليله . وذلك يتنافى وعمل الجواسيس وهناك تساؤل فى إنه كيف تترك الدولة الأيوبية داعية لدولة ومذهب مخالف (١)، كما أن القول المنسوب اليه يتنافى وعلاقته الطيبة بالحكام والأمراء . ويسوق الأستاذ ابراهيم نور الدين (٢) برهانا تاريخيا ينفى به هذه التهمة التى يحاول البعض الصاقها بقطبنا فيذكر أن صلاح الدين الأيوبى أسس دولته عقب سقوط الدولة الفاطمية (٥٦٧ هـ) وهو تاريخ سابق لولادة البدوى بتسعة وعشرين عاما، بالاضافة الى أنه سادت الفوضى فى عهده ابان حكم العادل بن الكامل الأيوبى، ويستنتج انه اذا كانت للبدوى أهداف ضد حكم بنى أيوب لانتهز هذا الضعف وحرض على الثورة، لكن لم يحدث شىء من ذلك، كما لم يثبت اشتراكه أو تحريضه على ثورة قامت ضد حكم الأيوبين .

السيد البدوى والظاهر بيبرس : وقع بعض كتاب سيرة البدوى فى خطأ حين ذكروا أن بيبرس وجنده استقبلوا البدوى،

---

(١) د/ عبد الحليم محمود : المرجع السابق ص ٣٠، ٣١، يعقب فضيلته بذلك على ما الصقه احد الكتاب فى مقال له بمجلة السياسة الاسبوعية، اتهم فيه السيد البدوى بأنه كان جاسوسا للفاطميين .

(٢) حياة السيد البدوى ص ٩٣ .

يريدون ابراز هيبة شيخهم بأن استقبله قاهر الصليبيين والتتار ، والثابت تاريخيا أنه وقت أن وفد البدوى مصر لم يكن بيبرس ظهر على مسرح الحوادث ، بل كان حكم العادل الثانى . وان كأنا قد تقابلا بعد ذلك ــ ففى هــذا العصر كثر تقرب المماليك من رجال الدين لنعلوا منزلتهم ورضـــا أهل الدين عنهم خاصة لما كانوا يشعرون به من نقص نتيجة أصلهم غير الحر .

ذكر السعرانى فى الطبقات الكبرى « ان الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات ، كان يعتقد فى سيده اعتقادا عظيما ، وينزل لزيارته » وذهب فولرز أيضا فى دائرة المعارف الاســلامية أن بيبرس كان يقدس البدوى وقبل قدميه .

ألقاب السيد البدوى : تعددت ألقاب شيخنا ، كل منها يعكس جانبا من شخصيته منها السيد أى رئيس القوم ، والقدسى لمرعه لتقديس الحق ، والشريف لكونه سليل أبناء الامام على بن أبى طالب بن فاطمة الزهراء رضوان الله عنهم ، والبــدوى لانتسابه للبــادية لا الحضر ، والصامت كباقى الزهاد ، والقطب وهذا عند المتصوفة مظهر للنبوة ، والامام أى رئيس القوم ، والملثم كما استخدم اللثامين والتلثم عادة بدو الشمال الافريقى .. والعطاب واللفظ مغــربى ومعنى كما ذكر فولرز الفارس المقدام ولقب به البدوى لأنه يهلك من يؤذيه من الناس ، وأبو الفتيان لشجاعته وتقواه ، ومجيب الأسارى وهى لكرامة نسبت اليه باحضار أسرى المسلمين من بلاد الفرنجة فى حرب الصليبيين .

كرامات السيد البدوى : مع بعــد العهــد بالدين الحنيف ، وانتشار أفكار المتصوفة ومدارس الجدل الفكرى فى تفسير القرآن والسنة ، أصبح لهؤلاء المتصوفة الأتبــاع من يرددون آراءهم ،

ويبالغون فى كراماتهم (١) وقبل أن نتعرض لكرامات البدوى الذى تعدى بعضها حدود المعقول لنقول انه من وجهة نظرنا فان قطبنا البدوى تجنى عليه أتباعه ،، اذ ارادوا أن يحيطوا شيخهم بالقدرة والعظمة ليلجأ الجميع ابتغاء مرضاته فى حياته ومماته ، على أن يكونوا هم المستفيدون من نذور وصدقات هؤلاء المترددين على سيدهم وقت الحاجة . فكان من صالح هؤلاء المنتفعين بل المذنبين فى حق شيخهم أن يبالغوا فى سر البدوى الباتع . فى حين أنه برىء أمام ربه مما فعلوه فلم يذكر عنه أنه بغى كسبا ماديا ، فقد عاش ومات فقيرا ، متصدقا بما أتاه الله من مال على المحتاجين . وأكثر من ذلك أبرز هؤلاء الأتباع كرامات حسية تدر عليهم المكاسب متناسين كرامات شيخهم المعنوية ، وراجت قصص الكرامات بين السذج والبسطاء فى وقت اتسم فيه المجتمع المصرى بالتفكك . ولقد أعمت هؤلاء المنتفعين مصالحهم ، فجعلوا منزلة شيخهم تسمو على درجة النبوة وتناظر قدرة الله ، وألفوا القصص التى تؤكد هذه الرغبة ، ثم وضعوا حجرا أسود بمسجده ، أشاعوا أن به أثر قدمى الرسول عليه السلام .

ومن أهم الكرامات التى نسبها للبدوى اتباعه منها ما ذكروا أنها أوتيت فى حياته مثل احيائه للموتى واماتته للأحياء ، ومعظم القصص التى ترجمت تلك الكرامة تعدت حدود الخالق وبدون استحياء ، ونسب اليه شفاء المرضى ، والصوم عن الطعام والشراب فترة تزيد عن الأربعين يوما ، واحضار الأسارى من بلاد الفرنجة فتوارث أتباعه عبارة « الله الله يا بدوى جاب اليسرى ، واليسرى تحريف للفظ أسرى ، حتى أن الشعرانى نفسه ذكر أنه شاهد أسرى سنة ٩٤٣ هـ على منارة البدوى طاروا من سجنهم بقيودهم

---

(١) الكرامات عند المناوى هى اظهار الولى لامر خارق عن العادة ، ساهم فى انتشارها الانحلال السياسى والاجتماعى والتخلف الفكرى والاقتصادى . وشهدت مصر اقصى نمو لها ابان العصرين المملوكى والعثمانى .

من عند الفرنجة؟. ونسب اليه يضا فى حياته معرفة أسرار الغيب وعقاب من يتعرض لسيرته بسوء .

أما الكرامات التى نسبت اليه بعد وفاته ، والتى عمل على رواجها ايضا المنتفعون ومنها تكلم شيخهم فى القبر ، وشفاعته عند الله ، وتجوله فى القبر ليلا ، بخلاف العديد من الكرامات الأخرى

الكرامة الكبرى :

بعدما أوجزنا ما نسب لقطبنا البدوى من كرامات فى حياته ومماته ، والتى كانت ــ كما اشرنا ــ نتيجة دوافع مغرضة من جماعة المنتفعين ، فانه يجب الا نغفل كرامة البدوى الكبرى ، اذ يعتبر صاحب ورائد مدرسة عظيمة ، تخرج منها الآلاف ممن حملوا لواء الدعوة والجهاد فى سبيل الله ، فأخرج لنا البدوى جيلا من دعاة الهداية ، من على سطح منزله وهم بدورهم اخلصوا لسيدهم ، وجمعهم حب طاعة استاذ طريقتهم ، لما تمثلت فيه كل صفات الريادة من الاستقامة والحق ووضوح الرؤية . وكان شيخنا للمسلمين عامة ، ففى شتى اقطار المسلمين كان له أتباعه .. اذ انتشر علم البدوى ، فهدى الخلق بشرح كتاب الله وسنة نبيه .

وساهم فى ابراز دور المتصوفة ان اصبح التصوف ليس مجرد فكرة فردية ليصبح ظاهرة اجتماعية ، وأصبح لزاما على المتصوفة توعية مريديه بفكر التوحيد ، يقودهم بأمان للتقرب من الخالق ، ونوال مرضاته وعفوه ، وحتى وثق المريدون فى شيخهم فليس عليهم سوى طاعته وامتثال أمره واحترامه وتوقيره والمواظبة على مجلسه ، وأن تنتظم علاقاتهما بدستور دينى ودنيوى يحدد حقوق وواجبات كل من المريد والشيخ مع الآخر .

وتتعدد الفرق الصوفية لكنها تنتسب الى أقطاب أربعة هم عبد القادر الجيلانى وتنسب اليه الطريقة القادرية ، وأحمدالرفاعي

وتنسب اليه الرفاعية ، وأحمد البدوى وتنسب اليه الأحمدية ، وابراهيم الدسوقى وتنسب اليه البرهامية ، وتفرعت من هذه الطرق طرق أخرى ، فالأحمدية مثلا أصبحت ١٦ طريقة هى : (الانبابية ، والحمودية ، والبيومية ، والشناوية ، والكناسية ، والمنايفة ، والمرازنه ، والتسفيانية ، والسطوحية ، والسلامية ، والعربية ، والمسلمية ، والحلبية ، والبندارية) .

ولانتظام المريد فى جماعة الأحمدية تكون عن طريق الشيخ الواصل الموصل ، وبعد الاستفسار عن حاله ، واستعداده فى أمور دينه ، فانه يتعمده بايمانه لما يرضى الله وينهاه عما يغضبه ، ويعلمه أن اكبر أن شيوخهم هو أنس بن مالك صاحب الرسول الكريم . ثم يأمره بالوضوء وأداء ركعتين توبة لله ، ثم يقرئه آية الكرسى والقدر ثلاث مرات ، ويستغفر الثانى ألفا ويسأل الله اللطف بشفاعة نبيه ، ثم يصلى على الرسول عليه السلام عشر مرات . وبعد صلاته يندرج فى انتظام حلقة الذكر ليصفى قلبه ، ويتوجه الى شيخه وهو يستقبل القبلة مستغفرا ثلاثا ، ويقرأ فاتحة الكتاب ، بعد ذلك يصافح الشيخ جاعلا ابهام يده اليمنى على ابهام يد الشيخ اليمنى . وهنا يذكره الشيخ بأهمية المحافظة على العهد بكتاب الله وسنة نبيه ، ثم يتمتم كل منهما فى سره أن يبارك الله طريقهما ، وفى نهاية مراسم حفل الانضمام للطريقة الأحمدية يلبس الشيخ للمريد الجديد الخرقة الأحمدية ، وخرقة التصوف ، وهما بطاقة مرور المريد فى الطريقة الاحمدية .

ومن يحمل شعار الأحمدية ذا اللون الأحمر — يشبه للقصر الذى دخله الرسول حين أسرى به للسموات العليا — يجب أن يتسم بالاستقامة والعفة والمحافظة على طقوس الطريقة وترديد احزابها وأورادها .

تلك الكرامة الكبرى لشيخنا البدوى بدأت من على سطح منزله فيما رأسه من ندوات علمية ودينية ودنيوية ، وكما كان السطح

معهدا علميا كان أيضا مسجدا للتقرب من الله أخرج له رجالا حملوا رسالة الدعوة فى حياة وممات شيخهم رضى الله عنه . وهى فى الواقع أعظم الكرامات التى خلدها لنا السيد البدوى رضى الله عنه.

وصف المسجد :

بوفاة سيدى أحمد البدوى فى الثانى والعشرين من ربيع الأول سنة ٦٧٥ هـ ثم دفنه بمنزل ابن شحيط ، وبجوار قبره أقام تلميذه عبد العال خلوة أصبحت فيما بعد الزاوية الأحمدية ، على حسب وصية أستاذه البدوى بأن يشيد له زاوية من الروش الأعلى حتى طرف الكوم وأنه أمر الملك الأحمر وجنوده بمساعدته فى ازالته ، وبلغ عدد هؤلاء الجنود اثنى عشر الفا ، تمكنوا من ازالة الكوم فى غمضة عين(١) .

وقد رتب للاتباع والفقراء فى هذه الزاوية التى حظيت على مدى قرنين من الزمان بالرعاية والتجديد ، حتى قام السلطان قايتباى ٩٠١ هـ بتوسعة كبيرة ، تلتها عمارة أخرى لا تقل عنها فى ق ١٢ هـ على يد على بك الكبير ، وفيها تحولت الزاوية الى مسجد كبير ، واقيمت ثلاث قباب اكبرها على ضريح البدوى ، والغربية لخليفته عبد العال ، أما الشرقية فللشيخ مجاهد ، شيخ المسجد زمن ولاية على بك الكبير .

وعلى ضريح السيد البدوى مقصورة نحاسية — ما زالت حتى الآن — تحمل اسمه ونسبه الشريف ، وفى مواجهة المسجد شـــيد على بك الكبير سبيلا يعلوه كتاب لتعليم الصبية الفقراء ، وتحفيظهم القرآن الكريم ، بالاضافة لانشائه الفورية كمركز تجارى . والحق ان على بك الكبير كان يسعى للاستقلال بمصر ولأن ذلك سـيؤدى الى مواجهة السلطنة العثمانية . فقـــد سعى لاسترضاء قطبنا والشعب بتلك الاصلاحات ليكونوا عونا له على ثورته الاستقلالية ،

(١) عبد الصمد : الجواهر ص ٨٢ .

وبالتالى لم يتوقف عند حد الاصلاح والتوسع بل أوقف على مقام سيدى احمد البدوى وقفيتين ، مازالت تقبع حجتهما بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة (الأولى) مؤرخة فى العاشر من شعبان من نفس العام وتنص على انه أوقف أراض زراعية من قرى القوصية بولاية الأشمونين تغل سنويا ٧١٨٩٧٥ اردبا من القمح (والثانية) مؤرخة ١٨ ذى القعدة من عام ١١٨٥ هـ وتشتمل على حوالى ١٧ ألف فدان من أجود الأراضى الزراعية بنواحى طنطا وبلتاج ، بخلاف عمائر ووكالات تغل ريعا سنويا قيمتـــه تعادل ٢٨٢٨٥ جنيها مصريا تقريبا ، ونص على ان يستفيد من ريع تلك الأوقاف خلفاء المسجد وخدمه ، والعلماء والمجاورون به ، والعجزة واليتامى ، وأرباب الأشاير المنسوبين للطريقة الأحمدية . وحددت الوقفية عدد المجاورين القاطنين بالمسجد بسبعمائة تجرى عليهم الجرايات اليومية (٢) . كما خصص مبلغ آخر للكساوى لكى توزع على العلماء والمجاورين والعميان والأيتام بالمسجـد ، وقوام هذه الكسوة « بفتة وزعابيط وقماش أبيض لكل حسب منزلته » مثلما نصت الوقفية .

وفى أواخر ق ١٢ ابان حكم على بك الكبير ، تحول المسـجد الأحمدى الى معهد علمى على نمط الجامعة الأزهرية لتدريس العلوم الدينية واللغوية ، وعين لذلك الفقهاء والمدرسون والمعيدون ، تحت اشراف شيخ الجامع الاحمدى . وهؤلاء المحـاضرون خصتهم الوقفيات المشار اليها بعدد معلوم من أرادب القمح .

(١) تتكون الجراية لكل مجاور من ستة أرغفة وفول ونابت بعد صلاة الصبح لا وشربة يزيد عليها اللحم والسمن والأرز والبصل فى شهر رمضان المعظم .

وبعد الاحتلال الفرنسى لمصر فى نهاية القرن ١٨ م ، لم يسلم المسجد الأحمدى من عبث جنودهم ، فأثناء رحيلهم سلبوا الضريح حليه الذهبية ، وكانت تزن خمسة آلاف مثقال وتعرف باسم « عساكر المقام » (١) .

وحظى الجامع والمعهد الأحمدى فى عصر محمد على وخلفائه بالرعاية ، اذ عملوا على كسب ود المصريين .

فشيد عباس الأول جامعا جديدا بعد هدم القديم ، اكتمل بناؤه زمن الخديوى اسماعيل ، وبلغت مساحته بما فى ذلك ملحقاته فدان ونصف ، وهو على شكل مربع تحيطه الأروقة من كل جانب ، بلغت أربعة فى ايوان القبلة فى الجهة الجنوبية ، ورواقان بكل من الايوانات الثلاثة الأخرى ، وتعلو صحن المسجد قبة تقوم على رقبة وتقوم على المقرنصات . ولقد اندثرت تلك القباب عدا قبة سيدى احمد البدوى . وبالواجهة الرئيسية للمسجد (الغربية) أربعة أبواب من جملة أبواب المسجد البالغ عددها سبعة ، وبكل من الجهات الأربع يوجد باب واحد . ويحمل الباب القبلى تاريخ تجديد

---

(١) الجبرتى ـ عجائب الاثار ج ٣ . ومما رواه أنه لما شاع نبأ صلح الفرنسيين والعثمانيين سنة ١٢١٤ هـ ـ ١٨٠٠ م وصل لزيارة سيدى احمد رجل « من الجزادين المنتسبين للعثمانية » راكبا فرسه ويحيطه بعض أتباعه ، وحين رآه الناس صاحوا فرحا يقينا بقرب رحيل الفرنسيين ، الذى تصادف أن كان بعضهم بالمسجد ، فاعتدى عليهم الاهالى وجرحوا بعضهم فانسحبوا ، وعادوا بأسلحتهم بعد ثلاثة ايام ، وحاصروا البلد ، وقبضوا على سدنة الضريح وملتزموا طنطا من آل الخادم ، بخلاف اخذ ثلاثة آلاف ريال وبعض الاغنام منهم ، وحبسوهم فى منوف ثم الجيزة ، ثم اعادوهم طنطا بعد أن قرروا عليهم ١٥ الف ريال فرانسة ، وعلى أهل طنطا مثل ذلك ، وحتى نهاية العام ظل أهل طنطا يتعرضون لاعتداء عساكر الفرنسيين .

المسجد (١٣٢٠ هـ — ١٩٠٢ م) الذى قام به عباس الثانى ٪.وقد تتخللها عدة نوافذ (١) .

وفى الجزء الغربى من المسجد تقع الأضرحة الثـــلاثة ، أكبرها الأوسط ، ويخص صاحب المقام . وتغطى القباب تلك الاضرحـة شملت هذه التجديدات أيضا اصلاح قبرى أخوى السيد عبد العال كما قام الملك السابق فؤاد بتمهيد الطرق الموصلة للجامع ، وأقامة سور حديدى حول الحجر الأسود لمنع الزائرين من تقبيله .

ولقد انتظمت الدراسة بالجامع الأحمدى وفق وقفيتى على بك الكبير ، وانتظم من الدراسين حوالى الفان ، أمسكت لهم السجلات المرتبة منذ عام ١٣١٢ هـ ، كما هو متبع فى الجامع الأزهر . كمـا عقدت اختبارات القبول للطلبة الجدد . ولكن الجامع الأحمـدى لم يستوعب كل هذا الازدحام من المترددين عليه ســـواء أكانوا

---

(١) وصف لنا على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية (جـ ١٣ ص ٤٦) هذا الجامع وقت اكتمال بنائه بأنه : « فى وسط البلد تقريبا ، يحيط به اربعة شوارع وفى ضلعه القبلى مقام قطب الاقطاب سيدى احمـد البدوى رضى الله عنـه ، وعلى ضريحه مقصورة من النحاس الاصفر فى احسن شكل ، وقبة عالية مثل قبة الامام الشافعى ، وبداخله ايضـا مقام تلميذه سيدى عبد المتعال ومقام سـيدى مجاهد — وبه نحو ستون عمودا من الرخام الابيض — وللمسجد اربع منارات فى زواياه الأربع ، اثنتان كاملتان ، واثنتان مزمع على تكملهما . وله سـبعة أبواب ، واحـدا بالضلع القبلى وآخر بالشرقى وثالث بالبحرى ورابع بالضلع الغربى وله ميضأة متسعة جدا اكثر من عشر فى عشر . وحنفية حسنة ومرافق كثيرة . وبينه وبين الميضأة ابنية متسعة ذات حجرات كثيرة معدة لاقامة المجاورين بها . وله ساقية معينة، يمد ماؤه من سطح الأرض فى زمن الصيف عشرون مترا ، ومسطح الجامع بمرافقه اكثر من فـــدان ونصف .. وكان رسمه على هذا الوضع الجليل بنظر وملاحظة صاحب العلوم والمعارف .. البالغ فى فنون الرياضة منتهاها سعادة المرحوم بهجت باشا (المهندس) وجميع مصاريفه فى البنـاء وغيره من أوقافه ، فان له اوقافا جمة لا تحصيها الا الدفاتر » .

دارسين أو زائرين . ولذلك كان تشييد المعهد الأحمدى على يد عباس حلمى الثانى (١٩١١ م) ، والذى افتتح للدراسة بعد ذلك بثلاث سنوات ويشرف عليه الأزهر كباقى المعاهد الدينية .

ويشهد المسجد الأحمدى عمارة كبيرة تجرى حاليا لتوسعته توسعة تتناسب مع فخامته ومع موقعه بطنطا التى تتوسط دلتا مصر مما يزيد عدد زواره تبركا بسيدى احمد البدوى وتقربا الى الله بقراءة الفاتحة والدعاء لله أن يحقق المراد .

مسجد ابراهيم الدسوقى بدسوق

سقانى محبوبى بكأس المحبة ... فتهت عن العشاق سكرا بخلوتى
ولاح لنا نور الجلالة لو أضا ... ء لصم الجبال الراسيات لدكت
وكنت أنا الساقى لمن كان حاضرا ... اطوف عليهم كرة بعد كرة
ونادمنى سرا بسر وحكمة ... وأن رسول الله شيخى وقدوتى
وعاهدنى عهدا حفظت لعهده ... وعشت وثيقا صادقا بمحبتى

(الدسوقى)

أورد نسبه الشعرانى فى طبقاته بقوله « هو ابراهيم بن أبى المجد بن قريش بن محمد بن أبى النجاء بن زين العابدين ابن عبد الخالق بن محمد أبى الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبى القاسم بن جعفر الزكى على بن محمد الجواد ابن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب القرشى الهاشمى رضى الله عنهم أجمعين » .

أمه السيدة فاطمة بنت عبد الله بن عبد الجبار أخت قطب المتصوفة أبى الحسن الشاذلى ونسب سيدى ابراهيم يتصل بالسيد أحمد البدوى عند جعفر الزكى بن على الهادى الجد العاشر لهما .

ولد رضى الله عنه بقرية دسوق عام ٦٣٣ هـ فنسب لها وعاش بها . وقرية دسوق تعرف الآن بمركز دسوق بمحافظة كفر الشيخ(١) وقد ورد ذكرها فى قوانين بن مماتى حيث وصفها بأنها من

---

(١) كفر الشيخ مدينة قديمة كانت تسمى دمينقون ، وعرفت بكفر الشيخ نسبة الى الشيخ طلحة الشاذلى المدفون بها .

القرى الكبيرة العامرة من أعمال مصر . وقد انشىء بمحافظة الغربية عام ١٨٤١ م قسم ادارى باسم قسم المندورة بقرية دسوق ، ثم تحول الاسم الى دسوق بدل المندورة فى عام ١٨٩٦ . ولقد ذكر على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية فى وصفه لدسوق أنها تضم قصور ثلاثة للسيد عبد العال خليفة سيدى أحمد البدوى ، وللامام القصبى شيخ المسجد والأخير للشيخ بسيونى الفار . وكان الوافدون لاحياء المولد ينزلون فى هذه الدور .

ذكر المناوى فى طبقاته : « سيدى ابراهيم الدسوقى شيخ الطائفة البرهامية صاحب المحاضرات القدسية والعلوم الدينية والأسرار العرفانية أحد الأئمة الذين اظهر الله لهم المغيبات وخرق لهم العادات ذى الباع الطويل والتعرف النافذ واليد البيضاء فى أحكام الولاية والقدم الراسخ فى درجات النهاية انتهت اليه زعامة الكلام على خواطر الانام وقد كان يتكلم بجميع اللغات من عربى وسريانى وغيرهما ويعرف لغات الوحش والطير » .

لقد كانت نشأة وتربية سيدى ابراهيم دينية خالصة مثله فى تقربه من الله عز وجل مثل خاله ابى الحسن الشاذلى فاحتجب فى خلوته وهو طفل لم يتجاوز الخامسة من عمره وظل بها الى أن توفى والده عام ٦٤٦ هـ أى أنه قضى بها ثلاثة وعشرين عاما فى الدراسة والتحصيل ، فدرس على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه .

كما كان شجاعا فى حياته فيحدثنا الشيخ جلال الدين الكركى عن رسالة سيدى ابراهيم للسلطان الأشرف خليل بن قلاوون يلومه فيها على ظلمه للشعب ، وثارت ثائرة السلطان وأرسل فى طلبه الى مجلسه لكن الدسوقى رفض وقال لرسول السلطان « انى هنا ومن يريدنى فعليه الحضور اللقائى » ولم يجد السلطان بدا من التوجه

الى الدسوقى معتذرا له ، واحسن الشيخ استقباله وبشره بالنصر على الصليبيين وقد تم ذلك فى معقلهم فى عكا .

وكان سيدى ابراهيم مقربا للظاهر بيبرس الذى عينه شيخا للاسلام وقبل الدسوقى ذلك المنصب وتبرع بأجره للفقراء والمحتاجين ـ وظل شيخا للاسلام حتى توفى بيبرس .

وعاش الدسوقى فترة حياته الثلاثة والأربعين عاما حتى وفاته ٦٧٦ هـ قضاها اعزب فى تعلم وتعليم أمور دينية ، وخلد لنا تراثا مثل كتابه الجواهر الذى ترجمه المستشرقون للألمانية ، وقصيدة محفوظة بالمتحف البريطانى فى لندن ومن أقواله : الشريعة أصل . والحقيقة فرع . فالشريعة جامعة لكل علم مشروع والحقيقة لكل علم خفى وجميع المقامات مندرجة فيها ، وقال ايضا ، يجب على المريد ان يأخذ من العلم ما يجب عليه فى تأديته فرضه ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة فان ذلك شغل منه عن مراده بل يفحص عن آثار الصالحين فى العمل ويواظب على الذكر .

هذا وقد نسبت للدسوقى كرامات عديدة فى حياته .

وصف المسجد :

بوفاة سيدى ابراهيم الدسوقى شيد على مقبرته ضريح يعلوه قبة ، والحق بالضريح مسجد أوقفت عليه الأملاك الكثيرة للانفاق عليه وعلى الطلبة الذين يدرسون به .

أما المسجد القائم الآن وترجع عمارته الى القرن ١٩ ويتبع الأزهر ويتكون المسجد من صحن مكشوف بوسط المسجد تحيطه الأروقة من جميع الجوانب . ويقع ايوان القبلة فى الجهة الجنوبية للمسجد ويقال عدد الأروقة به عما بالايوانين الشرقى والغربى .

وتقوم وزارة الأوقاف فى الوقت الحاضر بعمل توسعة كبيرة للمسجد ستتم على مراحل ثلاثة ، بعد هدم المسجد ما عدا واجهته

الجنوبية الغربية . وقد اشتملت المرحلة الأولى على اقامة الأعمدة والعقود الداخلية . كذلك تمت المرحلة الثانية وتضمنت تشييد المدخل الرئيسى فى الواجهة الجنوبية وكذا اقامة المكتبة والمئذنة فى الركن الجنوبى الشرقى .

اما المرحلة الثالثة والأخيرة فى التوسعة سيتم فيها اقامة الضريح ، ومصلى للسيدات ، ومئذنة فى الجهة الشمالية الشرقية على انه ستبلغ المساحة الكلية للمسجد بعد هذه التوسعة ٢٣٨٠ مترا مربعا تقريبا .

وصف اللوحات

فهرس المراجع

ـــ القرآن الكريم	
ـــ الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة	ابن الزيات
ـــ فضائل مصر وأخبارها	ابن زولاق
ـــ الآثار النبوية	أحمد تيمور
ـــ المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار	
ـــ معرفة ما يجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم (مجموعة رسائل)	تقى الدين المقريزى
ـــ طبقات الشافعية	تاج الدين السبكى
ـــ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى	السمهودى
ـــ نور الابصار فى مناقب آل بيت النبى المختار	سيد الشبلنجى
ـــ الطبقـــات	
ـــ لطائف المنن	الامام الشعرانى
ـــ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار	عبد الرحمن الجبرتى
ـــ الخطط التوفيقية الجديدة	على مبارك
ـــ اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وأهل بيته الطـــاهرين	محمد الصبان
ـــ تاريخ المساجد الأثرية	حسن عبد الوهاب
ـــ مخلفات الرسول فى المسجد الحسينى	
ـــ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون	د . سعاد ماهر
ـــ مساجد مصر ومدارسها ـ العصر الفاطمى	د . احمد فكرى

فهرس الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٤/٥٢٥٦